من نفحات فضيلة الشيخ الشعراوي

التفسير الميسر

إعداد

الشيخ كامل عويضه

الناشر

دار الروضة

للنشر والتوزيع



الناشر
دار الروضة
للنشر والتوزيع
2 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية تليفون : 424

رقم الإيداع : ١٩١٠٥ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : 0 ـ 171 ـ 458 ـ 977 ـ 978

أسعى جاهداً بكلمة طيبة أحمل بها منهج الله إلى الناس فليس لأنّ الناس يهمونني فقط ولكن تهمني نفسي أيضاً لأنّ رسولي المرسل إليّ ﷺ يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فإنّ نفعي للناس يعود عليّ حتى أكمل إيماني ولقد ذقت حلاوة الإيمان وأحب للناس أن يذوقها.

محمد متولي الشعراوي

﴿فضيلة الشيخ﴾

في قرية دقادوس التي تبعد عن مدينة ميت غمر من أعمال محافظة الدقهلية، ببضع كيلو مترات، ولد العالم الجليل، وهي قرية هادئة حيث عانت مثلما عانت القرى المصرية **من فداحة الضرائب**، وثقل وطأة الجباة في عهد إسماعيل.

هذا غير الإقطاعيين الذين تحكموا في مصادر الناس، وكان الإقطاعي يستطيع أن يمنع أو يمنح فرصة للتعلم سواء داخل القرية أو خارجها. وقبل بزوغ فجر يوم الخامس عشر من شهر إبريل ١٩١١ من مولد عيسى عليه السلام كان مولد الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي .

رحلته العلمية: وقد اتجه جده إلى العلم منذ نعومة أظفاره، فحفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره، وعلى الرغم من انشغال والد الإمام بالعمل في الزراعة إلا أن الوالد الأكبر وهو جد الشيخ قام بتحفيظ ابنه الشيخ متولي القرآن الكريم، **فكانت ذرية صالحة بعضها من بعض فأقبل الإمام وهو مازال طفلا يحفظ كتاب الله تعالى**، حتى أن أقرانه كانوا يختبرون حفظه بأن يقوم أحدهم باختيار رقم الآية ويطلبون منه أن يأتي بها أو العكس، فكانت إجابته سريعة وصحيحة، وكان يزيد عليها رقم السورة ورقم الصفحة. وظل هكذا حتى وصل إلى مرحلة الشباب، وكان يطلق على هذه المرحلة قوله: "**لقد كبرنا مبكراً**"؛ لأنه تعود على الصراحة والاتزان حتى وهو طفل فلم يذكر يوماً لعب فيه أو نشاط مارسه.

وحينما بدا له حتمية ممارسة أي نشاط رياضي يساعده على تجديد الدماء، اهتزت مصر كما اهتز هو حينما أصدر الشيخ على عبد الرزاق كتابه "**الإسلام وأصول الحكم**" عام ١٩٥٢ م، والذي ذكر فيه أنه لابد من فصل الدين عن الدولة، وكيف يصدر هذا عن عالم ينتمي عن العلماء الذي كان محمد متولي الشعراوي يثق فيهم، ولكونه قاضي شرعي بمدينة المنصورة بالإضافة إلى

أفكار أخرى احتوتها صفحات الكتاب .

ويأتي العام التالي مباشرة ١٩٢٦ م وقد صدر كتاب الدكتور طه حسين، والذي سماه "**في الشعر الجاهلي**" ومرة أخرى يتعرض الشاب للهزة التي كادت تفقده اتزانه بالإضافة للمعارك التي دارت في ذلك الوقت بين الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية الأسبق، وبين مفتي الديار محمد على باشا حتى وصل الأمر إلى اتهام كل منهما بالكفر والنفاق والإلحاد.

لقد استوعب الشاب كل هذه القضايا وتفاعل معها سواء بالتأييد أو الاعتراض. مما جعله يتفاعل مع هذا أو ذاك؛ لأن هذه القضايا كانت كبيرة وأشخاصها كانوا رجال كبار، ولذلك كان الشاب محمد متولي الشعراوي يصف تلك الفترة "**بأنها كبرنا فيها مبكراً**".

لقد كان الشيخ يردد دائماً "**أن من حسن الحظ أن البيئة التي نشأت فيها تتسم بالصلاح والتقوى، أما عن بيئتي الخاصة فقد كان أبي رجلا له في طريق الله مجال، والبيئة التي أعيش فيها هي القرية ذات الأرض الزراعية التي يملكها قلة من الإقطاعيين**".

ومن أجل هذا فقد اتجه الكثيرون ممن ألح عليهم خاطر التعليم كبديل للواقع المتدني على التعليم الأزهري، خاصة وقد كانت الصيحات المتكررة لجمال الدين الأفغاني ومن بعده محمد عبده تملأ الأذان بالدعوة إلى ضرورة الأمة المتعلمة، بجانب أن بعض زعماء مصر السياسيين في ذلك الوقت كانوا أزهريين أو ممن ينادون بوجود رابطة إسلامية مما أتاح الفرصة للصبي أن يلتحق بكتاب القرية لطلب العلم، **ثم تخطى كُتَّاب القرية إلى القرى بل والمدن المجاورة للإطلاع على الجديد فيها.**

وكان الطريق الذي رسمه محمد متولي الشعراوي عدم الاكتفاء بالتنقل بين الكتاتيب في مرحلة الطفولة. ولكن عليه أن يلتحق بالمدرسة حيث ألحقه والده بالمدرسة الابتدائية نزولا على رغبته الأكيدة في التعلم. **ويزوجه أبوه بعد أن**

حصل على الشهادة الابتدائية في أوائل الثلاثينات كما يقول: "وبعد فترة أبا ... مما جعلني لا أفكر في الخطأ .. لأنه لا توجد بدرات للفساد"... ونسمعه يقول أيضاً: أن البيئة كرمتنا وأسهمت في تربيتنا بجانب انتسابنا للأزهر... كل جعل الناس يحترموننا فحرصنا ألا نفعل أي شئ يغض من هذا الاحترام.

وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية التحق بالمعهد الثانوي في الجامعة الأزهرية، ويحصل على شهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦ م ليتيح له الالتحاق بالجامعة الأزهرية، وينال إجازة العالمية من كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ م، ثم ينتقل بعد ذلك للحياة العملية في الزقازيق وطنطا والإسكندرية.

وحينما كان الشيخ شاباً كان عليه أن يواجه ضغوط رغبة الوالد وأعباء حياته الزوجية وكثافة المناهج الدراسية، وفي بداية حياته وقبل تخرجه بمعهد الزقازيق الأزهري تم انتخابه أميناَ لاتحاد طلاب المعهد بعد أن حصل على نسبة عالية جداً من أصوات عن منافسه، فوقف بين صفوف الطلاب وأنشد عليهم قصيدة طويلة قام بتأليفها بهذه المناسبة، وذلك بعد إعلان النتيجة مباشرة.

وقال فيها:

ما منطقي لك والحقيقة تحجل...قد جئت الدنيا وشعبل يهزل

مصر الأسيفة نجا منها صوتها......وتؤمل الاتي فيقو القبل

وعقب الانتهاء من إلقاء القصيدة تعقبه رجال الملك للقبض عليه، ولكنه اختفى عن العيون البوليسية ليتم القبض على والديه وشقيقه الأصغر، ولما علم الطالب محمد متولي الشعراوي بذلك قام بتسليم نفسه ليدخل السجن بتهمة العيب في الذات الملكية.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مقدمة المؤلف﴾

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران :١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما ثم أما بعد : التفسير مصدر فسر بتشديد السين الذي هو مضاعف فسر بالتخفيف من بابي نصر وضرب الذي مصدره الفسر ، وكلاهما فعل متعد فالتضعيف ليس للتعدية . والفسر الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسر عند السامع ، **ثم قيل** : المصدران والفعلان متساويان في المعنى ، **وقيل** : يختص المضاعف بإبانة المعقولات ، قاله الراغب وصاحب البصائر ، **وكأن وجهه أن بيان المعقولان يكلف الذي يبينه كثرة القول كقول أوس بن حجر** : "الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا"، فكان تمام البيت تفسيرا لمعنى الألمعي ، وكذلك الحدود المنطقية المفسرة

للأجناس ، لا سيما الأجناس العالمية الملقبة بالمقولات فناسب أن يخص هذا البيان بصيغة المضاعفة ، بناء على أن فعل المضاعف إذا لم يكن للتعدية كان المقصود منه الدلالة على التكثير من المصدر ، **قال في الشافية** : "وفعل للتكثير غالبا وقد يكون التكثير في ذلك مجازيا واعتباريا بأن ينزل كد الفكر في تحصيل المعاني الدقيقة ، ثم في اختيار أضبط الأقوال لإبانتها منزلة العمل الكثير كتفسير صحار العبدي وقد سأله معاوية عن البلاغة فقال : أن تقول فلا تخطئ ، وتجيب فلا فلا تبطئ ثم قال لسائله أقلني لا تخطئ ولا تبطئ".

فالقرآن العظيم، آية باقية على وجه الدهر ، ومعجزة خالدة ، من جهة فصاحة لفظه ، وبلاغة نظمه وأسلوبه ، ودقة أحكامه وأوامره ونواهيه ، وبيان أسماء الله وصفاته ، ودلائله اليقينية ، وبراهينه العقلية ، في أمثاله المضروبة ، وإخباره بالغيب ، وتحدي الثقلين بالإتيان بمثله ، وغير ذلك من العجائب الخارقة للعادة .

وكل عبد مسلم متعبد بتلاوته وتدبر آياته، وتفهم معانيه والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه ، قال الله عز شأنه : **﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩]** ، وقال سبحانه : **﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾[المزمل: ٤]**، وقال سبحانه : **﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢]** ، وقال عز من قائل : **﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤]** .

وقد يسر الله على الألسن قراءته، وعلى العقول فهمه وتدبر معانيه، قال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢، ٤٠]** ،

أسأل الله تعالى أن يكون هذا التفسير عونًا لأبنائنا وبناتنا ، وأن يجدوا فيه ما يقوي عزائمهم بعقيدة الإسلام ، وأن يجعل عملنا هذا خاصًا لوجهه الكريم ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، **وكتبه: كامل عويضه ، المصري ، الشافعي** .

١- فاتحة الكتاب

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ الفاتحة: ١ - ٦

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سورة الفاتحة﴾

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الرب الصمد الواحد ، الحي القيوم الذي لا يموت ، ذو الجلال والإكرام ، والمواهب العظام ، والمتكلم بالقرآن ، والخالق للإنسان ، والمنعم عيه بالإيمان ، والمرسل رسوله بالبيان ، محمداً ﷺ ما اختلف للإنسان ، وتعاقب الجديدان ، أرسله بكتابه المبين ، الفارق بين الشك واليقين ، الذي أعجزت الفصحاء معارضته ، وأعيب الألباء مناقضته ، وأخرست البلغاء مشاكلته ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

جعل أمثاله عبراً لمن تدبرها ، وأوامره هدى لمن استبصرها ، وشرح فيه واجبات الأحكام ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، وكرر فيه المواعظ والقصص للإفهام ، وضرب فيه الأمثال ، وقص فيه غيب الأخبار ، وخاطب به أولياء ففهموا ، وبين لهم فيه مراده فعلموا . فقرأه القرآن جملة سر الله المكنون وحفظه علمه المخزون ، وخلفاء أنبيائه وأمناء ، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه ، قال رسول الله ﷺ : ((**إن لله أهلين منا ، قالوا : يا رسول الله ، من هم ؟ قال** : ((**هم أهل القرآن أهل الله وخاصته**)) [1]. فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه ، ويتذكر ما شرح له فيه ، ويخشى الله ويتقيه ، ويراقبه ويستحييه . فإنه قد حمل أعباء الرسل ، وصار شهيداً في القيامة على من خالف من أهل الملل ، ألا وإن الحجة على من علمه فأغفله ، أوكد منها على من قصر عنه وجهله . ومن أوتي علم القرآن فلم ينتقع ، وزجرته نواهيه فلم يرتدع ، وارتكب من المأثم قبيحاً ، ومن الجرائم فضوحاً ، كان القرآن حجة

---

(1) **صحيح** . أخرجه ابن ماجة (ح / ٢١٥) وأحمد (٣ / ١٢٧ ، ١٢٨) .

عليه ، وخصماً لديه ، قال رسول الله ﷺ : ((**القرآن حجة لك أو عليك**))[1] فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ، ويتدبر حقائق عبارته ، ويتفهم عجائبه ، ويتبين غرائبه ، قال الله تعالى : ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (ص:٢٩) ، وقال الله تعالى : ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد:٢٤) .

جعلنا الله من يرعاه حق رعايته ، ويتدبر حق تدبره ، ويقوم بقسطه ، ويوفي بشرطه ، ولا يلتمس الهدى في غيره ، وهدانا لأعلامه الظاهرة ، وأحكامه القاطعة الباهرة ، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة ، فإنه أهل التقوى أهل المغفرة ثم جعل إلى رسوله بيان ما كان منه مجملاً ، وتفسير ما كان منعه مشكلاً ، وتحقيق ما كان منه متحملاً ، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ، ومنزلة التفويض إليه ، قال الله تعالى : ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل:٤٤) .

ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباط ما نبه على معانيه ، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد ، فيمتازوا بذلك عن غيرهم ، ويختصموا بثواب اجتهادهم ، قال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة:١١) .

فصار الكتاب أصلاً والسنة به بياناً ، واستنباط العلماء له إيضاحاً وتبياناً . فالحمد لله الذي جعل صدورنا أوعية كتابه ، وآذاننا موارد سنن نبيه ، وهممنا مصروفة إلى تعلمهما والبحث عن معانيهما وغرائبهما ، طالبين بذلك رضا رب العالمين ، ومتدرجين به إلى علم الملة والدين .

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الطهارة ، ح / ١) وأحمد (٥ / ٣٤٣) .

فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع ، الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين أسماء إلى أمين الأرض ، رأيت أن اشتغل بـه مـدى عمـري ، واستفرغ فيه منتي ، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً ، يتضمن نكتـاً مـن التفـسير واللغات والإعراب والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديـث كثيرةً شاهدةً لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعاً بين معانيهما ، ومبينا ما أشكل منهما بأقاويل السلف ، ومن تبعهم من الخلف . وعلمته تذكرةً لنفـسي وذخيرة ليوم رمسي ، وعملاً صالحاً بعد موتى . قال الله تعالى : ﴿ **يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**) (**القيامة:١٣**) قال تعالى : ﴿**عَلِمَـتْ نَفْـسٌ مَـا قَـدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**﴾ (**الانفطار:٥**) .

قال رسول الله ﷺ : ((**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا مـن ثـلاث : صـدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**))[1] **وشرطي في هذا الكتـاب :** إضافة الأقوال إلى قائليها ، والأحاديث إلى مصنفيها ، **فإن يقال** : من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله . وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقـه والتفـسير مبهماً ، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقـى مـن لا خبرة له بذلك حائراً ، لا يعرف الصحيح من السقيم ، ومعرفة ذلك علم جسيم ، فلا يقبل منه الاحتجاج به ، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام ، والثقات المشاهير من علماء الإسلام . ونحن نشير إلى جمل من ذلـك في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

وأضرب عن كثير من قصص من ذلك تبيين آي الأحكام ، بمسائل تسفر عـن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد ، مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريـب والحكم ، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، هكـذا إلـى

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الوصية ، ح / ١٤) وأبو داود (ح / ٢٨٨٠) .

آخر الكتاب . وسميته بـ (**الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**) جعله الله خالصاً لوجهه ، وأن ينفعني به ووالدي ومن أراده بمنه ، إنه سميع الدعاء ، قريب مجيب ، آمين .

الأولى : ويسن لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة على نون ولا الضالين : آمين ، ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن .

الثانية : ثبت في الأمهات من حديث أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : ((**إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**)) [1]**قال علماؤنا رحمة الله عليهم** : فترتبت المغفرة للذنب على قدمات أربع تضمنها هذا الحديث ، **الأولى** : تأمين الإمام .

الثانية : تأمين من خلفه .

الثالثة : تأمين الملائكة .

الرابعة : موافقة التأمين ، **فقيل** : في الإجابة ، **وقيل** : في الزمن ، **وقيل** : في الصفة من إخلاص الدعاء ، لقوله عليه السلام : ((**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**)) .

الخامسة : عن أبي مصبح المقرائي قال : كنا نجلس إلى أبي زهير النميري وكان من الصحابة ، فيحدث أحسن الحديث ، فإذا دعا الرجل منا بدعاء **قال** : أختمه بآمين ، فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة .

قال أبو زهير : ألا أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فأتينا على رجل قد ألح في المسألة ، فوقف النبي ﷺ يسمع منه ، فقال النبي ﷺ : ((**أوجب إن ختم**)) ، **فقال له رجل من القوم** : بأي شيء يختم ؟ قال : ((**بآمين فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب**)) فانصرف الرجل الذي سأل النبي ﷺ ، فأتى **الرجل فقال له** : اختم يا فلان وابشر .

---

[1] **حسن** . أخرجه أبو داود (ح / ٩٣٨) وذكره المنذري في " الترغيب " (١/ ٣٣١) .

قال وهب بن منبه : آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكاً ، **يقول** : اللهم اغفر لكل من قال آمين . وفي الخبر : ((**لقنني جبريل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال : إنه كالخاتم على الكتاب**)) .

قال الهروي قال أبو بكر : معناه أنه طابع الله على عباده ، لأنه يدفع به عنهم الآفات والبلايا ، فكان خاتم الكتاب الذي يصونه ويمنع من إفساده وإظهار ما فيه **وفي حديث أبي موسى الأشعري** : إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : ((**إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا ، وإذا قال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقولوا : آمين يجبكم الله**)) .

السادسة : قال عطاء : آمين دعاء ، أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للجة . **قال الترمذي** : وبه يقول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ، يرون أن يرفع الرجل صوته بالتأمين لا يخفيها . وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق .

وفي الموطأ والصحيحين قال ابن شهاب : وكان رسول الله ﷺ يقول آمين . **وفي سنن ابن ماجة عن أبي هريرة : قال** : ترك الناس آمين وكان رسول الله ﷺ إذا قال : ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ **(الفاتحة:٧)** قال آمين حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد . وأما حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وسمي فمعناهما التعريف بالموضع الذي يقال فيه آمين ، **وهو إذا قال الإمام** : ﴿ **وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ **(الفاتحة:٧)** ليكون قولهما معاً ، ولا يتقدموه بقول آمين ، لما ذكرناه والله أعلم . ولقوله عليه السلام : ((**إذا أمن الإمام فأمنوا**))[1] وقال ابن نافع في كتاب ابن الحارث : لا يقولها المأموم إلا أن يسمع الإمام يقول : ﴿ **وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ **(الفاتحة:٧)** وإذا كان ببعد لا يسمعه فلا يقل . **وقال ابن**

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (الأذان ، ح / ٧٨٠) ومسلم في (الصلاة ، ح / ٧٢) .

عبدوس : يتحرى قدر القراءة ويقول : آمين . **السابعة : قال أصحاب أبي حنيفة** : الإخفاء بآمين أولى من الجهر بها لأنه دعاء ، وقد قال الله سبحانه **وتعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف:٥٥) . قالوا** : والدليل عليه ما روي في تأويل قول الله تعالى : **﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس:٨٩) قال** : كان موسى يدعو وهارون يؤمن ، فسماهما الله داعيين ، **الجواب** : إن إخفاء الدعاء إنما كان أفضل لما يدخله من الرياء . وأما ما يتعلق بصلاة الجماعة فشهودها إشهار شعار ظاهر ، وإظهار حق يندب العباد إلى إظهاره ، وقد ندب الإمام إلى إشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعاء والتأمين في آخرها ، فإذا كان الدعاء مما يسن الجهر فيه فالتأمين على الدعاء تابع له وجار مجراه ، وهذا بين .

الثامنة : كلمة آمين لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام . **ذكر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول** : حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد **قال** حدثنا أبي **قال** حدثنا زربي مؤذن مسجد هشام بن حسان **قال** حدثنا أنس بن مالك **قال : قال** رسول الله ﷺ : ((**إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم : السلام** وهو تحية أهل الجنة ، **وصفوف الملائكة ، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون**))[1]**قال أبو عبد الله** : معناه أن موسى دعا على فرعون ، وأمن هارون ، فقال الله تبارك اسمه عندما ذكر دعاء موسى في تنزيله : **﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (يونس:٨٩)** .

ولم يذكر مقالة هارون ، وقال موسى ربنا ، فكان من هارون التأمين ، فسماه داعياً في تنزيله ، إذ صير ذلك منه دعوة . **وقد قيل** : إن آمين خاص لهذه الأمة لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم**

---

(1) **أنظر**: تفسير القرطبي (١ / ١٣٠ ، ٨ / ٧٦) .

على السلام والتأمين)) [1]. **قال علماؤنا رحمة الله عليهم :** إنما حسدنا أهل الكتاب لأن أولها حمد لله وثناء عليه ثم خضوع له واستكانة ، ثم دعاء لنا بالهداية الى الصراط المستقيم ، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين .

الأولى : قول الله سبحانه وتعالى : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (٢)** روى أبو محمد الغني بن سعيد الحافظ من حديث أبى هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ((**إذا قال العبد الحمد لله قال صدق عبدي الحمد لي**)) **عن أنس بن مالك قال :** قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليه**)) [2] **وقال الحسن :** ما من نعمة إلا والحمد الله أفضل منها . عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما اخذ**)) [3].

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ حدثهم : ((**أن عبداً من عباد الله ، قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء ، وقالا : يا ربنا إن عبدك ، قال : يا رب إنه قد قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها**)) [4] **عن أبي مالك الأشعري قال :** قال رسول الله ﷺ : ((**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، وذكر الحديث**)) [5] .

****

---

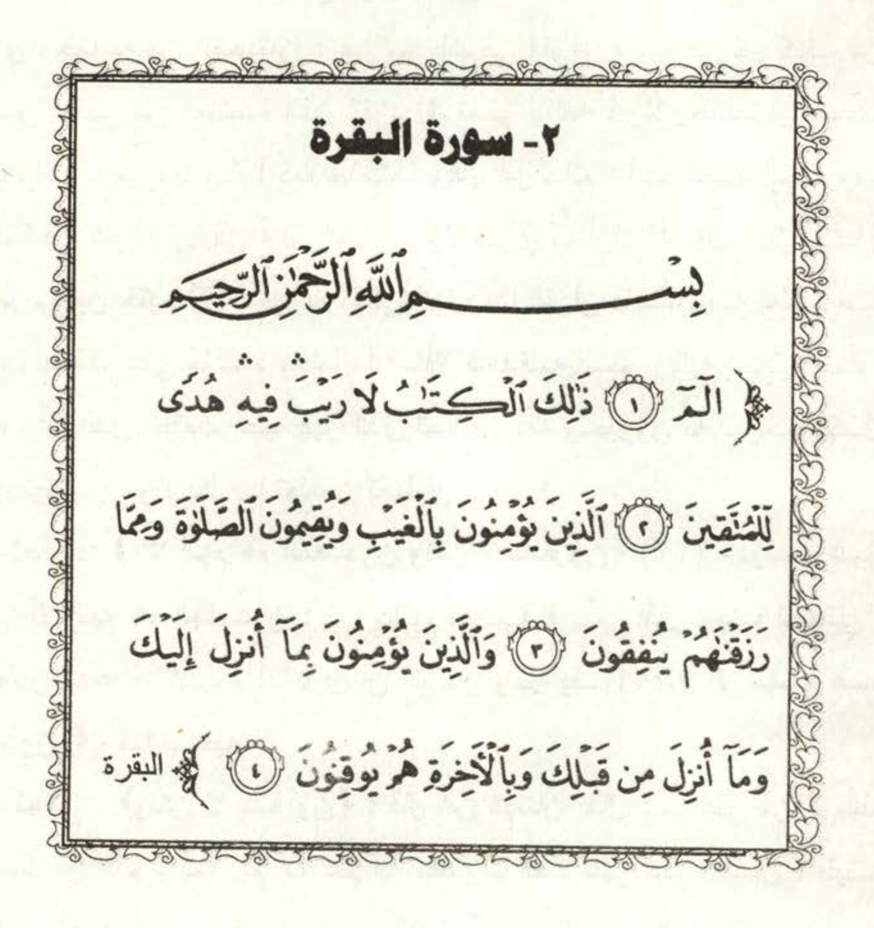
[1] **صحيح** . أخرجه ابن ماجة (ح / ٨٥٧) وصحيح الجامع (ح / ٥٦١٣) .

[2] **أخرجه** الحميدي (٩٧٣) وابن حبيب (١ / ٤٧) .

[3] **ضعيف** . أخرجه ابن السني (٣٥٠) والحاكم (١ / ٥٠٧) .

[4] **أخرجه** الطبراني (١٢ / ٤٤٤) .

[5] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الطهارة ، ح / ١ (وأحمد (٥ / ٣٤٢ ، ٣٤٣) .



٢- سورة البقرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ البقرة

٢ ـ سورة البقرة

قوله تعالى : ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (1ـ٢) اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور ، **فقال عامر الشعبي و سفيان الثوري وجماعة من المحدثين** : هي سر الله في القرآن ، ولله في كل كتاب من كتبه سر . فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيها ، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت . **وقال أبو حاتم** : لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوئل السور ، ولا ندري ما أراد الله جل وعز بها . **عن الربيع بن خثيم قال** : إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء ، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به ، وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون .

قوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢) . **قوله عز وجل : ألا إنهم هم المفسدون** : ردا عليهم وتكذيباً لقولهم . **قال** أرباب **المعاني** : من أظهر الدعوى كذب ، ألا ترى أن الله عز وجل يقول : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ وهذا صحيح .

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ : **قال ابن كيسان يقال** : ما على من لم يعلم أنه مفسد من الذم ، إنما يذم إذا علم أنه مفسد ثم أفسد على علم ، **قال** : ففيه **جوابان** : **أحدهما** : أنهم كانوا يعلمون الفساد سراً ويظهرون الصلاح وهم لا يشعرون أن أمرهم يظهر عند النبي ﷺ . **والوجه الآخر** : أن يكون فسادهم عندهم صلاحاً وهم لا يشعرون أن ذلك فساد ، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم تبيين الحق واتباعه .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣) **وإذا قيل لهم** : يعني

المنافقين في قول مقاتل وغيره . **وآمنوا كما آمن الناس** : أي صدقوا بمحمد ﷺوشرعه ، كما صدق المهاجرون والمحققون من أهل يثرب .

قوله تعالى : **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾** (١٤) أنزلت هذه الآية في ذكر المنافقين . **أصل لقوا** : لقيوا ، نقلت الضمة إلى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين . **وقيل** : المعنى وإذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم ، فـ إلى على بابها . والشياطين جمع شيطان على التكسير ، وقد تقدم القول في اشتقاقه ومعناه في الاستعاذة . واختلف المفسرون في المراد بالشياطين هنا ، **فقال ابن عباس والسدي** : هم رؤساء الكفر . **وقال الكلبي** : هم شياطين الجن . **وقال جمع من المفسرين** : هم الكهان . ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الإيمان والخير يعم جميع من ذكر . والله أعلم . **قوله تعالى : إنما نحن مستهزئون** : أي مكذبون بما ندعى إليه .

قوله تعالى : **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** (١٥) أي ينتقم منهم ويعاقبهم ، ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم ، فسمى العقوبة باسم الذنب . هذا قول الجمهور من العلماء . **عن ابن عباس في قوله تعالى** : وإذا **لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** : هم منافقوا أهل الكتاب ، فذكرهم وذكر استهزاءهم وأنهم إذا خلوا إلى شياطينهم يعني رؤساءهم في الكفر ــ **على ما تقدم** ــ **قالوا : إنا معكم على دينكم إنما نحن مستهزئون بأصحاب محمد**ﷺ : الله يستهزئ بهم في الآخرة ، يفتح لهم باب جهنم من الجنة ، ثم يقال لهم تعالوا ، فيقبلون يسبحون في النار ، والمؤمنون على الأرائك ــ **وهي السرر** ــ في الحجال ينظرون إليهم ، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم ، فيضحك المؤمنون منهم ، فذلك **قول الله عز وجل : الله يستهزئ بهم** : أي في الآخرة ، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب . **وقوله تعالى : في طغيانهم** : كفرهم وضلالهم . وأصل الطغيان مجاوزة الحد . قوله تعالى : **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** (١٦) والمعنى استحبوا

الكفر على الإيمان ، كما قال : **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت:١٧)** فعبر عنه بالشراء ؛ لأن الشراء إنما يكون فيما يحبه مشتريه . فأما أن يكون معنى شراء المعاوضة فلا ؛ لأن المنافقين لم يكونوا مؤمنين فيبيعون إيمانهم . **وقال ابن عباس** : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى . ومعناه استبدلوا واختاروا الكفر على الإيمان . وإنما أخرجه بلفظ الشراء توسعاً ، لأن الشراء والتجارة راجعان إلى الاستبدال ، والعرب تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئاً بشيء .

قوله تعالى : **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾** (١٧) **قيل** : إن إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار ، وانصرافهم عن مودتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها .

قوله تعالى : **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٨)** صم أي هم صم ، فهو خبر ابتداء مضمر . **قال قتادة** : صم عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به عمي عن الإبصار له . **وقوله** : **فهم لا يرجعون** : أي إلي الحق لسابق علم الله تعالى فيهم .

قوله تعالى : **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** (١٩) **والصيب** : المطر . واشتقاقه من صاب يصوب إذا نزل . **والتقدير في العربية** : مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً أو كمثل صيب . **وعن ابن عباس قال** : سألت اليهود النبي ﷺعن الرعد ما هو ؟ **قال** : ((**ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله**))[1]. **فقالوا** : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ **قال** : ((**زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث**

---

[1] **حسن** . أخرجه الترمذي (ح / ٣١١٧) **وقال** : حسن غريب .

أمر الله))قالوا : صدقت . وقيل : مثل الله تعالى القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم ، والعمى هو الظلمات ، وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد ، وما فيه من النور والحجج الباهرة التي تكاد أحياناً أن تبهرهم هو البرق . والصواعق مثل لما في القرآن من الدعاء إلى القتال في العاجل والوعيد في الآجل .

قوله تعالى : **﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (٢٠) **ومعنى : يخطف أبصارهم : الخطف** : الأخذ بسرعة ، ومنه سمي الطير خطافاً لسرعته . فمن جعل القرآن مثلا للتخويف فالمعنى أن خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب أبصارهم . ومن جعله مثلاً للبيان الذي في القرآن فالمعنى أنهم جاءهم من البيان ما بهرهم . **وقيل : المعنى كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت النعم قالوا** : دين محمد دين مبارك ، وإذا نزلت بهم مصيبة وأصابتهم شدة سخطوا وثبتوا في نفاقهم . **قال علماء الصوفية** : هذا مثل ضربه الله تعالى لمن لم تصح له أحوال الإرادة بدءاً ، فارتقى من تلك الأحوال بالدعاوى إلى أحوال الأكابر ، كأن تضيء عليه أحوال الإرادة لو صححها بملازمة آدابها ، فلما مزجها بالدعاوى أذهب الله عنه تلك الأنوار وبقي في ظلمات دعاوية لا يبصر طريق الخروج منها .

قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (٢١) **واختلف من المراد بالناس هنا على قولين : أحدهما** : الكفار الذين لم يعبدوه ، **يدل عليه قوله : وإن كنتم في ريب . الثاني** : أنه عام في جميع الناس ، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة ، وللكافرين بابتدائها .

قوله تعالى : **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢٢).**

قال علماء الصوفية : أعلم الله عز وجل في هذه الآية سبيل الفقر ، وهو أن

تجعل الأرض وطاء والسماء غطاء ، والماء طيبا والكلأ طعاماً ، ولا تعبد أحداً في الدنيا من الخلق بسبب الدنيا ، فإن الله عز وجل قد أتاح لك ما لا بد لك منه ، من غير منة فيه لأحد عليك .

قوله تعالى : **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** (٢٤) قوله تعالى : **فإن لم تفعلوا : يعني فيما مضى ، ولن تفعلوا** : أي تطيقوا ذلك فيما أين . **وقال جماعة من المفسرين** : معنى الآية وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ولن تفعلوا ، فإن لم تفعلوا فاتقوا النار .

قول الله تعالى : **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (٢٥) لما ذكر الله عز وجل جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين أيضاً . والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة ــ **وهي ظاهر الجلد** ــ لتغيرها بأول خبر يرد عليك ، ثم الغالب أن يستعمل في السرور مقيداً بالخير المبشر به ، وغير مقيد أيضاً .

قول الله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦)**
قال الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله ، فأنزل الله الآية .

قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** (٢٧) في هذه الآية دليل على أن الوفاء بالعهد والتزامه وكل عهد جائز ألزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه سواء أكان بين مسلم أو غيره ، لذم الله تعالى من نقص عهده . وقد قال :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ

غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة:١) وقد قال لنبيه ﷺ : **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال:٥٨)** فنهاه عن الغدر ، وذلك لا يكون إلا بنقض العهد ، على ما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾(٢٨) قال ابن عباس وابن مسعود** : أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم ــ **أي خلقكم** ــ ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ، ثم يحييكم يوم القيامة . **قال ابن عطية** : وهذا القول هو المراد بالآية ، وهو الذي لا محيد للكفار عنه لإقرارهم بهما ، إذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين ، ثم للإحياء في الدنيا ، ثم للإماتة فيها قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها .

قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢٩) خلق** : معناه اخترع وأوجد بعد العدم .

قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (٣٠) **وقال أرباب المعاني** : خاطب الله الملائكة لا للمشورة ولكن لاستخراج ما فيهم من رؤية الحركات والعبادة والتسبيح والتقديس ثم ردهم إلى قيمتهم ، **فقال عز وجل** : اسجدوا لآدم . **عن قتادة في قوله** : أتجعل **فيها من يفسد فيها** : **قال** : كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، **فلذلك قالوا** : أتجعل فيها من يفسد فيها .

قوله تعالى : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (٣١) عن ابن مسعود في قصة خلق آدم عليه السلام **قال** : فبعث الله جبريل ﷺ إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، **فقالت**

الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني ، فرجع ولم يأخذ وقال : يا رب إنها عاذت بك فأعذتها . فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها ، فرجع فقال **كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال** : وأما أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ـ **ولذلك سمي آدم أنه أخذ من أديم الأرض** ـ فصعد به ، **فقال الله تعالى له** : أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك **فقال** : رأيت أمرك أوجب من قولها . **فقال** : أنت تصلح لقبض أرواح ولده قبل التراب حتى عاد طيناً لازبا ، **اللازب** : هو الذي يلتصق بعضه ببعض ، ثم ترك حتى أنتن ، **فذلك حيث يقول : من حمإ مسنون قال : منتن . ثم قال للملائكة : إني خالق بشرا من طين** : فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه . **يقول** : أتتكبر عما خلقت بيدي ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعاً إبليس فكان يمر به فيضربه الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصة ، **فلذلك حين يقول : من صلصال كالفخار** : ويقول لأمر ما خلقت ! . ودخل من فمه وخرج من دبره ، **فقال إبليس للملائكة** : لا ترهبوا من هذا فإنه أجوف ولئن سلطت عليه لأهلكنه .

قول الله **تعالى** : **﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** (٣٢) قوله تعالى : **سبحانك** : أي تنزيهاً لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك . والواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون . قوله تعالى : **﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ**

تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣) معناها : أمره الله أن يعلمهم بأسمائهم بعد أن عرضهم على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه تنبيهاً على فضله وعلو شأنه ، فكان افضل منهم بأن قدمه عليهم وأسجدهم له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه . فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجوداً له ، مختصاً بالعلم . **الثانية** : في هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله ، وفي الحديث : ((**وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم**))[1] أي تخضع وتتواضع ، وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ، لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأدبت بذلك الأدب . فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظاماً للعلم وأهله ، ورضى منهم بالطلب له والشغل به هذا في الطلاب منهم فكيف بالأحبار فيهم والربانيين منهم ! جعلنا الله منهم وفيهم ، إنه ذو فضل عظيم .

قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٣٤) ومعنى : اسجدوا لآدم** : اسجدوا لي مستقبلين وجه آدم . وهو كقوله تعالى : **﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ (الإسراء:٧٨)** أي عند دلوك الشمس ، **وقال بعضهم** : عيروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فأمروا بالسجود له تكريماً . ويحتمل أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له **معاقبة لهم على قولهم** : أتجعل فيها من يفسد فيها ، **لما قال لهم** : إني جاعل في الأرض خليفة ، وكان علم منهم أنه إن خاطبهم أنهم قائلون هذا ، **فقال لهم** : إني خالق بشرا من طين ، وجاعله خليفة ، فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

قوله تعالى : **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥)** لا خلاف أن الله

---

[1] **صحيح** . أخرجه ابن ماجة (ح / ٢٢٣ (وأحمد (٤ / ٢٣٩ ــ ٢٤١) .

تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة ، **وبعد إخراجه قال لآدم** : اسكن **أي** : لازم الإقامة واتخذها مسكناً ، وهو محل السكون . وسكن إليه يسكن سكوناً **والسكن** : النار . **وفي قوله : اسكن** : تنبيه على الخروج ، لأن السكنى لا تكون ملكاً ولهذا **قال بعض العارفين** : السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع ، فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة .

وزوج آدم عليه السلام وهي حواء عليها السلام ، وهو أول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير أن يحس آدم عليه السلام بذلك ، ولو ألم بذلك لم يعطف رجل على امرأته ، **فلما انتبه قيل له : من هذه ؟ قال** : امرأة ، **قيل** : وما اسمها ؟ **قال** : حواء ، **قيل** : ولم سميت امرأة ؟ **قال** : لأنها من المرء أخذت ، **قيل** : ولم سميت حواء ؟ **قال** : لأنها خلقت من حي . روي أن الملائكة سألته عن ذلك لتجرب علمه ، **وأنهم قالوا له** : أتحبها يا آدم ؟ **قال** : نعم ، **قالوا لحواء** : أتحبينه يا حواء ؟ **قالت** : لا ، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه . **قالوا** : فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء .

قال ابن مسعود وابن عباس : لما اسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشاً ، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها ، **فلما انتبه رآها فقال** : من أنت ؟ ! **قالت** : امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي ، وهو معنى قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٨٩)** اختلف أهل التأويل في تعيين هذه الشجرة التي نهي عنها فأكل منها ، **فقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة** : هي الكرم ، ولذلك حرمت علينا الخمر . **وقال ابن عباس أيضاً وأبو مالك و قتادة** : هي السنبلة ، والحبة منها ككلى البقر ، أحلى من العسل وألين من الزبد ، قاله وهب بن منبه . ولما تاب الله على آدم جعلها غذاء لنبيه . **وقال ابن جريج عن بعض الصحابة** : هي

شجرة التين ، وكذا روى سعيد عن قتادة ،ولذلك تعبر في الرؤيا بالندامة لآكلها من أجل ندم آدم عليه السلام على أكلها . قول الله تعالى : **﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** (٣٦) أي استزلهما وأوقعهما فيها . **قال ابن كيسان :** فأزالهما من الزوال ، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية . **وقالت طائفة :** إن إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد ما أخرج منها وإنما أغوى بشيطانه وسلطانه ووسواسه التي أعطاه الله تعالى ، كما قال ﷺ : ((**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**)) [1]. يذكر أن الحية كانت خادم آدم عليه السلام في الجنة فخانته بأن مكنت عدو الله من نفسها وأظهرت العدواة له هناك ، فلما أهبطوا تأكدت العداوة وجعل رزقها التراب ، **وقيل لها :** أنت عدو بني آدم وهم أعداؤك وحيث لقيك منهم أحد شدخ رأسك . روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : ((**خمس يقتلهن الحرم**)) [2]فذكر الحية فيهن .

قوله تعالى : **﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (٣٧) **قالت طائفة :** المراد بالكلمات البكاء والحياء والدعاء . **وقيل :** الندم والاستغفار والحزن . **قال ابن عطية :** وهذا يقتضي أن آدم عليه السلام لم يقل شيئاً إلا الاستغفار المعهود . **قال سعيد بن جبير :** لما أهبط آدم إلى الأرض لم يكن فيها شيء غير النسر في البر ، والحوت في البحر ، فكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده ، **فلما رأى النسر آدم قال :** يا حوت ، لقد أهبط اليوم إلى الأرض شيء يمشي على رجليه ويبطش بيديه ! **فقال الحوت :** لئن كنت صادقاً مالي منه في البحر منجى ، ولا لك في البر منه مخلص ! .

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (الاعتكاف ، ح / ٢٠٣٨) ومسلم في (الدم ، ح / ٢٤) .

[2] **صحيح** . أخرجه أحمد (٦ / ٢٠٣) .

قال تعالى : **﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (٣٨) **قيل** : الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثانية من السماء إلى الأرض . وعلى هذا يكون فيه دليل على أن الجنة في السماء السابعة . **قال وهب بن منبه** : لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، **قال إبليس للسباع** : إن هذا عدو لكم فأهلكوه ، فاجتمعوا وولوا أمرهم إلى الكلب **وقالوا** : أنت أشجعنا ، وجعلوه رئيساً ، فلما رأى ذلك آدم عليه السلام **تحير في ذلك ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له** : امسح يدك على رأس الكلب ، ففعل ، فلما رأت السباع أن الكلب ألف آدم تفرقوا . واستأمنه الكلب فأمنه آدم ، فبقي معه ومع أولاده . وقال الترمذي الحكيم نحو هذا ، وأن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض جاء إبليس إلى السباع فأشلاهم على آدم ليؤذوه ، وكان أشدهم عليه الكلب ، فأميت فؤاده ، فروي في الخبر أن جبريل عليه السلام أمره أن يضع يده على رأسه فوضعها فاطمأن إليه وألفه ، فصار ممن يحرسه ويحرس ولده ويألفهم وبموت فؤاده يفزع من الآدميين ، فلو رمي بمدر ولى هارباً ثم يعود آلفاً لهم . ففيه شعبة من إبليس ، وفيه شعبة من مسحة آدم عليه السلام ، فهو بشعبة إبليس ينبح ويهر ويعدو على الآدمي ، وبمسحة آدم مات فؤاده حتى ذل وانقاد وألف به وبولده يحرسهم ، ولهثه على كل أحواله من موت فؤاده ، ولذلك شبه الله سبحانه وتعالى العلماء السوء بالكلب .

قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (٣٩) أي أشركوا ، لقوله : **﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الصحبة** : الاقتران بالشيء في حالة ما ، في زمان ما ، فإن كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصحبة ، وهكذا هي صحبة أهل النار لها .

قوله تعالى : **﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** (٤٠) **عن الخليل بن أحمد** : خمسة من الأنبياء ذوو اسمين ، محمد وأحمد نبينا ﷺ ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ،

ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل ﷺ. **وقيل** : إنه أراد الذكر بالقلب وهو المطلوب ، أي لا تغفلوا عن نعتمي التي أنعمت عليكم ولا تناسوها ، وهو حسن قال الله تعالى : **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** **(النحل:١٨)** أي نعمه . ومن نعمه عليهم أن أنجاهم من آل فرعون ، وجعل منهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب والمن والسلوى ، وفجر لهم من الحجر الماء ، إلى ما استودعهم من التوارة التي فيها صفة محمد ﷺ ونعته ورسالته .

قوله تعالى : **﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾**(٤١) أي صدقوا ، يعني بالقرآن . **وقيل** : المعنى ولا تشتروا بأوامري ونواهي وآياتي ثمناً قليلاً ، يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له ، فسمي ما اعتاضوه عن ذلك ثمناً ، لأنهم جعلوه عوضاً ، فانطلق عليه اسم الثمن وإن لم يكن ثمناً .

قول الله تعالى : **﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٤٢) **اللبس** : الخلط . لبست عليه الأمر ألبسه ، إذا مزجت بينه بمشركة وحقه بباطله قال الله تعالى : **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾** **(الأنعام:٩)** وفي الأمر لبسه ، أي ليس بواضح . ومن هذا المعنى قول علي **رضي الله** ﷺ بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله . روي **عن ابن عباس وغيره** : لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل ، وهو التغيير والتبديل **وقال أبو العالية** : **قالت اليهود** : محمد مبعوث ولكن إلى غيرنا . فإقرارهم ببعثه حق ، وجحدهم أنه بعث إليهم باطل . **وقال ابن زيد** : المراد بالحق التوارة ، والباطل ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه السلام وغيره .

قوله تعالى : **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** (٤٣) معناه الوجوب ، ولا خلاف فيه ، **والإيتاء** : **الإعطاء** . **آتيته أعطيته** ، **قال الله تعالى** : **﴿ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾** **(التوبة:٧٥)** والزكاة مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد ، **يقال** : زكا الزرع والمال يزكوا ، إذا كثر وزاد . وجل زكي ،

أي زائد الخير . وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثاب به المزكي . **ويقال** : زرع زاك بين الزكاء . **وزكأت الناقة بولدها تزكأ به** : إذا رمت به من بين رجليها . **وزكا الفرد** : إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعاً . **وقيل** : الزكاة مأخوذة من التطهير ، **كما يقال** : زكا فلان ، أي طهر من دنس الجرحة والإغفال . فكأن الخارج من المال يطهره من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين . ألا ترى أن النبي سمى ما يخرج من الزكاة أوساخ الناس ، وقد قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ **(التوبة:١٠٣)** .

قوله تعالى : **واركعوا** : الركوع في اللغة الانحناء بالشخص ، وكل منحن راكع **وقيل** : الانحناء يعم الركوع والسجود ، ويستعار أيضاً في الانحطاط في المنزلة **قال** : ولا تعاد الضعيف علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه ، واختلف الناس في تخصيص الركوع بالذكر ، **فقال قوم** : جعل الركوع لما كان من أركان الصلاة عبارة عن الصلاة .

قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (٤٤) هذا استفهام معناه التوبيخ ، والمراد في قول أهل التأويل علماء اليهود . **قال ابن عباس** : كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي **قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين** : أثبت على الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل ـ **يريدون محمداً** ﷺ ـ فإن أمره حق ، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه . **وعن ابن عباس أيضاً** : كان الأحبار يأمرون مقلديهم واتباعهم باتباع التوراة ، وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد ﷺ . **وقال ابن جريج** : كان الأحبار يحضون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصي . **وقالت فرقة** : كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون . **وقال بعض أهل الإشارات** : المعنى أتطالبون الناس بحقائق المعاني وأنتم تخالفون عن ظواهر رسومها ! .

قوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ **(٤٥) قال مجاهد : الصبر في هذه الآية الصوم ، ومنه قيل لرمضان** : شهر الصبر ، فجاء الصوم والصلاة على هذا القول في الآية متناسباً في أن الصيام يمنع من الشهوات ويزهد في الدنيا ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتخشع ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر الآخرة . الصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعه من تطاولها ، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين . **قال يحيى بن اليمان** : الصبر ألا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله ، والرضا بما قضى الله من أمر دنياك وآخرتك . **وقال الشعبي** : قال علي ﷺ : **الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . قال الطبري** : وصدق علي ﷺ ، وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الإيمان بالإطلاق . فالصبر على العمل بالشرائع نظير الرأس من الجسد للإنسان الذي لا تمام له إلا به .

قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ (٤٨) **أمر معناه الوعيد ، ويوما** يريد عذابه وهوله ، وهو يوم القيامة . **ومناها** : أي لا تؤاخذ نفس بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيئا ، **تقول** : جزى عني هذا الأمر يجزي ، **كما تقول** : قضى عني . واجتزأت بالشيء اجتزاء إذا اكتفيت به . **ومعنى لا تجزي** : لا تقضي ولا تغني ولا تكفي إن لم يكن عليها شيء ، فإنها تجزي وتقضي وتغني بغير اختيارها من حسناته ما عليها من الحقوق ، كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)) (١) .

---

(1) **صحيح** . أخرجه البخاري (٨ / ١٣٨) وأحمد (٢ /٥٠٦) .

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ (٤٨) النفس الكافرة لا كل نفس .

قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ (٤٩) أي اذكروا نعمتي بإنجائكم من عدوكم وجعل الأنبياء فيكم . والخطاب للموجودين والمراد من سلف من الآباء . **وقيل** : إنما قال نجيناكم لأن نجاة الآباء كانت سبباً لنجاة هؤلاء الموجودين . **ومعنى : نجيناكم** : ألقيناكم على نجوة من الأرض ، وهي ما ارتفع منها . والقول في اختلاف العلماء في كيفية إنجاء بني إسرائيل فذكر الطبري أن موسى عليه السلام أوحي إليه أن يسري من مصر ببني إسرائيل فأمرهم موسى أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط ، وأحل الله ذلك لنبي إسرائيل ، فسرى بهم **موسى من أول الليل** ، **فأعلم فرعون فقال** : لا يتبعهم أحد حتى تصيح الديكة ، فلم يحص تلك الليلة بمصر ديك ، وأمات الله تلك الليلة كثيراً من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن وخرجوا في الأتباع مشرقين ، كما قال تعالى : ﴿ **فَأَتْبَعُوهُمْ** ﴾ وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه . وكانت عدة بني إسرائيل نيفاً على ستمائة ألف . وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف . **وقيل** : إن فرعون أتبعه في ألف ألف حصان سوى الإناث . **وقيل** : دخل إسرائيل ــ **وهو يعقوب عليه السلام** ــ مصر في ستة وسبعين نفساً من ولده وولده ولده ، فأنمى الله عددهم وبارك في ذريته ، حتى خرجوا إلى البحر يوم فرعون وهم ستمائة ألف من المقاتلة سوى الشيوخ والذرية والنساء .

وعن عبد الله بن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون فأمر بشاة فذبحت ، **ثم قال** : لا والله لا يفرغ من سلخها حتى تجتمع لي ستمائة ألف من القبط ، **قال** : فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر ، **فقال له** : افرق ، **فقال له البحر** : لقد استكبرت يا موسى ! وهل فرقت لأحد من ولد آدم

فأفرق لك ! **قال** : ومع موسى رجل على حصان له ، **قال : فقال له ذلك الرجل** : أين أمرت يا نبي الله ؟ **قال** : ما أمرت إلا بهذا الوجه ، **قال** : فاقتحم **فرسه فسبح فخرج فقال أين أمرت يا نبي الله قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه قال** : والله ما كذبت ولا كذبت ، ثم اقتحم الثانية فسبح به حتى خرج ، **فقال** : **أين أمرت يا نبي الله ؟ فقال** : ما أمرت إلا بهذا الوجه ، **قال** : والله ما كذبت ولا كذبت ، **قال فأوحى الله إليه** : إن اضرب بعصاك البحر فضربه موسى بعصاه : **﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣)** . فكان فيه اثنا عشر فرقاً ، لاثني عشر سبطا ، لكل سبط طريق يتراءون ، وذلك أن أطواد الماء صارفيها طيقاناً وشبابيك يرى منها بعضهم بعضا ، فلما خرج أصحاب موسى وقام أصحاب فرعون التطم البحر عليهم فأغرقهم . ويذكر أن البحر هو بحر القلزم ، وأن الرجل الذي كان مع موسى على الفرس هو فتاه يوشع بن نون . وأن الله تعالى أوحى إلى البحر أن انفرق لموسى إذا ضربك ، فبات البحر تلك الليلة يضطرب ، فحين أصبح البحر وكناه أبا خالد .

ذكر الله تعالى الإنجاء والإغراق ، ولم يذكر اليوم الذي كان ذلك فيه . **فروى مسلم عن ابن عباس** : أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ((**ما هذا اليوم الذي تصومونه ، فقالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ، فنحن نصومه . فقال رسول الله ﷺ : فنحن أحق وأولى بموسى منكم**))[1] فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه . **وقول ابن عباس للسائل** : فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً ليس فيه دليل على ترك صوم العاشر ، بل وعد أن يصوم التاسع مضافاً إلى العاشر . **قالوا** : فصيام اليومين جمع بين

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (٣ / ٥٧) ومسلم في (الصيام ، ح / ١٢٨) .

الأحاديث . **وقول ابن عباس لـ لحكم لما قال له** : هكذا كان محمد ﷺ يصومه؟ **قال** : نعم معناه أن لو عاش ، وإلا فما كان النبي ﷺ صام التاسع قط .

وقيل : المعنى : وأنتم تنظرون : أي ببصائركم الاعتبار ، لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار . **وقيل** : المعنى وأنتم بحال من ينظر لو نظر ، **كما تقول** : هذا الأمر منك بمرأى ومسمع ، أي بحال تراه وتسمعه إن شئت . وهذا القول والأول أشبه بأحوال بني إسرائيل لتوالي عدم الاعتبار فيما صدر من بني إسرائيل بعد خروجهم من البحر ، وذلك أن الله تعالى لما أنجاهم وغرق **عدوهم قالوا** : يا موسى إن قلوبنا لا تطمئن أن فرعون قد غرق ! حتى أمر الله البحر فلفظه فنظروا إليه . **عن قيس بن عباد : أن بني إسرائيل قالت** : ما مات فرعون وما كان ليموت أبداً ! **قال** : فلما أن سمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، رمى به على ساحل البحر كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل ، فلما اطمأنوا وبعثوا من طريق البر إلى مدائن فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النعمة ، رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، حتى زجرهم **موسى وقال** : أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ، **أي عالمي زمانه** . ثم أمرهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة التي كانت مساكن آبائهم ويتطهروا من أرض فرعون .

وكانت الأرض المقدسة في أيدي الجبارين قد غلبوا عليها فاحتاجوا إلى دفعهم عنها بالقتال ، **فقالوا** : أتريد أن تجعلنا لحمة للجبارين ! فلو أنك تركتنا في يد فرعون كان خيراً لنا . **قال** : **﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:٢١)** حتى دعا عليهم وسماهم فاسقين . فبقوا في التيه أربعين سنة عقوبة ثم رحمهم فمن عليهم بالسلوى وبالغمام ـ **على ما يأتي بيانه** ـ ، ثم سار موسى إلى طور سيناء ليجيئهم بالتوارة ، فاتخذوا العجل ـ **على ما يأتي بيانه** ـ **ثم قيل لهم** : ـ قد وصلتم إلى بيت المقدس فادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ـ **على ما يأتي** ـ ،

وكان موسى عليه السلام شديد الحياء ستيراً ، **فقالوا** : إنه آدر . فلما اغتسل وضع على الحجر ثوبه ، فعدا الحجر بثوبه إلى مجالس بني إسرائيل ، وموسى **على أثره عريان وهو يقول** : يا حجر ثوبي ! فذلك قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (الأحزاب:٦٩) ثم لما مات هارون قالوا له** : أنت قتلت هارون وحسدته حتى نزلت الملائكة بسريره وهارون ميت عليه ـ وسيأتي في المائدة ، ثم سألوه أن يعلموا آية في قبول قربانهم ، فجعلت نار تجيء من السماء فتقبل قربانهم ، ثم سألوه أن بين لنا **كفارات ذنوبنا في الدنيا فكان من أذنب ذنباً أصبح على بابه مكتوب** : عملت كذا ، وكفارته قطع عضو من أعضائك يسميه له ، ومن أصابه بول لم يطهر حتى يقرضه ويزيل جلدته من بدنه ، ثم بدلوا التوارة وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم واشتروا به عرضاً ، ثم صار أمرهم إلى أن قتلوا أنبياءهم ورسلهم . فهذه معاملتهم مع ربهم وسيرتهم في دينهم وسوء أخلاقهم . **قال الطبري** : وفي أخبار القرآن على لسان محمد عليه السلام بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت إلا في حق بني إسرائيل دليل واضح عند بني إسرائيل قائم عليهم بنبوة محمد ﷺ .

قول الله تعالى : **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** (٥٩) أي فبدل الظالمون منهم قولاً غير الذي قيل لهم . **وذلك أنه قيل لهم** : قولوا حطة ، فقالوا حنطة ، على ما تقدم فزادوا حرفاً في الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا ، تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر . هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة أوجبت كل ذلك من العذاب ، فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود ! هذا والقول أنقص من العمل ، فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل . قوله تعالى : **﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ**

رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٦٠) وقد استسقى نبينا محمد ﷺ : فخرج إلى المصلى متواضعاً متذللاً متخشعاً مترسلاً متضرعاً وحسبك به ! فكيف بنا ولا توبة معنا إلا العناد ومخالفة رب العباد ، فأنى نسقى ! لكن قد قال ﷺ في حديث ابن عمر : ((**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**)) قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٦١) .**

كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى ، وتذكروا عيشهم الأول بمصر . **قال الحسن** : كانوا نتانى أهل كراث وأبصال وأعداس ، فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء ، **واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا** : لن نصبر على طعام واحد . وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر ، **فلذلك قالوا** : طعام واحد . **وقيل** : لتكرارهما في كل يوم غذاء ، **كما تقول لمن يدوام على الصوم والصلاة والقراءة** : هو على أمر واحد ، لملازمته لذلك .

قوله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)** أي : صدقوا بمحمد ﷺ . **وقال سفيان** : المراد المنافقون . **كأنه قال** : الذين آمنوا في ظاهر أمرهم ، فلذلك قرنهم باليهود والنصارى والصابئين ، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم . قوله تعالى : **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦٣) قال أبو عبيدة** : المعنى زعزعناه فاستخرجناه من مكانه .

قال : وكل شيء قلعته فرميت به فقد نتقته . **وقيل** : نتقناه رفعناه . **القول في سبب رفع الطور وذلك أن موسى عليه السلام لما جاء بني إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوارة قال لهم** : خذوها والتزموها . **فقالوا** : لا ! إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك . فصعقوا ثم أحيوا . **فقال لهم** : خذوها . **فقالوا** : لا . فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله ، وكذلك كان عسكرهم ، فجعل عليهم مثل الظلة ، وأتوا ببحر من خلفهم ، ونار من قبل وجوههم ، **وقيل لهم** : خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها ، وإلا سقط عليكم الجبل . فسجدوا توبة لله . وأخذوا التوارة بالميثاق .

قول الله تعالى : **﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (٦٤) تولى تفعل ، واصله الإعراض والأدبار عن الشيء بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأوامر والأديان والمعتقدات اتساعاً ومجازاً . **وقوله : من بعد ذلك** : أي من بعد البرهان ، وهو أخذ الميثاق ورفع الجبل .

قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾** (٦٥) **روى أشهب بن مالك قال** : زعم ابن رومان أنهم كانوا يأخذ الرجل منهم خيطاً ويضع فيه وهقة وألقاها في ذنب الحوت ، وفي الطرف الآخر من الخيط وتد وتركه كذلك إلى الأحد ، ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع لا يبتلى ، حتى كثر صيد الحوت ومشي به في الأسواق ، وأعلن الفسقة بصيده . فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنهي واعتزلت . **ويقال** : **إن الناهين قالوا** : لا نسكنكم ، فقسموا القربة بجدار . فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد ، **فقالوا** : إن للناس لشأنا ، فعلوا على الجدار فنظروا فإذا هم قردة ، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا يعرف الإنس أنسابهم من القردة ، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي ، **فيقول** : ألم ننهكم !فتقول برأسها نعم . **قال قتادة** : صار الشبان

قردة ، والشيوخ خنازير ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم . وسيأتي في **الأعراف قول من قال** : إنهم كانوا ثلاث فرق . وهو أصح من قول من **قال : إنهم لم يفترقوا إلا فرقتين** .

قوله تعالى : **﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾** (٦٦) **قيل** : نكالاً أقاويل ، **قيل** : العقوبة . **وقيل** : القرية ، إذ معنى الكلام يقتضيها . **وقيل** : الأمة التي مسخت . **وقيل** : الحيتان ، وفيه بعد . **والنكال** : الزجر والعقاب . **والنكل والأنكال** : القيود . وسميت القيود أنكالاً لأنها ينكل بها ، أي يمنع . **ويقال للجام الثقيل** : نكل ونكل ، لأن الدابة تمنع به . ونكل عن الأمر ينكل ، ونكل ينكل إذا امتنع . والتنكيل إصابة الأعداء بعقوبة تنكل من وراءهم ، أي تجبنهم . قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** (٦٧) لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم ، والنحر أولى في الإبل ، والتخير في البقر **وقيل** : الذبح أولى ، لأنه الذي ذكره الله ، ولقرب المنحر من المذبح . **قال ابن المنذر** : لا أعلم أحداً حرم أكل ما نحر مما يذبح ، أو ذبح مما ينحر . **قال الماوردي** : وإنما أمروا ـ والله أعلم ، بذبح بقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كان يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته . وهذا المعنى علة في ذبح البقرة ، وليس بعلة في جواب السائل ، ولكن المعنى فيه أن يحيا القتيل بقتل حي ، فيكون أظهر لقدرته في اختراع الأشياء من أضدادها . قوله تعالى : **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾** (٦٨) هذا تعنيت منهم وقلة طواعية ، ولو امتثلوا الأمر وذبحوا أي بقرة كانت لحصل المقصود ، لكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم . قوله تعالى : **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾** (٦٩) جمهور المفسرين أنها صفراء اللون ، من

الصفرة المعروفة . **قال مكي عن بعضهم** : حتى القرن والظلف . **وقال الحسن وابن جبير** : كانت صفراء القرن والظلف فقط . وعن الحسن أيضاً صفراء معناه سوداء ، **قال الشاعر** : تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب .

قوله تعالى : **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾** (٧٠) وذكر البقر لأنه بمعنى الجمع .

قوله تعالى : **﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾** (٧١) **قال الحسن** : وكانت تلك البقرة وحشية ، ولهذا وصفها الله تعالى بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث ، أي لا يسنى بها لسقي الزرع ولا يسقى عليها . والوقف ها هنا حسن . **ولا ذلول** : ويحتمل أن تكو ن تثير الأرض في غير العمل مرحاً ونشاطاً . قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾** (٧٢) **معناها : وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها : فقال موسى** : إن الله يأمركم بكذا ، وهذا كقوله : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾** (الكهف:١) أي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً ومثله كثير ، **وسبب القتل** : لابنة له حسناء أحب أن يتزوجها ابن عمها فمنعه عمه ، فقتله وحمله من قريته إلى قرية أخرى فألقاه هناك . **وقيل** : ألقاه بين قريتين . **وقيل** : قتله طلباً لميراثه ، فإنه كان فقيراً وادعى قتله على بعض الأسباط . **قال عكرمة** : إن لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً لكل باب قوم يدخلون منه ، فوجدوا قتيلاً في سبط من الأسباط ، فادعى هؤلاء على هؤلاء ، وادعى هؤلاء على هؤلاء ، ثم أتوا موسى يختصمون إليه فقال : **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** (٦٧) .

قوله تعالى : **﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) **قيل** : باللسان لأنه آلة الكلام . **وقيل** : بعجب الذنب ، إذ فيه يركب خلق الإنسان . **وقيل** : بالفخذ . **وقيل** : بعظم من عظامها ، والمقطوع به عضو من أعضائها ، فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان . قوله تعالى : **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** (٧٤) **قال ابن عباس** : المراد قلوب ورثة القتيل ، لأنهم حين حيي وأخبر بقاتله وعاد إلى موته أنكروا قتله ، **وقالوا** : كذب ، بعد ما رأوا هذه الآية العظمى ، فلم يكونوا قط أعمى قلوباً ، ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك ، لكن نفذ حكم الله بقتله . روى الترمذي عن عبد الله بن عمر **قال** : **قال** رسول الله ﷺ : ((**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**))[1] قول الله تعالى : **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (٧٥) هذا استفهام فيه معنى الإنكار ، كأنه أيأسهم من إيمان هذه الفرقة من اليهود ، أي إن كفروا فلهم سابقة في ذلك . والخطاب لأصحاب النبي ﷺ . وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم . **وقيل** : الخطاب للنبي ﷺخاصة ، عن ابن عباس . أي لا تحزن على تكذيبهم إياك ، وأخبره أنهم من أهل السوء الذين مضوا . **واختلف الناس بماذا عرف موسى كلام الله ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه ، فمنهم من قال** : إنه سمع كلاماً ليس بحروف وأصوات ، وليس فيه تقطيع ولا نفس ، فحينئذ علم أن ذلك ليس هو كلام الشر وإنما هو كلام رب العالمين . **وقال آخرون** : إنه لما سمع كلاماً لا من جهة ، وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست ، علم

---

[1] **ضعيف الجامع** . (ح / ٦٢٦٥) .

أنه ليس من كلام البشر . **وقيل** : إنه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام ، فعلم أنه كلام الله . **وقيل فيه** : إن المعجزة دلت على أن ما سمعه هو كلام الله ، **وذلك أنه قيل له** : ألق عصاك ، فألقاها فصارت ثعباناً ، فكان ذلك علامة له على صدق الحال ، **وأن الذي يقول له** : "**إني أنا ربك**" هو الله جل وعز . **وقيل** : إنه قد كان أضمر في نفسه شيئاً لا يقف عليه إلا علام الغيوب ، فأخبره الله تعالى في خطابه بذلك الضمير ، فعلم أن الذي يخاطبه هو الله جل وعز .

قوله تعالى : **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** (٧٦) **وإذا خلا بعضهم إلى بعض** : الآية في اليهود ، وذلك أن أناسا منهم أسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به آباؤهم ، **فقالت لهم اليهود** : **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم** : أي حكم الله عليكم من العذاب ، لقولوا نحن أكرم على الله منكم . قوله تعالى : **﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾** (٧٨) أي من اليهود . **وقيل** : من اليهود والمنافقين أميون أي من لا يكتب ولا يقرأ ، واحدهم أمي ، منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادة أمهاتهم لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها . **قال أبو عبيدة** : إنما قيل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم ، كأنهم نسبوا إلى أم الكتاب ، **فكأنه قال** : ومنهم أهل الكتاب لا يعلمون الكتاب .

قوله : **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾** (٧٩) اختلف في الويل ما هو ، فروى عثمان بن عفان عن النبي ﷺ : ((إنه **جبل من نار**)) . قوله تعالى : **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (٨٠) **يعني** : اليهود . **قوله** : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة : اختلف في سبب

نزولها ، **فقيل** : إن النبي ﷺ قال لليهود : ((**من أهل النار ؟ قالوا : نحن ، ثم تخلفونا أنتم . فقال : كذبتم ، لقد علمتم أنا لا نخلفكم**))[1] فنزلت هذه الآية .

قال قتادة : إن اليهود قالت إن الله أقسم أن يدخلهم النار أربعين يوما عدد عبادتهم العجل ، فأكذبهم الله قوله تعالى : **﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) قال الفراء : إذا قال الرجل لصاحبه** : مالك علي شيء ، **فقال الآخر** : نعم ، كان ذلك تصديقاً ، لأن لا شيء له عليه ، **ولو قال** : بلى ، كان رداً لقوله ، **وتقديره** : بلى لي عليك . **وفي التنزيل** : ألست بربكم قالوا بلى ولو قالوا نعم لكفروا . قوله تعالى : **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٨٣)** واختلف في الميثاق هنا ، **فقال مكي** : هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر ، **وقيل** : هو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على ألسنة أنبيائهم وهو قوله : **﴿ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ وعبادة الله** : إثبات توحيده ، وتصديق رسله ، والعمل بما أنزل في كتبه.

قوله تعالى : **﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥)** هذه الآية خطاب للمواجهين لا يحتمل رده إلى الأسلاف . نزلت في بني قينقاع وقريظة والنضير من اليهود ، وكانت بنو قينقاع أعداء قريظة ، وكانت الأوس حلفاء بني قينقاع ، والخزرج حلفاء بني قريظة . والنضير والأوس والخزرج إخوان ، وقريظة والنضير أيضاً إخوان ،

---

[1] **أنظر** : الدر المنثور للسيوطي (١ / ٨٥) .

ثم افترقوا فكانوا يقتتلون ، ثم يرتفع الحرب فيفدون أسراهم ، فعيرهم الله بذلك **فقال** : وإن يأتوكم أسارى تفادوهم . **قال ابن خويز منداد** : تضمنت الآية وجوب فك الأسرى ، وبذلك وردت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فك الأسارى وأمر بفكهم ، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع . ويجب فك الأسارى من بيت المال ، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين ، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين .

قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾** (٨٧) يعني التوارة . **وقفينا** : أي أتبعنا . **والتقفية** : الإتباع والإرداف ، مأخوذ من إتباع القفا وهو مؤخر العنق . قوله تعالى :**﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾** (٨٨) **قال مجاهد** : **غلف** : عليها غشاوة . **وقال عكرمة** : عليها طابع قوله تعالى : **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** (٨٩) يعني اليهود . **كتاب** : يعني القرآن . **من عند الله مصدق** : نعت لكتاب . ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال ، وذلك هو في مصحف أبي بالنصب **لما معهم** : يعني التوارة والإنجيل يخبرهم بما فيهما . قوله تعالى : **﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** (٩٠) بئس في كلام العرب مستوفية للذم ، كما أن نعم مستوفية للمدح . **وفي كل واحد منها أربع لغات** : بئس بئس بئس بئس . نعم نعم نعم نعم . قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٩١) **وإذا قيل لهم آمنوا** : أي صدقوا : **بما أنزل الله** : يعني

القرآن ، **قالوا نؤمن** : أي نصدق ، **بما أنزل علين** : يعني التوارة . قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** (٩٢) اللام لام القسم . **والبينات قوله تعالى** : ولقد آتينا موسى تسع آيات **بينات**: وهي العصا ، والسنون ، واليد ، والدم ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، وفلق البحر . **وقيل** : البينات التوارة ، وما فيها من الدلالات . قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٩٣) **ومعنى اسمعوا** : أطيعوا ، وليس معناه الأمر بإدراك القول فقط وإنما المراد اعملوا بما سمعتم والتزموه ، ومنه **قولهم** : سمع الله لمن حمده ، أي قبل وأجاب . **قال** : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول أي يقبل

قوله تعالى : **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (٨٠) **قيل** : إن الله صرفهم عن إظهار التمني ، وقصرهم على الإمساك ليجعل ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم . قول الله تعالى : **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** (٩٦) **يعني اليهود . ومن الذين أشركوا : قيل** : المعنى وأحرص ، فحذف ، ومن الذين أشركوا ، لمعرفتهم بذنوبهم وألا خير لهم عند الله ، ومشركو العرب لا يعرفون إلا هذه الحياة ولا علم لهم من الآخرة.

قوله تعالى : **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٩٧) **سبب نزولها** : أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : ((**إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي ، فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ قال : جبريل ، قالوا : ذاك**

الذي ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدونا ! لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك ، فأنزل الله الآية إلى قوله : للكافرين)) قوله تعالى : **﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** (٩٨) هذا وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام ، وإعلان أن عدواة البعض تقتضي عدواة الله لهم . وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ، ومعاداة أوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه . فإن **قيل** : لم خص الله جبريل وميكائيل بالذكر وإن كان ذكر الملائكة قد عمهما ؟ **قيل له** : خصهما بالذكر تشريفاً لهما ، **كما قال** : فيهما فاكهة ونخل ورمان . **وقيل** : خصا لأن اليهود ذكروهما ، ونزلت الآية بسببهما ، فذكرهما واجب لئلا **تقول اليهود** : إنه لم نعاد الله وجميع ملائكته ، فنص الله تعالى عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص .

قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾** (٩٩) **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله ﷺ : **يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها؟ فأنزل الله هذه الآية** .

قوله تعالى : **﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾** (١٠٠) **قيل** : إن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب ، فلما بعث كفروا به . **وقال عطاء** : هي العهود التي كانت بين النبي ﷺ وبين اليهود فنقضوها ، كفعل قريظة والنضير ، دليله قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال:٥٦) ومعنى : نبذه فريق منهم : النبذ** : الطرح والإلقاء ، ومنه النبيذ والمنبوذ .

قوله تعالى : **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** (١٠١) قال

السدي : نبذوا التوارة وأخذوا بكتاب آصف ، وسحر هاروت وماروت . **وقيل** : يجوز أن يعني به القرآن . **قال الشعبي** : هو بين أيديهم يقرءونه ، ولكن نبذوا العمل به . **وقال سفيان بن عيينة** : ادرجوا في الحرير والديباج ، وحلوه بالذهب

والفضة ، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه ، فذلك النبذ . وقد تقدم بيانه مستوفى . "كأنهم لا يعلمون" تشبيه بمن لا يعلم ، إذ فعلوا فعل الجاهل ، فيجيء من اللفظ أنهم كفروا على علم .

قوله تعالى : **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (١٠٢) .**

هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضاً، وهم اليهود . **وقال السدي** : عارضت اليهود محمداً ﷺ بالتوارة فاتفقت التوارة والقرآن فنبذوا التوارة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت . والفرق بين السحر والمعجزة ، **قال علماؤنا** : السحر يوجد من الساحر وغيره ، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد . والمعجزة لا يمكن الله أحداً أن يأتي بمثلها وبمعارضتها ، ثم الساحر لم يدع النبوة فالذي يصدر منه متميز عن المعجزة ، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها ، كما تقدم في مقدمة الكتاب . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (١٠٤) ذكر شيئاً آخر من جهالات اليهود ، والمقصود نهي المسلمين عن مثل ذلك . وحقيقة

راعنا في اللغة أرعنا ولنرعك ، لأن المفاعلة من اثنين ، فتكون من رعاك الله ، أي أحفظنا ولنحفظك ، وأرقبنا ولنرقبك .

قوله تعالى : **﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** (١٠٥) الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ، معطوف على أهل . **ويجوز** : ولا المشركون ، تعطفه على الذين . قوله تعالى : **﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (١٠٦) هذه آية عظمى في الأحكام ، وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك ، **وقالوا** : إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه فما كان هذا القرآن إلا من جهته ، ولهذا يناقض بعضه بعضاً ، فأنزل الله : **﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** (١٠١) قوله تعالى : **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾** (١٠٧) **قيل** : المعنى أي قل لهم يا محمد ألم تعلموا أن لله سلطان السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ، من وليت أمر فلان ، أي قمت به ، ومنه ولي العهد ، أي القيم بما عهد إليه من أمر المسلمين . قوله تعالى : **﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** (١٠٨) هذه أم المنقطعة التي بمعنى بل ، أي بل تريدون ، ومعنى الكلام التوبيخ .

قوله تعالى : **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (١٢٧) وفي الحديث : ((**إن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة عظام**)) **فقال ابن الزبير** : هذه القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام، **وقيل** : إن القواعد كانت قد اندرست فأطلع الله إبراهيم عليها . **عن ابن عباس قال : لما أهبط آدم من الجنة إلى الأرض قال له** : يا آدم ، اذهب فابن لي بيتاً وطف به ،

واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي ، فأقبل آدم يتخطى وطويت له الأرض ، وقبضت له المفازة ، فلا يقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عمراناً حتى انتهى إلى موضع البيت الحرام ، وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الأرض فأبرز عن رأس ثابت على الأرض السابعة السفلي ، وقذفت إليه الملائكة بالصخر ، فما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً ، وأنه بناه من خمسة أجبل . قوله تعالى : **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (١٢٨) أي صيرنا ، ومسلمين مفعول ثان ، سألا التثبيت والدوام . **والإسلام في هذا الموضع** : الإيمان والأعمال جميعاً ، ومنه قوله تعالى : **"إن الدين عند الله الإسلام"** ففي هذا دليل **لمن قال** : إن الإيمان والإسلام شيء واحد ، وعضدوا هذا بقوله تعالى في الآية الأخرى : **﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات:٣٥ ـ ٣٦)** قوله تعالى : **﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (١٢٩) يعني محمداً ﷺ . **وقد روى خالد بن معدان** : أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ ، **قالوا له** : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : ((**نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى . و رسولا** أي مرسلاً))[1] وهو فعول من الرسالة . قوله تعالى : **﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (١٣٠) **والمعنى** : يزهد فيها وينأى نفسه عنها ، أي عن الملة وهي الدين والشرع : **﴿ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ قال قتادة** : هم اليهود والنصارى ، رغبوا عن ملة إبراهيم واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله تعالى .

---

(1) أنظر : الشفاء للقاضي عياض (١ / ٣٣٦) .

قال ابن بحر : معناه جهل نفسه وما فيها من الدلالات والآيات الدالة على أن لها صانعاً ليس كمثله شيء ، فيعلم به توحيد الله وقدرته . وهذا هو معنى قول الزجاج فيفكر في نفسه من يدي يبطش بهما ، ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها ، وأذن يسمع بها ، ولسان ينطق به ، وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام ، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء ، وكبد يصعد إليها صفوة ، وعروق ومعابر ينفذ فيها إلى الأطراف ، وأمعاء يرسب إليها ثقل الغذاء ويبرز من اسفل البدن ، فيستدل بهذا على أن له خالقاً قادراً عليماً حكيماً ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ **(الذريات:٢١) وقد استدل بهذه الآية من قال** : إن شريعة إبراهيم شريعة لنا إلا ما نسخ منها ، وهذا كقوله : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ **(الحج:٧٨)** . قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ **(١٣١) العامل في إذ قوله** : أي اصطفيناه إذ قال له ربه أسلم . وكان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس . **قال ابن كيسان والكلبي** : أي أخلص دينك لله بالتوحيد . **وقيل** : اخضع واخشع . **قال ابن عباس** : إنما قال له ذلك حين خرج من السرب . والإسلام هنا على أتم وجوهه . والإسلام **في كلام العرب** : الخضوع والانقياد للمستسلم . وليس كل إسلام إيماناً ، وكل إيمان إسلاماً ، لأن من آمن بالله فقد استسلم وانقاد الله . وليس كل من أسلم آمن بالله ، لأنه قد يتكلم فزعاً من السيف ، ولا يكون ذلك إيماناً ، خلافاً للقدرية والخوارج **حيث قالوا** : إن الإسلام هو الإيمان ، فكل مؤمن مسلم ، وكل مسلم

مؤمن ، لقوله : ((**إن الدين عند الله الإسلام**)) [1] فدل على أن الإسلام هو الدين وأن من ليس بمسلم فليس بمؤمن . قوله تعالى :**﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) ووصى بها إبراهيم** : أي بالملة ، **وقيل** : بالكلمة التي هي قوله : **﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) والمعنى** : وأوصى يعقوب وقال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فيكون إبراهيم قد وصى بنيه ، ثم وصى بعده يعقوب بنيه . وبنوا إبراهيم إسماعيل ، وأمه هاجر القبطية ، وهو أكبر ولده ، نقله إبراهيم إلى مكة وهو رضيع . **وقيل** : كان له سنتان ، **وقيل** : كان له أربع عشرة سنة ، والأول أصح ، على ما يأتي في سورة إبراهيم بيانه إن شاء الله تعالى . وولد قبل أخيه إسحاق بأربع عشرة سنة ، ومات وله مائة وسبع وثلاثون سنة . **وقيل** : مائة وثلاثون . وكان سنة لما مات أبوه إبراهيم عليهما السلام تسعاً وثمانين سنة ، وهو الذبيح في قول . وإسحاق أمة سارة ، وهو الذبيح في قول آخر ، وهو الأصح ، على ما يأتي بيانه في سورة والصافات إن شاءّ الله . ومن ولده الروم واليونان والأرمن ومن يجري مجراهم وبنو إسرائيل . وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة ، ومات بالأرض المقدسة ودفن عند أبيه إبراهيم الخليل عليهما السلام . ثم لما توفيت سارة تزوج إبراهيم عليه السلام قنطوراً بنت يقطن الكنعانية ، فولدت له مدين ومداين ونهشان وزمران ونشيق وشيوخ ، ثم توفي عليه السلام . وكان بين وفاته وبين مولد النبي ﷺ نحو من ألفي سنة وستمائة سنة واليهود ينقصون من ذلك نحواً من أربعمائة سنة . قوله تعالى : **﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣)** .

---

[1] **صحيح** . أخرجه أحمد (٥ / ١٣٢) .

والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون إلى إبراهيم ما لم يوص بـه بنيـه ، وأنهم على اليهودية والنصرانية ، فرد الله عليهم قولهم وكذبهم ، **وقال لهم على جهة التوبيخ** : أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدعون عن علـم ؟ **أي** : لـم تشهدوا ، بل أنتم تفترون . وأم بمعنى بل ، أي بل أشـهد أسـلافكم يعقـوب . والعامل في إذ الأولى معنى الشهادة ، وإذا الثانية بدل من الأولـى . و شـهداء جمع شاهد أي حاضر . **ومعنى** : ﴿ **حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ** ﴾ أي مقدماته وأسبابه وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئاً . **وعبر عن المعبود بـ ما** : ولم يقل من ، لأنه أراد أن يختبرهم ، ولو قال من لكان مقصوده أن ينظر من لهـم الاهتداء منهم إنما أراد أن تجربتهم فقال ما . وأيضاً فالمعبودات المتعارفة مـن دون الله جمادات كالأوثان والنار والشمس والحجارة ، فاستفهم عما يعبدون مـن هذه . ومعنى من بعدي أي من بعد موتي . **وحكي أن يعقوب حين خيـر كمـا تخير الأنبياء اختار الموت وقال** : أمهلوني **حتى أوصي بني وأهلي** ، **فجمعهـم وقال لهم هذا** ، **فاهتدوا وقالوا** : نعبد إلهك . فأروه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّـا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (١٣٤) تلك مبتدأ ، وأمة خبر ، قد خلت نعت لأمة ، وإن شئت كانت خبر المبتدأ ، وتكون أمة بدلاً من تلك . "**لها ما كسبت**" ما فـي موضـع رفع بالابتداء أو بالصفة على قول الكوفيين . "**ولكم ما كسبتم**" مثله ، يريد مـن خير وشر . وفي هذا دليل على أن العبد يضاف إليه أعمال وإكساب ، وإن كان الله تعالى أقدره على ذلك ، إن كان خيراً فبفضله وإن كان شراً فبعدله ، وهـذا مذهب أهل السنة ، والآي في القرآن بهذا المعنى كثيرة . فالعبد مكتسب لأفعالـه على معنى أنه خلقت له قدرة مقارنة للفعل ، يدرك بهـا الفـرق بـين حركـة الاختيار وحركة الرعشة مثلاً ، وذلكم التمكن من مناط التكليف . قوله تعـالى : ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِـنَ**

الْمُشْرِكِينَ) (١٣٥) دعت كل فرقة إلى ما هي عليه ، فرد الله تعالى ذلك عليهم **فقال : بل ملة : أي قل يا محمد** : بل نتبع ملة ، فلهذا نسب الملة . **وقيل** : المعنى بل نهتدي بملة إبراهيم . وسمي إبراهيم حنيفاً لأنه حنف إلى دين الله وهو الإسلام . **والحنف** : الميل ، ومنه رجل حنفاء ، ورجل أحنف ، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها . قالت أم الأحنف : والله لولا حنف برجله ما كان في فتيانكم من مثله .

قوله تعالى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(١٣٦) عن أبى هريرة ﷺ **قال** : كان أهل الكتاب يقرءون التوارة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ((**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل**))[١] .

قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (١٣٧) الخطاب لمحمد ﷺ وأمته . فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين . **والمعنى** : فإن آمنوا على مثل إيمانكم . **وقيل** : مثل على بابها أي بمثل المنزل ، دليله قوله : ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾(الشورى:١٥) قوله تعالى : ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ (١٣٨) **قوله تعالى : صبغة الله : قال الأخفش وغيره** : دين الله وهو بدل من ملة . **وعن قتادة قال** : إن اليهود تصبغ أبناءهم يهودا ، وإن

---

[١] **أخرجه** البخاري موقوفاً (الشهادات ، باب " ٢٩ ") والصحيحة (ح / ٤٢٣) .

النصارى تصبغ أبناءهم نصارى ، وإن صبغة الله الإسلام **وقال مجاهد** : أي فطرة الله التي فطر الناس عليها . **قال أبو إسحاق الزجاج** : وقول مجاهد هذا يرجع إلى الإسلام ، لأن الفطرة ابتداء الخلق ، وابتداء ما خلقوا عليه الإسلام . **وقال قتادة** : الصبغة الدين . وأصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء ، وهو الذي يسمونه المعمودية ، **ويقولون** : هذا تطهير لهم . وقال ابن عباس : هو أن النصارى كانوا إذا ولد لهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم يقال لهم ماء المعمودية ، فصبغوه بذلك ليطهروا به مكان الختان ، لأن الختان تطهير ، **فإذا فعلوا ذلك قالوا** : الآن صار نصرانياً حقاً ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن **قال** : **صبغة الله** : أي صبغة الله أحسن صبغة وهي الإسلام ، فسمي الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر أثر الصبغ في الثوب . قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**﴾(١٣٩) **قال الحسن** : **كانت المحاجة أن قالوا** : نحن أولى بالله منكم ، لأنا أبناء الله وأحباؤه . **وقيل** : لتقدم آبائنا وكتبنا ، ولأنا لم نعبد الأوثان . **فمعنى الآية** : قل لهم يا محمد ، أي قل لهؤلاء اليهود والنصارى الذي زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنهم أولى بالله منكم لقدم **آبائهم وكتبهم** : أتحاجوننا أي أتجاوبوننا الحجة على دعواكم والرب واحد ، وكل مجازى بعمله ، فأي تأثير لقدم الدين .

قوله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) (١٤٢) **معنى الآية** : أعلم الله تعالى أنهم سيقولون في تحويل المؤمنين من الشام إلى الكعبة : ما ولاهم . وسيقول بمعنى قال ، جعل المستقبل موضع الماضي ، دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستمرون على ذلك القول . **وخص بقوله** : من الناس لأن السفه يكون في جمادات وحيوانات . والمراد من السفهاء جميع من قال ما ولاهم والسفهاء جمع ، واحده سفيه ، وهو الخفيف العقل ، **من قولهم** : ثوب

سفيه إذا كان خفيف النسج . قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (١٤٣) **المعنى** : وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم . **والوسط** : العدل ، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها .

قال علماؤنا : أنبأنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بما أنعم علينا من تفضليه لنا باسم العدالة وتوليه خطير الشهادة على جميع خلقه ، فجعلنا أولاً مكاناً وإن كنا آخراً زماناً ، كما قال عليه السلام : ((**نحن الآخرون الأولون**))[1] وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ، ولا ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلٌ .

قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١٤٤) **قال العلماء** : هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (١٤٢) ومعنى : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١٤٤) .

تحول وجهك إلى السماء ، قاله الطبري . **قال الزجاج** : تقلب عينيك في النظر

---

[1] **صحيح** . أخرجه ابن ماجة (ح / ٤٢٩٠) وصحيح الجامع (ح / ٦٧٥٢) .

إلى السماء ، والمعنى متقارب . وخص السماء بالذكر إذ هي مختصة بتعظيم ما أضيف إليها ويعود منها كالمطر والرحمة والوحي . **ومعنى : ترضاها** : تحبها . قوله تعالى : **﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** (١٤٥) لأنهم كفروا وقد تبين لهم الحق وليس تنفعهم الآيات ، أي العلامات . **وجمع قبلة في التكسير** : قبل . **وفي التسليم** : قبلات . ويجوز أن تبدل من الكسرة فتحة ، فتقول قبلات . ويجوز أن تحذف الكسرة وتسكن الباء فتقول قبلات . قوله تعالى : **﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**(١٤٦) **قيل** : يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة أنه حق قاله ابن عباس وابن جريج و الربيع و قتادة أيضاً ، وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه . **وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام** : أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك ؟ **فقال** : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه . قوله تعالى : "**وإن فريقا منهم ليكتمون الحق**" يعني محمداً ﷺ . قوله تعالى : **﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِين﴾**(١٤٧) يعني استقبال الكعبة ، لا ما أخبرك به اليهود من قبلتهم . قوله تعالى : **﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**(١٤٨) الوجهة وزنها فعلة من المواجهة . والوجهة والجهة والوجه بمعنىً واحد ، والمراد القبلة ، أي إنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم ، ولكل وجهة إما بحق وإما بهوى .

قال تعالى : **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا**

بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (١٦٤) عن أبي الضحى قال : **لما نزلت : وإلهكم إله واحد** : قالوا هل من دليل على ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : **﴿ نَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾** فكأنهم طلبوا آية فبين لهم دليل التوحيد ، وأن هذا العالم والبناء العجيب لا بد له من بان وصانع . **وآية السماوات** : ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، دل ذلك على القدرة وخرق العادة . ولو جاء نبي فتحدي بوقوف جبل في الهواء دون علاقة كما كان معجزاً ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوة آية ثانية . وآية الأرض : بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها . **قول الله تعالى : لآيات** : أي دلالات تدل على وحدانيته وقدرته ، ولذلك ذكر هذه الأمور عقيب قوله : **﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** (١٦٣) يدل بها على صدق الخبر عما ذكره قبلها من وحدانيته سبحانه ، وذكر رحمته ورأفته بخلقه . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : ((**ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها**))(١) أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها . قوله تعالى : **﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾** (١٦٦) يعني السادة والرؤساء تبرءوا ممن اتبعهم على الكفر ، **قال قتادة والسدي** : هم الشياطين المضلون تبرءوا من الإنس . **وقيل** : هو عام في كل متبوع . **﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾** يعني التابعين والمتبوعين ، **قيل** : بتيقنهم له عند المعاينة في الدنيا . **وقيل** : عند العرض والمساءلة في الآخرة .

قوله تعالى : **﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** (١٦٧) أن في موضع رفع ، أي لو ثبت أن لنا رجعة : **﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾** جواب التمني .

---

(1) **أنظر** : إتحاف السادة المتقين (٩ / ١١٩) .

والكرة : الرجعة والعودة إلى حال قد كانت ، **أي قال الأتباع** : لو رددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً ونتبرأ منهم : ﴿ **كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا** ﴾ **فتكون** : حسرات ، **قال الربيع** : أي الأعمال الفاسدة التي ارتكبوها فوجبت لهم بها النار . قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ (١٦٨) **قيل** : إنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام ، واللفظ عام . والطيب هنا الحلال ، فهو تأكيد لاختلاف اللفظ ، وهذا قول مالك في الطيب . **وقال الشافعي** : الطيب المستلذ ، فهو تنويع ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر . **وسمي الحلال حلالا لانحلال عقدة الحظر عنه . قال سهل بن عبد الله : النجاة في ثلاثة** : أكل الحلال ، وأداء الفرائض ، والاقتداء بالنبي ﷺ .

قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ (١٦٩) سمي السوء سوءاً لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه . قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**) (١٧٠) يعني كفار العرب ، **قال ابن عباس** : نزلت في اليهود . **قال علماؤنا** : وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد ، ونظيرها : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ **(المائدة:١٠٤)** وهذه الآية والتي قبلها مرتبطة بما قبلهما ، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن جهالة العرب فيما تحكمت فيه بآرائها السفيهة في البحيرة والسائبة والوصيلة ، فاحتجوا بأنه أمر وجدوا عليه آباءهم فاتبعوهم في ذلك ، وتركوا ما أنزل الله على رسوله وأمر به في دينه . وقد تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل ، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية . وهذا في الباطل صحيح ، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين ، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك

النظر . واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على ما يأتي ، وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح .

قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ (١٧٢) المراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه . **وقيل** : هو الأكل المعتاد . وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ **قال** : **قال** رسول الله ﷺ : ((**أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون:٥١) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**)) قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (١٧٣) . **الميتة** : ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح ، وما ليس بمأكول فذكاته كموته ، كالسباع وغيرها ن على ما يأتي بيانه هنا وفي الأنعام إن شاء الله تعالى . قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (١٧٤) يعني علماء اليهود ، كتموا ما أنزل الله في التوارة من صفة محمد ﷺ وصحة رسالته **ومعنى أنزل** : أظهر ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ (**الأنعام**:٩٣) .

قول الله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**) (١٧٥) ولما كان العذاب تابعاً للضلالة وكانت المغفرة

تابعة للهدى الذي اطرحوه دخلا في تجوز الشراء . **قال الربيع** : ما لهم والله عليها من صبر ، ولكن ما أجرأهم على النار ! وهي لغة يمنية معروفة . قوله تعالى : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** (١٧٦) **قيل** : خالفوا ما في التوارة من صفة محمد ﷺ واختلفوا فيها . **وقيل** : المراد القرآن ، والذين اختلفوا كفار قريش ، **يقول بعضهم** : هو سحر ، وبعضهم **يقول** : أساطير الأولين . **وبعضهم** : مفترىً ، إلى غير ذلك .

قوله تعالى : **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** (١٧٧) اختلف من المراد بهذا الخطاب ، **فقال قتادة** : ذكر لنا أن رجلاً سأل نبي الله ﷺ عن البر ، فأنزل الله هذه الآية . **قال** : وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ، فأنزل الله هذه الآية . **وقال الربيع و قتادة أيضا** : الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي ، فاليهود إلى المغرب قبل بيت المقدس ، والنصارى إلى المشرق مطلع الشمس ، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليتها ، فقيل لهم : ليس البر ما أنتم فيه ، ولكن البر من آمن بالله .

قول الله تعالى : **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (١٧٩) **معنى هذه الآية** : أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر ، مخافة أن يقتص منه فحييا بذلك معاً . وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا ، وكان ذلك داعياً إلى قتل العدد الكثير ، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به وتركوا الاقتتال ، فلهم في ذلك حياة . اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان ، وليس

للناس أن يقتص بعضهم من بعض ، وإنما ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك ، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض . وأجمع العلماء على أن على السلطان أن يقتص من نفسه إن تعدى على أحد من رعيته إذ هو واحد منهم ، وإنما له مزية النظر لهم كالوصي والوكيل ، وذلك لا يمنع القصاص ، وليس بينهم وبين العامة فرق في أحكام الله عز وجل ، لقوله جل ذكره : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (١٧٨) .

قوله تعالى : **﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (١٨١) لا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز ، مثل أن يوصي بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي أنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه ، كما لا يجوز إمضاء ما زاد على الثلث . قوله تعالى : **﴿مَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (١٨٢) **معنى الآية :** من خاف أي علم ورأى وأتى علمه عليه بعد موت الموصي أن الموصي جنف وتعمد أذية بعض ورثته فأصلح ما وقع بين الورثة من الاضطراب والشقاق : **﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ الخطاب بقوله : فمن خاف** : لجميع المسلمين . **قيل لهم** : إن خفتم من موص ميلاً في الوصية وعدولاً عن الحق ووقوعاً في إثم ولم يخرجها بالمعروف ، وذلك بأن يوصي بالمال إلى زوج ابنته أو لولد ابنته لينصرف المال إلى ابنته ، أو إلى ابن ابنه والغرض أن ينصرف المال إلى ابنه ، أو أوصى لبعيد وترك القريب ، فبادروا إلى السعي في الإصلاح بينهم ، فإذا وقع الصلح سقط الإثم عن المصلح . والإصلاح فرض على الكفاية ، فإذا قام أحدهم به سقط عن الباقين ، وإن لم يفعلوا أثم الكل . في هذه الآية دليل على الحكم بالظن ، لأنه إذا ظن قصد الفساد وجب السعي في الصلاح . وإذا تحقق الفساد

لم يكن صلحاً إنما يكون حكماً بالدفع وإبطالاً للفساد وحسماً له . قولــه تعــالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَــبْلِكُمْ لَعَلَّكُــمْ تَتَّقُونَ﴾** (١٨٣) لما ذكر ما كتب على المكلفين من القصاص والوصــية ذكــر أيضاً أنه كتب عليهم الصيام وألزمهم إياه وأوجبه عليهم ، ولا خلاف فيه ، قــال ﷺ : ((**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضــان ، والحــج**)) .[1] قوله تعالى : **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّــاسِ وَبَيِّنَــاتٍ مِــنَ الْهُــدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِــدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّــرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (١٨٥) **قال أهل التاريخ** : أول من صــام رمضان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ، **قال مجاهد** : كتب الله رمضان على كل أمة ، ومعلوم أنه كان نوح أمم ،والله أعلم . قوله تعالى : **﴿وَإِذَا سَــأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُــوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** (١٨٦) المعنى وإذا سألوك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي ، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك . واختلف في سبب نزولها ، **فقال مقاتل** : إن عمر ﷺ واقع امرأته بعــدما صلى العشاء فندم على ذلك وبكى ، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ورجع مغتماً ، وكان ذلك قبل نزول الرخصة ، فنزلت هذه الآية : **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَــادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** (١٨٦) ، قوله تعالى : **﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَــى نِــسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**

---

[1] متفق عليه . أخرجه البخاري في (الإيمان ، ح / ٨) ومسلم في (الإيمان ، ح / ٢٠ ــ ٢١) .

وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧) .

عن ابن أبى ليلى قال : وكان الرجل إذا افطر فنام قبل أن يأكل لم يأكل حتى يصبح ، قال : **فجاء عمر فأراد امرأته فقالت :** إني قد نمت ، فظن أنها تعتل فأتاها . فجاء رجل من الأنصار فأراد طعاماً فقالوا : حتى نسخن لك شيئاً فنام ، فلما أصبحوا أنزلت هذه الآية ، وفيها : **﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧) روى البخاري عن البراء قال :** كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمشي ، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً **– وفي رواية : كان يعمل في النخيل بالنهار وكان صائماً – فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها :** أعندك طعام ؟ قالت لا ، لكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته **فلما رأته قالت :** خيبة لك ! فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : **﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧)**

ففرحوا فرحاً شديداً . **وفي البخاري أيضاً عن البراء قال** : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : **﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** (١٨٧) قوله تعالى : **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (١٨٨) **قيل** : إنه نزل في عبدان بن أشوع الحضرمي ، ادعى مالاً على امرئ القيس الكندي واختصما إلى النبي ﷺ ، فأنكر امرؤ القيس وأراد أن يحلف فنزلت هذه الآية ، فكيف عن اليمين وحكم عبدان في أرضه ولم يخاصمه . الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ ، **والمعنى** : لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق . **فيدخل في هذا** : القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق ، وما لا تطيب به نفس مالكه ، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه ، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك ، ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما باع لأن الغبن كأنه هبة ، **وقال قوم** : **المراد بالآية** : **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (١٨٨) أي في الملاهي والقيان والشرب والبطالة ، فيجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين . ومن أخذ مال غيره لا على وجه إذن الشرع فقد أكله بالباطل ، ومن الأكل بالباطل أن يقضي القاضي لك وأنت تعلم أنك مبطل ، فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي ، لأنه إنما يقضي بالظاهر . وهذا إجماع في الأموال ، وإن كان عند أبي حنيفة قضاؤه ينفذ في الفروج باطناً ، وإذا كان قضاء القاضي لا يغير حكم

الباطن في الأموال فهو في الفروج أولى . قوله تعالى : **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (١٨٩) هذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به النبي ﷺ ، **فقال معاذ** : يا رسول الله ، إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة ، فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ، ثم ينتقص حتى يعود كما كان ؟ فأنزل الله هذه الآية . **وقيل** : إن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال وما سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس . **قوله تعالى : عن الأهلة** : أهلة جمع الهلال ، وجمع وهو واحد في الحقيقة من حيث كونه هلالا واحداً في شهر ، غير كونه هلالا في آخر ، فإنما جمع أحواله من الأهلة . ويريد بالأهلة شهورها وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه ، **كما قال : أخوان من نجد على ثقة الشهر مثل قلامة الظفر** . **وقيل** : سمي شهراً لأن الأيدي تشهر بالإشارة إلى موضع الرؤية ويدلون عليه . ويطلق لفظ الهلال لليلتين من آخر الشهر ، وليلتين من أوله . **وقيل** : لثلاث من أوله . **وقال الأصمعي** : هو هلال حتى يحجر ويستدير كالخيط الرقيق . **وقيل** : بل هو هلال حتى يبهر بضوئه السماء وذلك ليلة سبع . **قال أبو العباس** : وإنما قيل له هلال لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه . ومنه استهل الصبي إذا ظهرت حياته بصراخه . واستهل وجهه فرحاً وتهلل إذا ظهر فيه السرور . **قال أبو كبير** : وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض **المتهلل ويقال** : أهللنا الهلال إذا دخلنا فيه .

قوله تعالى : **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** (١٩١) **قال مجاهد** : أي من أن يقتل المؤمن ، فالقتل أخف عليه من الفتنة . **وقال غيره** : أ شركهم بالله وكفرهم به أعظم جرماً

وأشد من القتل الذي عيروكم به . وهذا دليل على أن الآية نزلت في شأن عمرو بن الحضرمي حين قتله واقد بن عبد الله التميمي في آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، حسب ما هو مذكور في سرية عبد الله بن جحش ، على ما يأتي بيانه قاله الطبري وغيره .

قوله تعالى : ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ **للعلماء في هذه الآية قولان : أحدهما** : أنها منسوخة ، **والثاني** : أنها محكمة . **قال مجاهد** : الآية محكمة ، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل وبه قال طاوس ، وهو الذي يقتضيه نص الآية ، وهو الصحيح من القولين ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . **وفي الصحيح عن ابن عباس قال** : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : ((**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة**)) [١] قوله تعالى : **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣)** في هذه الآية أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع ، على من رآها ناسخة . **ومن رآها غير ناسخة قال** : المعنى قاتلوا **هؤلاء الذين قال الله فيهم** : فإن قاتلوكم ، والأول أظهر ، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار . **دليل ذلك قوله تعالى : "ويكون الدين لله"** : وقال عليه السلام : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**)) [٢]فدلت الآية والحديث على أن سبب القتال هو الكفر ، **لأنه قال** : حتى لا تكون فتنة ، أي كفر ، فجعل الغاية عدم الكفر ، وهذا ظاهر . **قال ابن عباس** : الفتنة

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (العلم ، ح / ١٠٤ ، ١١٢) ومسلم في (الحج ، ح / ١٣٥٣) .

[2] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (المناقب ، ح / ٣٥١٨) ومسلم في (الإيمان ، ح / ٣٢ ، ٣٣) .

هناك الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين . **وأصل الفتنة** : الاختبار والامتحان ، مأخوذ من فتنت الفضة إذا أدخلتها في النار لتميز رديئها من جيدها . قوله تعالى : **﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** (١٩٤) **قال العلماء** : نزلت في عمرة القضية وعام الحديبية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمراً حتى بلغ الحديبية في ذي القعدة سنة ست ، فصده المشركون كفار قريش عن البيت فانصرف ، ووعده الله سبحانه أنه سيدخله ، فدخله سنة سبع وقضى نسكه ، فنزلت هذه الآية . **وروي عن الحسن : أن المشركين قالوا للنبي ﷺ** : أنهيت يا محمد عن القتال في الشهر الحرام ؟ **قال** : نعم . فأرادوا قتاله ، فنزلت الآية . **والمعنى** : إن استحلوا ذلك فيه فقاتلهم ، فأباح الله بالآية مدافعتهم ، **وقوله تعالى : والحرمات قصاص** : الحرمات جمع حرمة ، كالظلمات جمع ظلمة ، والحجرات جمع حجرة . وإنما جمعت الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام ، وحرمة الإحرام . **والحرمة** : ما منعت من انتهاكه . والقصاص المساواة ، أي اقتصصت لكم منهم إذ صدوكم سنة ست فقضيتم العمرة سنة سبع . **فـ "والحرمات قصاص"** على هذا متصل بما قبله ومتعلق به . **وقيل** : هو مقطوع منه . **وهو ابتداء أمر كان في** أول الإسلام : إن من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى عليك ، ثم نسخ ذلك بالقتال .

وقالت طائفة : ما تناولت الآية من التعدي بين أمة محمد ﷺ والجنايات ونحوها لم ينسخ ، وجاز لمن تعدي عليه في مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تعدي به عليه إذا خفي له ذلك ، وليس بينه وبين الله تعالى في ذلك شيء ، قاله الشافعي وغيره ، وهي رواية في مذهب مالك . **وقالت طائفة من أصحاب مالك** : ليس ذلك له ، وأمور القصاص وقف على الأحكام . **واختلف الناس في المكافأة هل تسمى عدواناً أم لا ، فمن قال : ليس في القرآن مجاز ، قال** : المقابلة عدوان ،

وهو عدوان مباح ، كما أن المجاز في كلام العرب كذب مباح ، **لأن قول القائل** : فقالت له العينان سمعاً وطاعة وكذلك : **امتلأ الحوض ، وقال قطني وكذلك** : شكا إلي جملي طول السرى ومعلوم أن **هذه الأشياء لا تنطق . وحد الكذب** : إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به . ومن قال في القرآن مجاز سمى هذا عدواناً على طريق المجاز ومقابلة الكلام بمثله . واختلف العلماء فيمن استهلك أو أفسد شيئاً من الحيوان أو العروض التي لا تكال ولا توزن ، **فقال الشافعي و أبو حنيفة وأصحابهما وجماعة من العلماء** : عليه في ذلك المثل ، ولا يعدل إلى القيمة إلا عند عدم المثل ، لقوله تعالى : **﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** (١٩٤) ، وقوله تعالى : **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل:١٢٦) قالوا** : وهذا عموم في جميع الأشياء كلها ، وعضدوا هذا بأن النبي ﷺ حبس القصعة المكسورة في بيت التي كسرتها ودفع الصحيحة **وقال** : إناء بإناء وطعام بطعام . **عن أنس** : أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم قصعة فيها طعام ، **قال** : فضربت بيدها فكسرت القصعة . **قال ابن المثنى** : فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل **يجمع فيها الطعام ويقول** : غارت أمكم . **زاد ابن المثنى** : كلوا فأكلوا حتى جاءت قصعتها التي في بيتها . **قال مالك وأصحابه** : عليه في الحيوان والعروض التي لا تكال ولا توزن القيمة لا المثل ، بدليل تضمين النبي ﷺ الذي أعتق نصف عبده قيمة نصف شريكه ، ولم يضمنه مثل نصف عبده . ولا خلاف بين العلماء على تضمين المثل في المطعومات والمشروبات والموزونات لقوله عليه السلام : ((**طعام بطعام**)) .

لا خلاف بين العلماء أن هذه الآية أصل في المماثلة في القصاص ، فمن قتل بشيء قتل بمثل ما قتل به ، وهو قول الجمهور ، ما لم يقتله بفسق كاللوطية

وإسقاء الخمر فيقتل بالسيف . **وللشافعية قول** : إنه يقتل بذلك ، فيتخذ عود على تلك الصفة ويطعن به في دبره حتى يموت ، ويسقى عن الخمر ماء حتى يموت **وقال ابن الماجشون** : إن من قتل بالنار أو بالسم لا يقتل به ، لقول النبي ﷺ : ((**لا يعذب بالنار إلا الله**)) .[1] والسم نار باطنة . وذهب الجمهور إلى أنه يقتل بذلك ، لعموم الآية . **وأما القود بالعصا فقال مالك في** : إنه إن كان في القتل بالعصا تطويل وتعذيب قتل بالسيف . **قال ابن العربي** : والصحيح من أقوال علمائنا أن المماثلة واجبة ، إلا أن تدخل في حد التعذيب فلتترك إلى السيف . واتفق علماؤنا على أنه إذا قطع يده ورجله وفقأ عينه قصد التعذيب فعل به ذلك ، كما فعل النبي ﷺ بقتله الرعاء . وإن كان في مدافعة أو مضاربة قتل بالسيف . ذهبت طائفة إلى خلاف هذا كله فقالوا : **لا قود إلا بالسيف** .

واحتجوا على ذلك بما روي عن النبي ﷺ قال : ((**لا قود إلا بحديدة**))[2] ، وبالنهي عن المثلة ، وقوله : ((**لا يعذب بالنار إلا رب النار**)) والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، **لما رواه الأئمة عن أنس بن مالك** : أن جارية وجد رأسها قد رض بين حجرين ، **فسألوها** : من صنع هذا بك ! أفلان ، أفلان ؟ حتى ذكروا يهودياً فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي فأقر ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترض رأسه بالحجارة .

قال ابن المنذر : **وقول كثير من أهل العلم في الرجل يخنق الرجل** : عليه القود **وخالف في ذلك محمد بن الحسن فقال** : لو خنقه حتى مات أو طرحه في بئر فمات ، أو ألقاه من جبل أو سطح فمات ، لم يكن عليه قصاص وكان على عاقلته الدية ، فإن كان معروفاً بذلك ــ **قد خنق غير واحد** ــ فعليه القتل . **قال ابن المنذر** : ولما أقاد النبي ﷺ من اليهودي الذي رض رأس الجارية بالحجر

---

[1] **صحيح** . أخرجه أبو داود في (الجهاد ، باب " ١٢١ ") .

[2] **أخرجه** البيهقي (٨ / ٦٢) .

كان هذا في معناه ، فلا معنى لقوله . **وحكى هذا القول غيره عن أبى حنيفة فقال** : وقد شد أبو حنيفة فقال فيمن قتل **بخنق أو بسم أو تردية من جبل أو بئر أو بخشبة** : إنه لا يقتل ولا يقتص منه ، **إلا إذا قتل بمحدد** : حديد أو حجر أو خشب أو كان معروفاً بالخنق والتردية وكان على عاقلته الدية . وهذا منه رد للكتاب والسنة ، وإحداث ما لم يكن عليه أمر الأمة ، وذريعة إلى رفع القصاص الذي شرعه الله للنفوس ، فليس عنه مناص . **واختلفوا فيمن حبس رجلاً وقتله آخر ، فقال عطاء** : يقتل القاتل ويحبس الحابس حتى يموت . **وقال مالك** : إن كان حبسه وهو يرى أنه يريد قتله قتلاً جميعاً ، وفي قول الشافعي وأبي ثور والنعمان يعاقب الحابس ، واختاره ابن المنذر .

قال تعالى : **﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** (١٩٥) **قال** : نزلت في النفقة . وروى يزيد بن أبي **حبيب عن أسلم أبي عمران قال** : غزونا القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد ، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، **فقال الناس** : مه مه لا إله إلا الله ، يلقي بيديه إلى التهلكة ! **فقال أبو أيوب** : سبحان الله ! أنزلت هذه الآية فينا نعاشر الأنصار لما نصر الله نبيه **وأظهر دينه ، قلنا** : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، **فأنزل الله عز وجل** : "وأنفقوا في سبيل الله" الآية وافلقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد . فلم يزل أبو أيوب مجاهداً في سبيل الله حنى دفن بالقسطنطينية ، فقبره هناك . فأخبرنا أبو أيوب أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله ، وأن الآية نزلت في ذلك . **وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس و عكرمة وعطاء و مجاهد وجمهور الناس** : المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة ، **فيقول الرجل** : ليس عندي ما أنفقه . وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره ، والله أعلم . **قال ابن عباس** : أنفق في سبيل الله ، وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص ، **ولا يقولن أحدكم** : لا أجد

شيئاً . **ونحوه عن السدي : أنفق ولو عقالاً ، ولا تلقي بيدك إلى التهلكة فتقول** : ليس عندي شيء . **قال ابن عباس** : وذلك أن رسول الله ﷺ لما أمر الناس **بالخروج إلى الجهاد قام إليه أناس من الأعراب حاضرين بالمدينة فقالوا** : بماذا نتجهز ! فو الله مالنا زاد ولا يطعمنا أحد ، فنزل قوله تعالى : **﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) يعني** : تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله ، يعني في طاعة الله : **﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** (١٩٥) يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا ، وهكذا قال مقاتل . **ومعنى قول ابن عباس** : ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا ، أي لا تمسكوا عن النفقة على الضعفاء ، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا . **قيل للبراء بن عازب في هذه الآية** : أهو الرجل يحمل على الكتيبة ؟ **فقال** : لا ، **ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه ويقول** : قد بالغت في المعاصي ولا فائدة في التوبة ، فييأس من الله فينهمك بعد ذلك في المعاصي . **فالهلاك** : اليأس من الله ، وقاله عبيدة السلماني . **وقال زيد بن أسلم** : المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد ، وقد كان فعل ذلك قوم فأداهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق ، أو يكون عالة على الناس . فهذه خمسة أقوال . **وسبيل الله هنا** : الجهاد ، واللفظ يتناول بعد جميع سبله . والباء في بأيديكم زائدة ، التقدير تلقوا أيديكم . قال تعالى : **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٩٦) اختلف العلماء في المعنى بإتمام الحج والعمرة لله ، فقيل** : أداؤهما والإتيان بهما ، **كقول الله تعالى : فأتمهن** :

وقوله : ثم أتموا الصيام إلى الليل : أي ائتوا بالصيام ، **وهذا على مذهب من أوجب العمرة . ومن لم يوجبها قال** : المراد تمامها بعد الشروع فيهما ، فإن من أحرم احرم بنسك وجب عليه المضي فيه ولا يفسخه ، قال معناه الشعبي وابن زيد . **وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه** : إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك . **قال سفيان الثوري** : إتمامهما أن تخرج قاصداً لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك ، ويقوي هذا قوله لله . **وقال عمر** : إتمامهما أن يفرد كل واحد منهما من غير تمتع وقران ، وقاله ابن حبيب . **وقال مقاتل** : إتمامهما ألا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم ، **وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم فيقولون** : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . **فقال** : فأتموهما ولا تخلطوهما بشيء آخر . **قال أبو داود** : يرحم الله وكيعا ! أحرم من بيت المقدس ، يعني إلى مكة . ففي هذا إجازة الإحرام قبل الميقات . وكره مالك رحمه الله أن يحرم أحد قبل الميقات ، ويروى ذلك عن عمر بن الخطاب ، وأنه أنكر على عمران بن حصين إحرامه من البصرة . وأنكر عثمان على عبد الله بن عامر إحرامه قبل الميقات . **وقال أحمد و إسحاق** : وجه العمل المواقيت ومن الحجة لهذا القول أن رسول الله ﷺ وقت المواقيت وعينها ، فصارت بياناً لمجمل الحج ، ولم يحرم ﷺ من بيته لحجته ، بل أحرم من ميقاته الذي وقته لأمته ، وما فعله ﷺ فهو الأفضل إن شاء الله . وكذلك صنع جمهور الصحابة والتابعين بعدهم . روى الأئمة : **أن رسول الله ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن ، ولأهل اليمن يلملم هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة . ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة يهلون منها . وأجمع أهل العلم على القول بظاهر هذا الحديث واستعماله ، لا يخالفون شيئاً منه . واختلفوا في ميقات أهل العراق وفيمن وقته ، فروى أبو داود و الترمذي عن ابن عباس** : أن النبي ﷺ وقت لأهل المشرق العقيق . **عن عائشة : ((أن رسول الله ﷺ وقت**

لأهل العراق ذات عرق)) ، **وهذا هو الصحيح**[1] . ومن روى أن عمر وقته لأن العراق في وقته افتتحت ، فغفلة منه ، بل وقته رسول الله ﷺ كما وقت لأهل الشام الجحفة . والشام كلها يؤمئذ دار كفر كما كانت العراق وغيرها يومئذ من البلدان ، ولم تفتح العراق ولا الشام إلا على عهد عمر ، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل السير **قال أبو عمر** : كل عراقي أو مشرقي أحرم من ذات عرق فقد أحرم عند الجميع من ميقاته ، والعقيق أحوط عندهم وأولى من ذات عرق ، وذات عرق ميقاتهم أيضاً بإجماع .

أجمع أهل العلم على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات أنه محرم ، وإنما منع من ذلك من رأى الإحرام عند الميقات أفضل ، كراهية أن يضيق المرء على نفسه ما قد وسع الله عليه ، وأن يتعرض بما لا يؤمن أن يحدث في إحرامه ، وكلهم ألزمه الإحرام إذا فعل ذلك ، لأنه زاد ولم ينقص . في هذه الآية دليل على وجوب العمرة ، لأنه تعالى أمر بإتمامها كما أمر بإتمام الحج . **قال الصبي بن معبد** : أتيت عمر ﷺ **فقلت** : إني كنت نصرانيا فأسلمت ، وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين علي ، وإني أهللت بهما جميعاً . **فقال له عمر هديت لسنة نبيك** . **قال ابن المنذر** : **ولم ينكر عليه قوله** : وجدت الحج والعمرة مكتوبتين علي . وبوجوبهما قال علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس . واحتج في إسقاط تجديد الإحرام بحديث علي رضي الله عنه إذ قال له رسول الله ﷺ حين **أقبل من اليمن مهلاً بالحج** : بم أهللت ؟ **قال قلت** : لبيك اللهم بإهلال كإهلال نبيك . فقال رسول الله ﷺ : **فإني أهللت بالحج وسقت الهدي** [2]**قال الشافعي** : لم ينكر عليه رسول الله ﷺمقالته ، ولا أمره بتجديد نية لإفراد أو تمتع أو قران **وقال مالك في النصراني يسلم عشية عرفة فيحرم بالحج** : أجزأه من حجة

---

(1) **صحيح** . أخرجه أبو داود (ح / ١٧٣٩) .

(2) **أنظر** : البداية والنهاية (٥ / ١٣٠) .

الإسلام ، وكذلك العبد يعتق والصبي يبلغ إذا لم يكونوا محـــرمين ولا دم علـــى واحد منهم ، وإنما يلزم الدم من أراد الحج ولم يحرم من الميقات . **وقـــال أبـــو حنيفة** : يلزم العبد الدم وهو كالحر عندهم في تجاوز الميقات ، بخلاف الصبي والنصراني فإنما لا يلزمهما الإحرام لدخول مكة لسقوط الفرض عنهمـــا . فـــإذا أسلم الكافر وبلغ الصبي كان حكمهما حكم المكي ، ولا شيء عليهما فـــي تـــرك الميقات . **قال ابن عمر** : خرجنا مع رسول الله ﷺ فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺهدية وحلق رأسه . **ودل على هذا قوله تعالى : فإذا أمنتم . ولـــم يقل** : برأتم ، والله أعلم . وجمهور الناس على أن المحصر بعدو يحـــل حيـــث أحصر وينحر هديه إن كان ثم هدي ويحلق رأسه . **وقـــال قتـــادة و إبـــراهيم** : يبعث بهديه إن أمكنه ، فإذا بلغ محله صار حلالاً . **وقـــال أبـــو حنيفـــة** : دم الإحصار لا يتوقف على يوم النحر بل يجوز ذبحه قبل يوم النحر إذا بلغ محله وخالفه صاحباه فقالا : يتوقف على يوم النحر ، وإن نحر قبله لم يجزه .

قوله تعالى : ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَـــإِنَّ خَيْـــرَ الـــزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾ (١٩٧) **لما ذكر الحج والعمرة سبحانه وتعالى في قوله : وأتموا الحج والعمرة لله** : بين اختلافهما في الوقت ، فجميع الـــسنة وقت للإحرام بالعمرة ، ووقت العمرة . وأما الحج فيقع في السنة مـــرة ، فـــلا يكون في غير هذه الأشهر . **واختلف في الأشهر المعلومات ، فقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع و مجاهد والزهري** : أشهر الحج شوال وذو القعـــدة وذو الحجة كله . **وقال ابن عباس و السدي و الشعبي والنخعي** : هـــي شـــوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة ، وروي عن ابن مسعود ، وقاله ابن الزبير ، والقولان مرويان عن مالك ، حكى الأخير ابن حبيب ، والأول ابن المنذر .

وفائدة الفرق تعلق الدم ، فمن قال : إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لـــم يـــر دماً يقع من الأعمال بعد يوم النحر ، لأنها في أشهر الحج . وعلى القول الأخير

ينقضي الحج بيوم النحر ، ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك لتأخيره عن وقته . وأجمع العلماء على أن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسج للحج ، وعليه حج قابل والهدي ، **وقال عبد الله ابن عمر و طاوس و عطاء وغيرهم** : الرفث الإفحاش للمرأة بالكلام ، **لقوله** : إذا أحللنا فعلنا بك كذا ، من غير كناية ، **وقاله ابن عباس أيضا** : وأنشد **وهو محرم** : وهن يميشن بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا **فقال له صاحبه حصين بن قيس** : أترفث وأنت محرم ، **فقال** : إن الرفث ما قيل عند النساء . **وقال قوم** : الرفث الإفحاش بذكر النساء ، كان ذلك بحضرتهن أم لا . **وقيل** : الرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله .

قول الله تعالى : **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾** (١٩٨) لما أمر تعالى بتنزيه الحج عن الرفث والفسوق والجدال **رخص في التجارة** ، **المعنى** : لا جناح عليكم في أن تبتغوا فضل الله . وابتغاء الفضل ورد في القرآن بمعنى التجارة ، قال الله تعالى : **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (**الجمعة**:١٠) إذا ثبت هذا ففي الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة ، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركاً ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه ، خلافاً للفقراء . أما إن الحج دون تجارة أفضل ، لعروها عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيرها . **عن أبي أمامة التيمي قال** : **قلت لابن عمر** : إني رجل أكرى في هذا الوجه ، **وإن ناساً يقولون** : **إنه لا حج لك** . **فقال ابن عمر** : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله مثل هذا الذي سألتني ، فسكت حتى نزلت هذه الآية : **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾** (١٩٨) فقال رسول الله ﷺ : ((**إن لك حجا**)) .

أجمع أهل العلم على أن من وقف بعرفة يوم عرفة قبل الزوال ثم أفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه ذلك قبل الزوال . وأجمعوا على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال وأفاض نهاراً قبل الليل ، إلا مالك بن أنس فإنه قال : لا بد أن يأخذ من الليل شيئاً . وأما من وقف بعرفة بالليل فإنه لا خلاف بين الأمة في تمام حجه . والحجة للجمهور مطلق قوله تعالى : **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾** (١٩٨) ولم يخص ليلا من نهار ، **وحديث عروة بن مضرس قال** : أتيت النبي ﷺ مطيتي ، وأتعبت نفسي ، والله إن تركت من حبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : ((**من صلى معنا صلاة الغداة بجمع وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد قضى تفثه وتم حجه**)) .

واختلف الجمهور فيمن أفاض قبل غروب الشمس ولم يرجع ماذا عليه مع صحة الحج ، فقال عطاء و سفيان الثوري والشافعي و أحمد وأبو ثور وأصحاب الرأي **وغيرهم** : عليه دم . **وقال الحسن البصري** : ليه هدي . **وقال ابن جريج** : عليه بدنة . **وقال مالك** : عليه حج قابل ، والهدي ينحره في حج قابل ، وهو كمن فاته الحج . فإن عاد إلى عرفة حتى يدفع بعد مغيب الشمس **فقال الشافعي : لا شيء عليه ، وهو قول أحمد وإسحاق وداود ، وبه قال الطبري . وقال أبو حنيفة وأصحابه و الثوري** : لا يسقط عنه الدم وإن رجع بعد غروب الشمس ، وبذلك قال أبو ثور . ولا خلاف بين العلماء في أن الوقوف بعرفة راكباً لمن قدر عليه أفضل ، لأن النبي ﷺ كذلك وقف إلى أن دفع منها بعد غروب الشمس ، وأردف أسامة بن زيد . **قال أبو عمر** : واختلف الفقهاء فيمن وقف بعرفة بعرنة ، **فقال مالك فيما ذكر ابن المنذر عنه** : يهريق دماً وحجه تام . وهذه رواية رواها خالد بن نزار عن مالك . وذكر أبو المصعب أنه كمن لم يقف وحجه فائت ، وعليه الحج من قابل إذا وقف ببطن

عرنة . وروي عن ابن عباس قال : من أفاض من عرنة فلا حج لـه . وهو قول ابن القاسم وسالم ، وذكر ابن المنذر هذا القول عن الشافعي ، قال وبه أقول : لا يجزيه أن يقف بمكان أمر رسول الله ﷺ ألا يوقف به . قال ابن عبد البر : الاستثناء ببطن عرفة من عرفة لم يجيء مجيئاً تلزم حجته ، لا من جهة النقل ولا من جهة الإجماع . وحجه من ذهب مذهب أبي المصعب أن الوقوف بعرفة فرض مجمع عليه في موضع معين ، فلا يجوز أداؤه إلا بيقين ، ولا يقين مع الاختلاف . وبطن عرنة يقال بفتح الراء وضمها ، وهو بغربي مسجد عرفة ، حتى لقد قال بعض العلماء : إن الجدار الغربي من مسجد عرفة لو سقط سقط في بطن عرنة . قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (٢٠٠) قال مجاهد : المناسك الذبائح وهراقة الدماء . وقيل : هي شعائر الحج ، لقوله عليه السلام : ((خذوا عني مناسككم)) [1].

ومعنى الآية اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه ، وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره ، كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غض أحد منهم ، وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم . وقال أبو الجوزاء لابن عباس : إن الرجل اليوم لا يذكر أباه ، فما معنى الآية ؟ قال : ليس كذلك ، ولكن أن تغضب لله تعالى إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما . قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) ومنهم : أي من الناس ، وهم المسلمون يطلبون خير الدنيا والآخرة . واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم ؟ فقيل : هم الأبدال وهم أربعون رجلاً كلما مات واحد بدل الله آخر ، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم ، اثنان وعشرون مهم بالشام وثمانية عشر بالعراق ، وروي عن علي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ

---

[1] صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٣١٨ ، ٣٦٦) وابن خزيمة (٢٧٨٨) .

يقول : ((**إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيب وينصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء**))[1]. قوله تعالى : ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (٢٥٣). اختلف العلماء في تأويل هذا المعنى ، **فقال قوم** : إن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل ، وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل . **قال أبو هريرة** : خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم أولو العزم من الرسل وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين ، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل ، فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة واستووا في النبوة إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم ، وهذا مما لا خفاء فيه ، إلا أن ابن عطية أبا محمد عبد الحق ، **قال** : إن القرآن يقتضي التفضيل ، وذلك في الجملة دون تعيين أحد مفضول ، وكذلك هي الأحاديث ، ولذلك قال النبي ﷺ : ((**أنا أكرم ولد آدم على ربي**))[2] .

قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (٢٦٤) عبر تعالى عن عدم القبول وحرمان الثواب بالإبطال ، والمراد الصدقة التي يمن ويؤذي ، لا غيرها . والعقيدة أن السيئات لا تبطل

---

(1) **القرطبي** (٣ / ٤٥٦) .

(2) **القرطبي** (٣ / ٢٦٣) .

الحسنات ولا تحبطها ، فالمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرهـا . **قـال جمهور العلماء في هذه الآية** : إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي بها فإنها لا تقبل . **وقيل** : بل جعل الله للملك عليها أمارة فهو لا يكتبهـا ، وهذا حسن . والعرب تقول لما **يمن به** . يد سوداء . ولما يعطى عن غير مسألة : يد بيضاء . **ولما يعطى عن مسألة** : يد خضراء . **قال بعض البلغاء** : من منَّ بمعروفه سقط شكره ، ومن أعجب بعمله حبط أجره . **قال علماؤنا رحمـة الله عليهم** : كره مالك لهذه الآية أن يعطي الرجل صـدقته الواجبـة أقاربـه لـئلا يعتاض منهم الحمد والثناء ، ويظهر منته عليهم ويكافئوه عليها فلا تخلص لوجه الله تعالى . واستحب أن يعطيها الأجانب ، واستحب أيضاً أن يولى غيره تفريقها إذا لم يكن الإمام عدلاً ، لئلا تحبط بالمن والأذى والـشكر والثنـاء والمكافـأة بالخدمة من المعطى . وهذا بخلاف صدقة التطوع السر ، لأن ثوابها إذا حـبط سلم من الوعيد وصار في حكم من لم يفعل ، والواجب إذا حبط ثوابـه توجـه الوعيد عليه لكونه في حكم من لم يفعل . والمراد بالآيـة إبطـال الفـضل دون الثواب ، فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالكافر ، لأنه لم يقصد بـه وجـه الله تعالى فيستحق الثواب وخالف صاحب المن والأذى القاصد وجه الله المـستحق ثوابه ــ **وإن كرر عطاءه** ــ وأبطل فضله . **وقد قيل** : إنما يبطـل مـن ثـواب صدقته من وقت منه وإيذائه ، وما قبل ذلك يكتب له ويضاعف ، فإذا من وآذى انقطع التضعيف ، لأن الصدقة تربى لصاحبها حتى تكون أعظم من الجبل ، فإذا خرجت من يد صاحبها خالصة على الوجه المشروع ضوعفت ، فإذا جاء المـن بها والأذى وقف بها هناك وانقطع زيادة التضعيف عنها ، والقول الأول أظهـر والله أعلم . قوله تعالى : **﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَـاتِ اللَّـهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَـإِنْ لَـمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٦٥)** لما ذكر الله تعـالى صـفة صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ، ونهى المؤمنين عن مواقعة مـا يـشبه

ذلك بوجه ما ، عقب في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تزكوا صدقاتهم إذ كانت على وفق الشرع ووجهه . وابتغاء معناه طلب . وتثبيتا معناه أنهم يتثبتون أين يضعون صدقاتهم . قوله تعالى : **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾** (٢٦٦) **روي عن ابن عباس أيضاً قال** : هذا مثل ضربة الله للمرائين بالأعمال يبطلها يوم القيامة أحوج ما كان إليها ، كمثل رجل كانت له جنة وله أطفال لا ينفعونه فكبر وأصاب الجنة إعصار أي ريح عاصف فيه نار فاحترقت ففقدها أحوج ما كان إليها . **عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت** : أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ؟ **قالوا** : الله ورسوله أعلم ،فغضب عمر **وقال : قولوا** : نعلم أو لا نعلم ! **فقال ابن عباس** : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، **قال** : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، **قال ابن عباس** : ضربت مثلاً لعمل : **قال عمر** : أي عمل ؟ **قال ابن عباس** : لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله عز وجل له الشيطان فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله . **قال الزجاج** : الإعصار في اللغة الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود ، **وهي التي يقال لها** : الزوبعة . **قال الجوهري** : الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ، ومنه سمي الإعصار زوبعة . **ويقال** : أم زوبعة ، وهي ريح تثير الغبار وترتفع إلى السماء كأنها عمود . **وقيل** : الإعصار ريح تثير سحاباً ذا رعد وبرق .

قول الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** (٢٥٤) هذا خطاب لجميع أمة محمد ﷺ . واختلف العلماء في المعنى المراد بالإنفاق هنا ، **فقال علي بن أبى طالب وعبيدة السلماني و ابن سيرين** : هي الزكاة المفروضة ،

نهى الناس عن إنفاق الرديء فيها بدل الجيد . **قال سهل بن عبد الله** : وسئل ابن المبارك عن الرجل يريد أن يكتسب وينوي باكتسابه أن يصل به الرحم وأن يجاهد ويعمل الخيرات ويدخل في آفات الكسب لهذا الشأن . **قال** : إن كان معه قوام من العيش بمقدار ما يكف نفسه عن الناس فترك هذا افضل ، لأنه إذا طلب حلالاً وأنفق في حلال سئل عنه وعن كسبه وعن إنفاقه ، وترك ذلك زهد فإن الزهد في ترك الحلال . **قال ابن خويز منداد** : ولهذه الآية جاز للوالد أن يأكل من كسب ولده ، وذلك أن النبي ﷺ قال : ((**أولادكم من طيب أكسابكم فكلوا من أموال أولادكم هنيئا**)) [1] اختلفوا في حكم الركاز إذا وجد ، **فقال مالك** : ما وجد من دفن الجاهلية في أرض العرب أو في فيافي الأرض التي ملكها المسلمون بغير حرب فهو لواجده وفيه الخمس ، وأما ما كان في أرض الإسلام فهو كاللقطة . وما وجد من ذلك في أرض العنوة فهو للجماعة الذين افتتحوها دون واجده ، وما وجد من ذلك في أرض الصلح فإنه لأهل تلك البلاد دون الناس ، ولا شيء للواجد فيه إلا أن يكون من أهل الدار فهو له دونهم . **وقيل** : بل هو لجملة أهل الصلح . **قال إسماعيل** : وإنما حكم للركاز بحكم الغنيمة لأنه مال كافر وجده مسلم فأنزل منزلة من قاتله وأخذ ماله ، فكان له أربعة أخماسه . **قال أبو حنيفة وأصحابه** : المعدن كالركاز ، فما وجد في المعدن من ذهب أو فضة بعد إخراج الخمس اعتبر كل واحد منهما ، فمن حصل بيده ما تجب فيه الزكاة زكاة لتمام الحول إن أتى عليه حول وهو نصاب عنده ، هذا إذا لم يكن عنده ذهب أو فضة وجبت الزكاة . فإن كان عنده من ذلك ما تجب فيه الزكاة ضمه إلى ذلك وزكاة . وكذلك عندهم كل فائدة تضم في الحول إلى النصاب من جنسها وتزكى لحول الأصل ، وهو قول الثوري . قوله تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ**

---

[1] سنن ابن منصور (٢٢٨٨ ، ٢٢٨٩) .

عَلِيمٌ﴾ (٢٦٨) يعدكم يخوفكم الفقر أي بالفقر لئلا تنفقوا . فهذه الآية متصلة بما قبل ، وأن الشيطان له مدخل في التثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله ، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها ، **وقيل** : أي بأن لا تتصدقوا فتعصوا وتقاطعوا .

قوله تعالى : **﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** الوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير ، وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقدر بالخير وبالشر كالبشارة . فهذه الآية مما يقيد فيها الوعد بالمعنيين جميعاً . **قال ابن عباس** : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان . **وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ** : ((**إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان : فأبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فأبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ــ ثم قرأ ــ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**))[1]. ذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير ، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه . **قال ابن عطية** : وليس في الآية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية . وروي أن في التوارة عبدي أنفق من رزقي ابسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القرآن مصداقه وهو قوله : **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** (سبأ:٣٩) والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يعطي من سعة ويعلم حيث يضع ذلك ، ويعلم الغيب والشهادة . وهما اسمان من أسمائه ذكرناهما في جملة الأسماء في الكتاب الأسنى والحمد لله . قوله تعالى : **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو**

---

[1] **الضعيفة** (ح / ١٩٦٣) والترمذي (ح / ٢٩٨٨) .

الأَلْبَابِ﴾ (٢٦٩) أي يعطيها لمن يشاء من عباده . واختلف العلماء في الحكمة هنا ، **فقال السدي** : هي النبوة . **قال ابن عباس** : هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره ، **وأصل الحكمة** : ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة ؛ لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن ، وكذا القرآن والعقل والفهم **وقال بعض الحكماء** : من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم ، فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا ، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً فقال : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** **(النساء:٧٧)** .

قول الله تعالى : **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (٢٧٠) كانت النذور من سيرة العرب تكثر منها ، فذكر الله تعالى النوعين ، ما يفعله المرء متبرعاً وما يفعله بعد إلزامه لنفسه . وفي الآية معنى الوعد والوعيد ، أي من كان خالص النية فهو مثاب ، ومن أنفق رياء أو لمعنى آخر مما يكسبه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم ، يذهب فعله باطلاً ولا يجد له ناصراً فيه . ومعنى يعلمه يحصيه . ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع ؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار ، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها ، وليس كذلك الواجبات . **قال الحسن** : إظهار الزكاة أحسن ، وإخفاء التطوع أفضل ، لأنه أدل على أنه يراد عز وجل به وحده . **قال ابن عباس** : جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفا ، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفاً . **قال** : وكذلك جميع

الفرائض والنوافل في الأشياء لها . **قال المهدوي** : المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به ، فكان الإخفاء أفضل في مدة النبي ﷺ ، ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك ، فاستحسن العلماء إظهار الفرائض لئلا يظن بأحد المنع .

قوله تعالى : **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢)** هذا الكلام متصل بذكر الصدقات ، فكأنه بين فيه جواز الصدقة على المشركين . **وروى ابن عباس أنه قال** : كان ناس من الأنصار لهم قرابات من بني قريظة والنضير ، وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة منهم في أن يسلموا إذا احتاجوا ، فنزلت الآية بسبب أولئك . حكى بعض المفسرين أن أسماء ابنة أبي بكر الصديق أرادت أن تصل جدها أبا قحافة ثم امتنعت من ذلك لكونه كافراً فنزلت الآية في ذلك . وحكى الطبري أن مقصد النبي ﷺ بمنع الصدقة إنما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين ، **فقال الله تعالى** : ليس عليك هداهم **قال علماؤنا** : هذه الصدقة التي أبيحت لهم حسب ما تضمنته هذه الآثار هي صدقة التطوع ، وأما المفروضة فلا يجزىء دفعها لكافر ، لقوله عليه السلام : ((**أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها في فقرائكم**)) [1] **قال ابن المنذر** : أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئاً ، ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك ولم يذكر خلافاً .

قول الله تعالى : **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣) قال السدي ومجاهد وغيرهما** : المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ثم تتناول الآية وكل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر . وإنما خص فقراء

---

[1] **القرطبي** (٣ / ٣٣٧ ، ٨ / ١٦٨) .

المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم وهم أهل الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل ، وذلك أنهم كانوا يقدمون فقراء على رسول الله ﷺ ، وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ ، **فقيل لهم** : أهل الصفة . **قال أبو ذر** : كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل ، ويبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبي ﷺ بعشائه ونتعشى معه . فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ : ((**ناموا في المسجد**)) **قال علماؤنا** : وكانوا رضي الله عنهم في المسجد ضرورة ، وأكلوا من الصدقة ضرورة ، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وتأمروا . **ثم بين الله سبحانه من أحوال أولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله تعالى** : الذين أحصروا في سبيل الله ، والمعنى حبسوا ومنعوا ، **وقيل : معنى** : لا يستطيعون ضربا في الأرض ، أي لما قد ألزموا أنفسهم من الجهاد . قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (٢٧٤) **روي عن ابن عباس أنه قال** : نزلت في علي بن أبى طالب ؓ ، كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم جهراً .

قول الله تعالى : **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩) الآيات الثلاث تضمنت أحكام الربا وجواز عقود المبايعات ، والوعيد لمن استحل الربا وأصر على فعله .**
قوله تعالى : الذين يأكلون الربا ، يأكلون يأخذون ، فعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأخذ إنما يراد للأكل . **والربا في اللغة الزيادة مطلقاً يقال** : ربا الشيء يربو إذا زاد . **والربا الذي عليه عرف الشرع شيئان** : تحريم النساء ، والتفاضل في العقود وفي المطعومات على ما نبينه . وغالبه ما كانت العرب تفعله ، **من قولها للغريم** : أتقضي أم تربي ؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال

ويصبر الطالب عليه وهذا كله محرم باتفاق الأمة . وأكثر البيوع الممنوعة إنما تجد منعها لمعنى زيادة إما في عين مال ، وإما في منفعة لأحدهما من تأخير ونحوه . ومن البيوع ما ليس فيه معنى الزيادة ، كبيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، وكالبيع ساعة النداء يوم الجمعة ، فإن قيل لفاعلها ، آكل الربا فتجوز وتشبيه . **قوله تعالى** : لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، **قال ابن عطية** : وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الدنيا بقيام المجنون ؛ لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه **وهذا كما تقول لمسرع في مشيه يخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره** : قد جن .

قوله تعالى : **﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٢٨٠) **ومعنى قوله تعالى** : وإن كان ذو عسرة ، لما حكم جل وعز لأرباب الربا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال ، حكم في ذي العسرة بالنظرة إلى حال الميسرة ، وذلك أن ثقيفاً لما طلبوا أموالهم التي لهم على بني المغيرة شكوا العسرة ــ **يعني بني المغيرة** ــ **وقالوا** : ليس لنا شيء ، وطلبوا الأجل إلى وقت ثمارهم ، **فنزلت هذه الآية** : وإن كان ذو عسرة . وقوله تعالى : **وإن كان ذو عسرة ، مع قوله** : وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، يدل على ثبوت المطالبة لصاحب الدين على المدين وجواز أخذ ماله بغير رضاه . ويدل على أن الغريم متى امتنع من أداء الدين مع الإمكان كان ظالماً ، فإن الله تعالى **يقول** : فلكم رؤوس أموالكم ، **فجعل** له المطالبة برأس ماله . فإذا كان له حق المطالبة فعلى من عليه الدين لا محالة وجوب قضائه . **قال بعض العلماء** : هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية من بيع من أعسر . وحكى مكي أن النبي ﷺ أمر به في صدر الإسلام . **قال الطحاوي** : كان الحر يباع في الدين أول الإسلام إذا لم يكن له مال يقضيه عن نفسه حتى نسخ الله ذلك **فقال جل وعز** : وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . **قال جماعة من أهل العلم** : قوله تعالى : فنظرة

إلى ميسرة ، عامة في جميع الناس ، فكل من أعسر أنظر ، وهـذا قـول أبـي هريرة و الحسن وعامة الفقهاء . **قال ابن عباس وشريح** : ذلك في الربا خاصة فأما الديون وسائر المعاملات فليس فيها نظرة بل يؤدي إلى أهلها أو يحبس فيه حتى يوفيه ، وهو قول إبراهيم . واحتجوا بقول الله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء:٥٨)** ومن كثرت ديونه وطلب غرماؤه مالهم فللحاكم أن يخلعه عن كل ماله ويترك له ما كان من ضرورته . روى ابن نافع عن مالك أنه لا يترك له إلا ما يواريه ، والمشهور أنه يترك له كسوته المعتادة ما لم يكن فيها فضل ، ولا ينزع منه وداؤه وإن كان ذلك مزرياً به . وفي ترك كسوة زوجته وفي بيع كتبه إن كان عالماً خلاف . ولا يترك له مسكن ولا خادم ولا ثوب جمعة ما لم تقل قيمتها ، وعند هذا يحرم حبسه . ويحبس المفلس في قول مالك و الشافعي وأبي حنيفة وغيرهم حتى يتبين عدمه . ولا يحبس عند مالك إن لم يتهم أنه غيب ماله ولم يتبين لدده . وكذلك لا يحبس إن صح عسره على ما ذكرنا . فإن جمع مال المفلس ثم تلف قبل وصوله إلى أربابه وقبل البيع ، فعلى المفلس ضمانه ، ودين الغرماء ثابت في ذمته . فإن باع الحاكم ماله وقبض ثمنه ثم تلف الثمن قبل قبض الغرماء له ، كان عليهم ضمانه وقد برىء المفلس منه .

قول الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ**

للشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢)

قال ابن عباس : هذه الآية نزلت في السلم خاصة . معناه أن سلم أهل المدينة كان سبب الآية ، ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعاً . **وقال ابن خويز منداد** : إنها تضمنت ثلاثين حكماً . وقد استدل بها بعض علمائنا على جواز التأجيل في القروض ، على ما قال مالك ، إذ لم يفصل بين القرض وسائر العقود في المداينات . وخالف في ذلك الشافعية ، **وقالوا** : الآية ليس فيها جواز التأجيل في سائر الديون ، وإنما فيها الأمر بالإشهاد إذا كان ديناً مؤجلاً ، ثم يعلم بدلالة أخرى جواز التأجيل في الدين وامتناعه . **ثبت أن رسول الله ﷺ** : قدم المدينة وهم يستلفون في الثمار السنتين والثلاث ، **فقال رسول الله ﷺ** : من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم . **وقال ابن عمر** : كان أهل الجاهلية يتبايعون لحم الجزور إلى حبل الحبلة . **وحبل الحبلة** : أن تنتج الناقة ثم تحمل التي نتجت. فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك . وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم الجائز أن يسلم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف ، من طعام أرض عامة لا يخطىء مثلها ، بكيل معلوم ، إلى أجل معلوم بدنانير أو دراهم معلومة ، يدفع ثمن ما أسلم فيه قبل أن يفترقا من مقامهما الذي تبايعا فيه ، وسميا المكان الذي يقبض فيه الطعام . فإذا فعلا ذلك وكان جائز الأمر سلما صحيحاً لا أعلم أحداً من أهل العلم يبطله . **قال علماؤنا** : إن السلم إلى الحصاد والجذاذ والنيروز والمهرجان جائز ، إذ ذاك يختص بوقت وزمن معلوم . وحد علماؤنا رحمة الله عليهم السلم ، **فقالوا** : هو بيع معلوم في الذمة محصور بالصفة بعين حاضرة أو ما هو في حكمها إلى أجل معلوم . فتقييده بمعلوم في الذمة يفيد التحرز من المجهول ، ومن السلم في الأعيان المعينة ، مثل الذي كانوا يستلفون في المدينة حين قدم عليهم النبي عليه

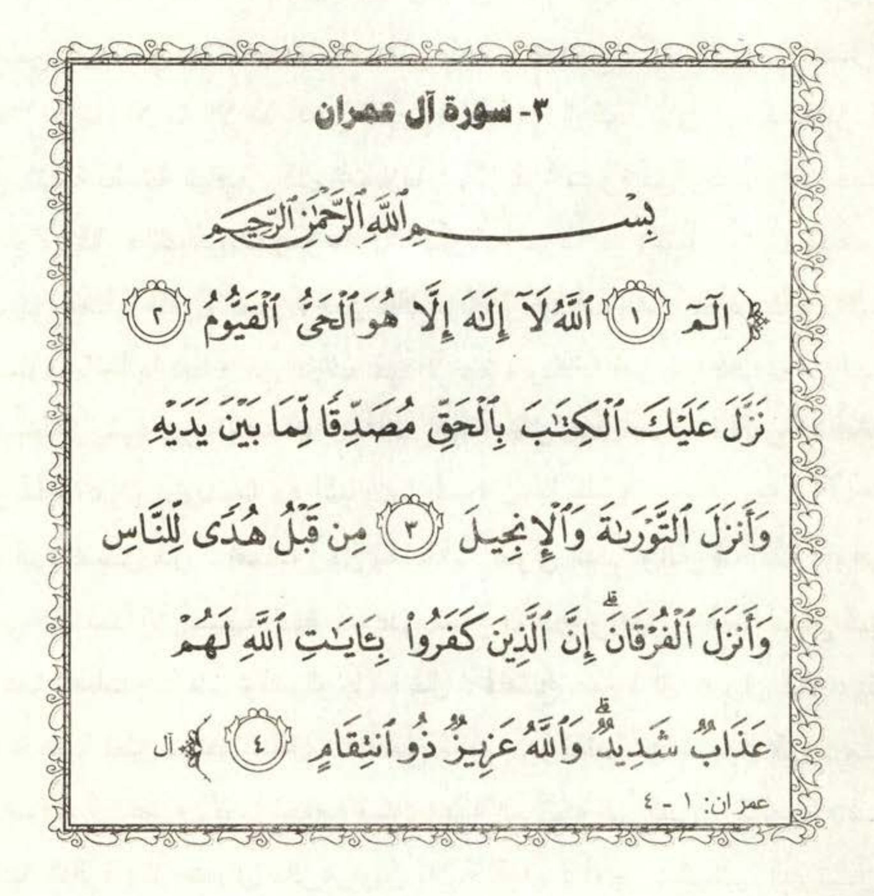
السلام فإنهم كانوا يستلفون في ثمار نخيل بأعيانها ، فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر ، إذ قد تخلف تلك الأشجار فلا تثمر شيئاً . وقولهم محصور بالصفة تحرز عن المعلوم على الجملة دون التفصيل ، كما لو أسلم في تمر أو ثياب أو حيتان ولم يبين نوعها ولا صفتها المعينة . السلم والسلف عبارتان عن معنى واحد وقد جاءا في الحديث ، غير أن الاسم الخاص بهذا الباب السلم ؛ لأن السلف يقال على القرض والسلم بيع من البيوع الجائزة بالاتفاق ، **مستثنى من :** نهيه عليه السلام عن بيع ما ليس عندك . وأرخص في السلم ، لأن السلم لما كان بيع معلوم في الذمة كان بيع غائب تدعو إليه ضرورة كل واحد من المتبايعين ، فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري الثمرة ، وصاحب الثمرة محتاج إلى ثمنها قبل إبانها لينفقه عليها . فظهر أن بيع السلم من المصالح الحاجية ، وقد سماه الفقهاء بيع المحاويج فإن جاز حالاً بطلت هذه الحكمة وارتفعت هذه المصلحة ، ولم يكن لاستثنائه من بيع ما ليس عندك فائدة . **وفي شروط السلم المتفق عليها والمختلف فيها وهي تسعة** : ستة في المسلم فيه ، وثلاثة في رأس مال السلم . **أما الستة التي في المسلم فيه** : فأن يكون في الذمة ، وأن يكون موصوفاً ، وأن يكون موصوفاً ، وأن يكون مقدراً ، وأن يكون مؤجلاً ، وأن يكون الأجل معلوما ، وأن يكون موجوداً عند محل الأجل . **وأما الثلاثة التي في رأس مال السلم** : فأن يكون معلوم الجنس ، مقدراً ، نقداً . وهذه الشروط الثلاثة التي في رأس المال متفق عليها إلا النقد حسب ما تقدم . **قال ابن العربي** : وأما الشرط الأول وهو أن يكون في الذمة فلا إشكال في أن المقصود منه كونه في الذمة ، لأنه مداينة ، ولولا ذلك لم يشرع ديناً ولا قصد الناس إليه ربحاً ورفقاً . وعلى ذلك القول اتفق الناس . **وقوله تعالى** : "ولا يأب كاتب أن يكتب" ، نهى الله الكاتب عن الإباء . واختلف الناس في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد ، **فقال الطبري والربيع** : واجب على الكاتب إذا أمر أن يكتب . **وقال الحسن** : ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يقدر

على كاتب غيره ، فيضر الدين إن امتنع ، فإن كان كذلك فهو فريضة ، وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره قوله تعالى : **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** (٢٨٦) **قال ابن عباس ، وقال بعضهم** : جميع القرآن نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ إلا هذه فإن النبي ﷺ هو الذي سمع ليلة المعراج ، **وقال بعضهم** : لم يكن ذلك في قصة المعراج ؛ لأن ليلة المعراج كانت بمكة وهذه السورة كلها مدنية ، **فأما من قال : إنها كانت ليلة المعراج قال** : لما صعد النبي ﷺ وبلغ في السماوات في مكان مرتفع ومعه جبريل حتى جاوز سدرة المنتهى **فقال له جبريل** : إني لم أجاوز هذا الموضع ولم يؤمر بالمجاوزة أحد هذا الموضع غيرك فجاوز النبي ﷺ حتى بلغ الموضع الذي شاء الله ، فأشار إليه جبريل بأن سلم على ربك ، فقال النبي ﷺ : **التحيات لله والصلوات والطيبات .**

قال الله تعالى : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فأراد النبي ﷺ أن يكون لأمته حظ في السلام **فقال** : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، **فقال جبريل وأهل السماوات كلهم** : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . **قال الله تعالى** : آمن الرسول ، على معنى الشكر ، أي : صدق الرسول بما أنزل إليه من ربه ، فأراد النبي ﷺ أن يشارك أمته في الكرامة **والفضيلة فقال** : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى ، **فقال له ربه** : كيف قبولهم بآي الذي أنزلتها ؟ **وهو قول الله تعالى** : وإن تبدوا ما في أنفسكم ، **فقال رسول الله ﷺ** : قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، يعني المرجع . **فقال الله تعالى**

عند ذلك : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، **يعني طاقتها ويقال** : إلا دون طاقتها . لها ما كسبت ، **من الخير** : وعليها ما اكتسبت ، من الشر ، **فقال جبريـــل عنـــد ذلك** : سل تعطه ، **فقال النبي ﷺ** : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ، **يعني إن جهلنـــا** : أو أخطأنا ، يعني إن تعمدنا ، **ويقال** : إن علمنا بالنسيان والخطـــأ . **فقـــال لـــه جبريل** : قد أعطيت ذلك قد رفع عن أمتك الخطأ والنسيان . **فسل شـيئاً آخـــر فقال** : ربنا ولا تحمل علينا أصرا ، يعني ثقلاً "**كما حملته على الذين من قبلنـــا**" وهو أنه حرم عليهم الطيبات بظلمهم ، وكانوا إذا أذنبوا بالليـــل وجـــدوا ذلـــك مكتوباً على بابهم ، وكانت الصلوات عليهم خمسين ، فخفف الله عن هذه الأمـــة وحط عنهم بعد ما فرض خمسين صلاة . **ثم قال** : ربنا ولا تحملنا ما لا طاقـــة لنا به ، **يقول** : لا تثقلنا من العمل ما لا نطيق فتعذبنا ، **ويقـــال** : ما تشق علينا ، لأنهم لو أمروا بخمسين صلاة لكانوا يطيقون ذلك ولكنه يشق عليهم ولا يطيقون **الإدامة عليه** : واعف عنا ، **من ذلك كله** : واغفر لنا ، وتجاوز عنا ، **ويقـــال** : واعف عنا ، **من المسخ** : واغفر لنا ، **من الخسف** : وارحمنا ، مـــن القـــذف ، لأن الأمم الماضية بعضهم أصابهم المسخ وبعضهم أصابهم الخـــسف وبعـــضهم القذف ثم قال : **أنت مولانا** ، **يعني ولينا وحافظنا** : فانصرنا على القوم الكافرين ، فاستجيبت دعوته. **قال الزجاج** : لما ذكر الله تعالى في هذه الـــسورة فـــرض الصلاة والزكاة وبين أحكام الحج وحكم الحيض والطلاق والإيلاء وأقاصـــيص الأنبياء وبين حكم الربا ، ذكر تعظيمه سبحانه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لِلَّهِ مَـــا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـــهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٢٨٤) **ثـــم ذكر تصديق نبيه ﷺ ثم ذكر تصديق المؤمنين بجميع ذلك فقال** : آمن الرسول.

****



٣- سورة آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾
نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ آل
عمران: ١ ـ ٤

٣ ـ سورة آل عمران

قوله تعالى : ﴿ الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران:١ ـ ٢)
هذه السورة مدنية بإجماع . **حكى النقاش** : أن اسمها في التوراة طيبة ، روى الكسائي أن عمر بن الخطاب ﷺ صلى العشاء فاستفتح آل عمران فقرأ : ﴿الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فقرأ في الركعة الأولى بمائة آية ، وفي الثانية بالمائة الباقية . **قال علماؤنا** : ولا يقرأ سورة في ركعتين فإن فعل أجزأه ، **وقال مالك في المجموعة** : لا بأس به ، وما هو بالشأن . هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار ، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات ، وكنز للصعلوك ، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة ، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة ، إلى غير ذلك . **عن الشعبي قال : قال عبد الله** : نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل .

عن أبي السليل قال : أصاب رجل دما قال : فأوى إلى وادي مجنة : واد لا يمشي فيه أحد إلا أصابته حية ، وعلى شفير الوادي راهبان ، **فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه** : هلك والله الرجل ! **قال** : **فافتتح سورة آل عمران قالا** : فقرأ سورة طيبة لعله سينجو . **قال** : **فأصبح سليما . وأسند عن مكحول قال** : من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل . **للعلماء في تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين ثلاثة أقوال : الأول** : أنهما النيرتان ، مأخوذ من الزهر و الزهرة ، فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما ، أي من معانيهما . وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة ، وهو القول **الثاني** . **الثالث** : سميتا بذلك لأنهما أشركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم ، كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال : ((**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**))[1] قوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**

---

[1] **صحيح** . أخرجه أبو داود (ح / ١٤٩٦) وصحيح الجامع (ح / ٩٨٠) .

مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ (٣) **يعني القرآن بالحق** : أي بالصدق ، **وقيل** : بالحجة الغالبة . **والقرآن نزل نجوما** : شيئا بعد شئ ، فلذلك قال نزل والتنزيل مرة بعد مرة . والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة ، فلذلك قال أنزل .

قول الله تعالى : لما بين يديه ، يعني من الكتب المنزلة ، والتوراة معناها الضياء والنور ، مشتقة من ورى الزند وورِي لغتان إذا خرجت ناره . **وحكى شمر عن بعضهم** : الإنجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور . **وقيل** : نجل عمل وصنع ، **قال** : وأنجل في ذاك الصنيع كما نجل أي أعمل وأصنع . **وقيل** : التوراة والإنجيل من اللغة السريانية . **وقيل** : الإنجيل بالسريانية إنكليون . **قال الجوهري** : الإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يذكر ويؤنث ، فمن أنث أراد الصحيفة ، ومن ذكر أراد الكتاب . قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾** (٥) هذا خبر عن علمه تعالى بالأشياء على التفصيل ، ومثله في القرآن كثير . فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون ، فكيف يكون عيسى إلها أو ابن إله وهو تخفى عليه الأشياء ! . قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (٦) أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات . وأصل الرحم من الرحمة لأنها مما يتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله ، فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة . وهذه الآية تعظيم لله تعالى ، وفي ضمنها الرد على نصارى نجران ، وأن عيسى من المصورين ، وذلك مما لا ينكره عاقل . **خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت** : تلا رسول الله ﷺ :﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾** (٧) **قالت** : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا رأيتم الذين يتبعون ما**

تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)) [1]**وعن أبي غالب قال** : كنت أمشي مع أبي أمامة وهو على حمار له ، حتى إذا انتهى إلى درج مسجد دمشق فإذا رؤوس مصوبة ، **فقال** : ما هذه الرؤوس ؟ **قيل** : هذه رؤوس خوارج يجاء بهم من العراق . **فقال أبو أمامة** : كلاب النار كلاب النار كلاب النار ! شر قتلى تحت ظل السماء ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه يقولها ثلاثا ثم بكى ، **فقلت** : ما يبكيك يا أبا أمامة ؟ **قال** : رحمة لهم ، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه ، ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾(٧) ثم قرأ : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ **(١٠٥)** **فقلت** : يا أبا أمامة ، هم هؤلاء ؟ **قال** : نعم . **قلت** : أشيء تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله ﷺ **فقال** : إني إذا لجرئ إني إذا لجرئ بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع ، ووضع إصبعيه في أذنيه ، **قال : وإلا فصمتا قالها ثلاثا ثم قال** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وسائرهم في النار ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة واحدة في الجنة وسائرهم في النار**)) [2].

قول الله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ **(٣٥) يقال : إنها لما حملت قالت :**

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (ح / ٤٠٧٤) ومسلم في (العلم ، ح / ١) .
[2] **صحيح** . أخرجه الترمذي (ح / ٢٦٤٠) والحاكم (١ / ٢٢٠) .

لئن نجاني الله ووضعت ما في بطني لجعلته محررا . **ومعنى لك** : أي لعبادتك ، **وقيل** : إن سبب قول امرأة عمران هذا أنها كانت كبيرة لا تلد ، وكانوا أهل بيت من الله بمكان ، وأنها كانت تحت شجرة فبصرت بطائر يزق فرخا فتحركت نفسها لذلك ، ودعت ربها أن يهب له ولدا ، **ونذرت إن ولدت أن تجعل ولدها محررا** : أي عتيقا خالصا لله تعالى ، خادما للكنيسة حبيسا عليها ، مفرغا لعبادة الله تعالى . وكان ذلك جائزا في شريعتهم ، وكان على أولادهم أن يطيعوهم . فلما وضعت مريم قالت : رب إني وضعتها أنثى يعني أن الأنثى لا تصلح لخدمة الكنيسة . **قال ابن العربي** : لا خلاف أن امرأ ة عمران لا يتطرق إلى حملها نذر لكونها حرة ، فلو كانت امرأته أمه فلا خلاف أن المرء لا يصح له نذر في ولده وكيفما تصرفت حاله ، فإن إن كان الناذر عبدا فلم يتقرر له قوله في ذلك ، وإن كان حرا فلا يصح أن يكون مملوكا له ، **وكذلك المرأة مثله** : فأي وجه للنذر فيه ؟ وإنما معناه والله أعلم أن المرء إنما يريد ولده للأنس به والاستنصار والتسلي ، فطلبت هذه المرأة الولد أنسا به وسكونا غليه ح فلما من الله تعالى عليها به نذرت أن حظها من الأنس به متروك فيه ، وهو على خدمة الله تعالى موقوف ، وهذا نذر الأحرار من الأبرار . **وأرادت به محررا من جهتي ن محررا من رق الدنيا وأشغالها ، وقد قال رجل من الصوفية لأمة** : يا **أمة** : ذريني لله أتعبد له وأتعلم العلم ، **فقالت** : نعم . فسار حتى تبصر ثم عاد إليها فدق الباب ، **فقالت** : من ؟ **فقال لها** : ابنك فلان ، قالت : قد تركناك لله ولا نعود فيك . **وقوله تعالى:** محررا ، مأخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية ، من هذا تحرير الكتاب ، وهو تخليصه من الاضطراب **والفساد** ، **وروي عن ومجاهد** : أن المحرر الخالص لله عز وجل لا يشوبه شيء من أمر .

قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ**

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦) **قال ابن عباس** : إنما قالت هذا لأنه لم يكن يقبل في النذر إلى الذكور ، فقبل الله مريم . وأنثى حال ، وإن شئت بدل . **وقيل** : إنها ربتها حتى ترعرعت وحين إذ أرسلتها ، **وقيل** : لفتها في خرقتها وأرسلت بها إلى المسجد ، فوفت بنذرها وتبرأت منها . ولعل الحجاب لم يكن عندهم كما كان في صدر الإسلام .

قوله تعالى : **﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (٣٧) **المعنى** : سلك بها طريق السعداء ، عن ابن عباس . **وقال قوم** : معنى التقبل التكفل بالتربية والقيام بشأنها . **وقال الحسن** : معنى التقبل أنه ما عذبها ساعة قط من ليل ولا نهار .

وقوله تعالى : وأنبتها نباتا حسنا ، يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد والقبول والنبات مصدران على غير المصدر ، والأصل تقبلا وإنباتا . **قوله تعالى** : كلما دخل عليها زكريا المحراب ، المحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس . **وجاء في الخبر** : إنها كانت في غرفة كان زكريا يصعد إليها بسلم . **قال وضاح اليمن** : ربة محراب إذا جئتها لم ألقها حتى ارتقي سلما أي ربة غرفة . **روى أبو صالح عن ابن عباس قال** : حملت امرأة عمران بعد ما أسنت فنذرت ما في بطنها محررا **فقال لها عمران** : ويحك ما صنعت أرأيت إن كانت أنثى فاغتما لذلك جميعا . فهلك عمران وحنة حامل فولدت أنثى فتقبلها الله بقبول حسن ، وكان لا يحرر إلا الغلمان فتساهم عليها الأحبار بالأقلام التي يكتبون بها الوحي ، على ما يأتي . فكفلها زكريا وأخذ لها موضعا فلما أسنت جعل لها محرابا لا يرتقي إليه إلا بسلم ، واستأجر لها ظئرا وكان يغلق عليها باب ، وكان لا يدخل عليها إلا زكريا حتى كبرت ، فكانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله فتكون عند خالتها وكانت خالتها امرأة زكريا في قول الكلبي .

قوله تعالى : ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ (٣٨) دلت هذه الآية على طلب الولد ، وهي سنة المرسلين والصديقين ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾(الرعد:٣٨) **عن سعد بن أبي وقاص قال** : أراد عثمان أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا . **وخرج ابن ماجة عن عائشة قالت** : قال رسول الله ﷺ : ((**النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء**))[1] .

قول الله تعالى : ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (٣٩) **قيل** : الرب هنا جبريل ، **أي قال لجبريل** : رب أي يا سيدي أنى يكون لي غلام يعني ولدا . **وقال بعضهم** : قوله رب يعني الله تعالى . وأنى بمعنى كيف ، وهو في موضع نصب على الظرف . **وفي معنى هذا الاستفهام وجهان** : **أحدهما** : أنه سأل هل يكون له الولد وهو وامرأته على أنه سأل هل يكون له الولد وهو وامرأته على حاليهما أو يردان إلى حال من يلد ؟ **الثاني** : سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أو من غيرها . **وقيل** : المعنى بأي منزلة أستوجب هذا وأنا وامرأتي على هذا الحال ، على وجه التواضع . ويروى أنه كان بين دعائه والوقت الذي يبشر فيه أربعون سنة ، وكان يوم بشر ابن تسعين سنة وامرأته قريبة السن منه . **وقال ابن عباس والضحاك** : كان قوله تعالى :﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ (٤١) لما بشر بالولد ولم يبعد عنده هذا في قدرة الله تعالى طلب آية أي علامة يعرف بها صحة هذا الأمر وكونه من عند الله تعالى

---

[1] **أنظر: الأسرار** : (١٦٧) .

فعاقبه الله تعالى بأن أصابه السكوت عن كلام الناس لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ **(٤٢)** أي اختارك ، وطهرك من الكفر **قال علماؤنا رحمة الله عليهم** : الكمال هو التناهي والتمام ، **ويقال في ماضيه** : كمل بفتح الميم وضمها ، ويكمل في مضارعه بالضم ، وكمال كل شيء بحسبه والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصة . ولا شك أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين . وإذا تقرر هذا فقد والصحيح أن مريم نبية ؛ لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين حسب ما تقدم ويأتي بيانه أيضا في مريم . وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة بل على صديقتها وفضلها ، على ما يأتي بيانه في التحريم . وقد خص الله مريم بما لم تؤته أحدا من النساء ، وذلك أن روح القدس كلمها وظهر لها ونفخ في درعها ودنا منها للنفخة ، فليس هذا لأحد من النساء . وصدقت بكلمات ربها ولم سأل آية عندما بشرت كما سأل زكريا ﷺ من الآية ، **ولذلك سماها الله في تنزيله صديقة فقال** : وأمه صديقة ، **وقال** : وصدقت **بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** : فشهد لها بالصديقة وشهد لها بالتصديق لكلمات البشرى وشهد لها بالقنوت . **وإنما بشر زكريا بغلام فلحظ إلى كبر سنه وعقامة رحم امرأته فقال** : أنى يكون لي غلام وامرأتي عاقر ، فسال آية وبشرت مريم بالغلام فلحظت أنها بكر ولم يمسسها بشر فقيل لها كذلك قال ربك فاقتصرت على ذلك وصدقت بكلمات ربها ولم تسأل آية ممن يعلم كنه هذا الأمر ومن لامرأة في جميع نساء العالمين من بنت آدم ما لها من هذه المناقب .

ولذلك روي أنها سبقت السابقين مع الرسل إلى الجنة جاء في الخبر ﷺ لو أسمت لبررت لا يدخل الجنة قبل سابقي أمتي إلا بضعة عشر رجلا منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط موسى وعيسى ومريم ابنة عمران

وقد كان يحق على من انتحل علم الظاهر واستدل بالأشياء الظاهرة على الأشياء الباطنة أن يعرف قول رسول الله ﷺ : ((**أنا سيد ولدي آدم ولا فخر**)) [(1)].

قول الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾(٤٤) أي الذي ذكرنا من حديث زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام من أخبار الغيب . نوحيه إليك ، فرد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكر . والإيحاء هنا الإرسال إلى النبي ﷺ . والوحي يكون إلهاما وإيماء وغير ذلك . **قوله تعالى : وما كنت لديهم** : أي وما كنت يا محمد لديهم ، أي بحضرتهم وعندهم . إذ يلقون أقلامهم . جمع قلم ، من قلمه إذا قطعه **قيل** : قداحهم وسهامهم . **وقيل** : أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة ، وهو أجود ؛ لأن **الأزلام قد نهى الله عنه فقال** : ذلكم فسق . إلا أنه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك عن غير الجهة التي كانت عليها الجاهلية تفعلها . أيهم يكفل مريم أي يحضنها ، **فقال زكريا** : أنا أحق بها ، خالتها عندي . وكانت عنده أشيع بنت فاقود أخت حنة بنت فاقود أم مريم . **وقال بنو إسرائيل** : نحن أحق بها ، بنت عالمنا ، فاقترعوا عليها وجاء كل واحد بقلمه ، واتفقوا أن يجعلوا الأقلام في إماء أجارى فمن وقف قلمه ولم يجزه الماء فهو حاضنها . قال النبي ﷺ : ((**فجرت الأقلام وعال قلم زكريا**)) [(2)] .

قوله تعالى : ﴿ **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (٤٦) وكهلا الكهل بين حال الغلومة وحال الشيخوخة . وامرأة كهلة . واكتهلت الروضة إذا عمها النور . **يقول** : يكلم الناس في المهد آية ، ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة **وقال أبو العباس : كلمهم في المهد حين برأ أمه فقال** : إني عبد الله . وأما

---

(1) **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (الأنبياء ، ح / ٣٣٤٠) ومسلم في (الفضائل ، ح / ٣) .

(2) **أنظر : تفسير القرطبي** : (٤ / ٨٦) .

كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله تعالى من السماء أنزله على **صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم** : إني عبد الله كما قال في المهد . فهاتان آيتان وحجتان . **قال المهدوي** : وفائدة الآية أنه أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش إلى أن يكلمهم كهلا ، إذ كانت العادة أن من تكلم في المهد لم يعش . عن حصين عن هلال بن يساف . **قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة** : عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج ، **كذا قال** : وصاحب يوسف . وهو في **صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال** : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب الجبار وبينا صبي يرضع من أمه وذكر الحديث بطوله . قوله تعالى : **﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** (٤٧) أي يا سيدي . **تخاطب جبريل عليه السلام ؛ لأنه لما تمثل لها قال لها** : إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا . فلما سمعت ذلك من قوله استفهمت عن طريق الولد فقالت ك أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ أي بنكاح ، في سورتها ولم أك بغيا . ذكرت هذا تأكيدا ، لأن قولها لم يمسسني بشر **قال ابن عباس** : أخذ جبريل ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى . وقيل غير ذلك على ما يأتي بيانه في سورتها إن شاء الله تعالى . **وقال بعضهم** : وقع نفخ جبريل في رحمها فعلقت بذلك . **وقال بعضهم** : لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل لأنه يصير الولد بعضه من الملائكة وبعضه من الإنس ، ولكن سبب ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم وأخذ الميثاق من ذريته فجعل بعض الماء في أصلاب الآباء وبعضه في أرحام الأمهات فإذا اجتمع الماءان صارا ولدا ، وأن الله تعالى جعل الماءين جميعا في مريم بعضه في رحمها وبعضه في صلبها ، فنفخ فيه جبريل لتهيج شهوتها ؛ لأن المرأة ما لم تهج شهوتها لا تحبل ، فلما هاجت شهوتها بنفخ جبريل وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها فاختلط الماءان فعلقت بذلك ، فدلك قوله **تعالى** : **﴿ قَالَتْ رَبِّ**

أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧) يعني أراد أن يخلق خلقا ، فإنما يقول له كن فيكون .

قوله تعالى : ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ**﴾(٤٨) **قال ابن جريج** : الكتاب الكتابة والخط . **وقيل** : هو كتاب غير التوراة والإنجيل علمه الله عيسى عليه السلام. **فأنفخ فيه** : أي في الواحد منه أو منها أو في الطين فيكون طائرا وطائر وطير مثل تاجر وتجر . **قال وهب** : كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى **قيل** : لم يخلق غير الخفاش لأنه أكمل الطير تخلقا ليكون أبلغ في القدرة ؛ لأن لها ثديا وأسنانا وأذنا ، وهي تحيض وتطهر وتلد . **ويقال** : إنما طلبوا خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق ، ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل ، **وإنما يرى في ساعتين** : بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدا ، ويضحك كما يضحك الإنسان ، ويحيض كما تحيض المرأة .

ويقال : إن سؤالهم كان له على وجه التعنت فقالوا : اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا إن كنت صادقا في مقالتك ، فأخذا طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض ح وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله كما أن النفخ من جبريل والخلق من الله . وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك " **وأحيي الموتى بإذن الله** " **قيل : أحيا أربع أنفس** : العاذر وكان صديقا له ، وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح ، فالله أعلم ، فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقال بإذن الله وودكه يقطر فعاش وولد له وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى

أهله ، وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله **فعاشت بعد ذلك وولد لها فلما رأوا ذلك قالوا** : إنك تحيي من كان موته قريبا **فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فقال لهم** : دلوني على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه ، **فقال له عيسى** : كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب ؟ **فقال : يا روح الله ، إنك دعوتي فسمعت صوتا يقول** : أجب روح الله ، فظننت أن القيامة قد قامت ، فمن هول ذلك شاب رأسي . **فسأله عن النزع فقال** : يا روح الله ، إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي ، وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة ، **فقال للقوم** : صدقوه فإنه نبي ، فآمن به بعضهم **وكذبه بعضهم وقالوا** : هذا سحر . قوله تعالى : **﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾** (٥٠) **وقيل** : المعنى وجئتكم مصدقا . قيل إنما أحل لهم عيسى عليه السلام ما حرم عليهم بذنوبهم ولم يكن في التوراة ، نحو أكل الشحوم وكل ذي ظفر . **وقيل** : إنما أحل لهم أشياء **حرمتها عليهم الأحبار ولم تكن في التوراة محرمة عليهم ز قال أبو عبيدة : يجوز أن يكون بعض بمعنى كل ح وأنشد لبيد** : تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغة ، لأنه البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل في هذا الموضع ، لأن عيسى ﷺ إنما أحل لهم أشياء مما حرمها عليهم موسى من أكل الشحوم وغيرها ولم يحل لهم القتل ولا السرقة ولا الفاحشة . قوله تعالى : **﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾** (٥٢) أي : من بني إسرائيل . **قال أبو عبيدة** : معنى أحس عرف ، وأصل ذلك وجود الشيء بالحاسة . **والإحساس** : العلم بالشيء ، قال الله تعالى : **﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ (مريم:٩٨)** والحس القتل ، قال الله تعالى : **﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ ﴾**

(١٥٢) **قال الحسن** : المعنى من أنصاري في السبيل إلى الله ؛ لأنه دعاهم إلى الله عز وجل . **وقيل** : المعنى من يضم نصرته إلى نصرة الله عز وجل . فإلى على هذين القولين على بابها ، وهو الجيد . وطلب النصرة ليحتمي بها من قومه ويظهر الدعوة . ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** ﴾ أي : أنصار نبيه ودينه . والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، واختلف في تسميتهم بذلك ، **فقال ابن عباس** : سموا ذلك لبياض ثيابهم ، وكانوا صيادين **قال ابن أرطاة** : كانوا قصارين فسموا بذلك لتبييضهم الثياب . **قال عطاء** : أسلمت مريم عيسى إلى أعمال شتى ، وآخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فأراد معلم عيسى السفر ، **فقال لعيسى** : عندي ثياب كثيرة مختلفة الألوان وقد علمتك الصبغة فاصبغها . فطبخ عيسى حبا واحدا وأدخله **جميع الثياب وقال** : كوني بإذن الله على ما أريد منك . فقدم الحواري والثياب كلها في الحب فلما رآها قال قد أفسدتها ، فأخرج عيسى حبا واحدا وأدخله جميع الثياب ، **وقال** : كوني بإذن الله على ما أريد منك . فقدم الحواري والثياب كلها **في الحب فلما رآها قال** : قد أفسدتها ، فأخرج عيسى ثوبا أحمر وأصفر وأخضر إلى غير ذلك مما كان على كل ثوب مكتوب عليه صبغه ، فعجب الحواري ، وعلم أن ذلك من الله ودعا الناس إليه فآمنوا به ، فهم الحواريون . **وقيل** : كانوا ملوكا ، وذلك أن الملك صنع طعاما فدعا الناس إليه فكان عيسى على قصعة فكانت لا تنقص ، **فقال الملك له** : من أنت ؟ **قال** : عيسى ابن مريم **قال** : إني أترك ملكي هذا وأتبعك فانطلق بمن اتبعه معه ، فهم الحواريون . قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ (٥٣) **يعني** : في كتابك وما أظهرته من حكمك . **وقيل** : المعنى فاكتبنا مع الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (٥٤) **يعني** : كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ، أي قتله . وذلك أن عيسى عليه السلام لما

أخرجه قومه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به ، فذلك مكرهم . **ومكر الله** : استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون ، **قال ابن عباس** : كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة . **قول الله تعالى** : ومكر الله ، إلقاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى إليه ، وذلك أن اليهود لما اجتمعوا على قتل عيسى دخل البيت هاربا منهم فرفعه جبريل من الكوة إلى السماء ، **فقال ملكهم لرجل منهم خبيث يقال له يهوذا** : ادخل عليه فاقتله ، فدخل الخوخة فلم يجد هناك عيسى وألقى عليه شبه عيسى ن فلما خرج رأوه على شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه . **ثم قالوا** : وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا ، فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا ، **فذلك قوله تعالى** : ومكروا ومكر الله . قوله تعالى : **﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥٥) المعنى** : إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء . **قال وهب بن منبه** : توفى الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه إلى السماء ، وهذا فيه بعد ، فإنه صح في الأخبار عن النبي ﷺ نزوله وقتله الدجال . **قال الضحاك** : كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر إبليس جمع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة . **فقال المسيح للحواريين** : أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة ؟ **فقال رجل** : أنا يا نبي الله ، فألقى إليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وألقى عليه شبه عيسى ، فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه . وأما المسيح فكاه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة وذكر أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه **يقطر ماء فقال لهم** : أما إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ، **ثم قال** : أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي . فقام شاب من أحدثهم فقال أنا . **فقال عيسى** : اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا . **فقال عيسى** : اجلس ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال نعم أنت ذاك . فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام . **قال** : ورفع الله تعالى عيسى من روزنة كانت في البيت إلى السماء **قال** : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، **فتفرقوا ثلاث فرق** : **قالت فرقة** : كان فينا الله ما شاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية . **وقالت فرقة** : كان فينا ابن الله ما شاء الله رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية . **وقالت فرقة** : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه غليه ، وهؤلاء المسلمون . فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا ، فأنزل الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾** (الصف:١٤) أي : آمن آباؤهم في زمن عيسى . **عن أبي هريرة قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء** والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد))[1] . قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ**

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الإيمان ، ح / ٢٤٣) .

نَاصِرِينَ) (٥٦) يعني بالقتل والصلب والسبي والجزية ، وفي الآخرة بالنار.
قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾٥٩) التشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم ، لا على انه خلق من تراب . والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد ، فإن آدم قد خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة ، ولكن شبه ما بينهما انهما خلقا من غير أب ، ولأن أصل خلقهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب ، ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه منه ، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال ، ثم جعله بشرا من غير أب . قال تعالى : ﴿ **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ (٦٠) فلا تكن من المنكرين الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ، لأنه ﷺ لم يكن شاكا في أمره عيسى عليه السلام . قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (٦٢) الإشارة في قوله إن هذا إلى القرآن وما فيه من الأقاصيص ، سميت قصصا لأن المعاني تتتابع فيها ، **فهو من قولهم** : فلا يقص أثر فلان ، أي : يتبعه . وما من إله إلا الله من زائدة للتوكيد ، والمعنى وما إله إلا الله العزيز أي الذي لا يغلب .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾(٦٤) **قيل** : هو لليهود والنصارى جميعا ، وفي **كتاب النبي ﷺ إلى هرقل** : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يأتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ويا **أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله إلى قوله** : فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا** ﴾ **أي** : أعرضوا عما دعوا إليه . **فقولوا** : اشهدوا بأنا مسلمون أي متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه

معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام ، غير متخذين أحدا ربا لا عيسى ولا عزير ولا الملائكة لأنهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا ، ولا نقبل من الرهبان شيئا بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أربابا .
قوله تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (٦٥) هذه الآية نزلت بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه ، فأكذبهم الله تعالى بأن اليهودية والنصرانية إنما كانتا من بعده ، **فذلك قوله** : وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده . **قال الزجاج** : هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى ، إذ التوراة والإنجيل أنزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الأديان ، واسم الإسلام في كل كتاب . **ويقال** : كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى أيضا ألف سنة أفلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان قولكم .
قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ (٧٢) نزلت في كعب بين الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما ، **قالوا للسفلة من قومهم** : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، **يعني** : أوله . وسمي وجها لأنه أحسنه ، وأول ما يواجه منه أوله . **معنى الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض** : أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره ، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم ، **ويقولون** : إن أهل الكتاب أعلم به منا . **وقيل** : المعنى آمنوا بصلاته في أول النهار إلى بيت المقدس فإنه الحق واكفروا بصلاته آخر النهار إلى الكعبة لعلهم يرجعون إلى قبلتكم ، عن ابن عباس وغيره
قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) هذا نهي ، وهو من كلام اليهود بعضهم لبعض ، أي قال ذلك الرؤساء للسفلة . **وقال السدي** : من قول يهود خيبر ليهود المدينة . وهذه الآية أشكل ما في السورة . فروي عن الحسن ومجاهد أن معنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنهم لا حجة لهم فإنكم أصح منهم دينا . وأن و يحاجوكم في موضع خفض ، أي بأن يحاجوكم أي باحتجاجهم ، أي لا تصدقوهم في ذلك فإنهم لا حجة لهم . أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من التوراة والمن والسلوى وفرق البحر وغيرها من الآيات والفضائل فيكون أن يؤتى مؤخرا بعد أو يحاجوكم ، وقوله إن الهدى هدى الله اعتراض بين كلامين . **وقيل** : المعنى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، فالمد على الاستفهام أيضا تأكيد للإنكار الذي قالوه إنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوه ، لأن علماء اليهود قالت لهم ، لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أي لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، فالكلام على نسقه . وأن في موضع رفع على قول من رفع في قولك أزيد ضربته ، والخبر محذوف تقديره أن يؤتى أحد ما أوتيتم تصدقون أو تقرون ، أي إيتاء موجود مصدق أو مقر به ، أي لا تصدقون بذلك . **والمعنى : أن علماء اليهود قالت لهم** : لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أي لا إيمان لهم ولا حجة ، فعطف على المعنى من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الفضائل والكرامات ، أي إنها لا تكون إلا فيكم فلا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم . قوله تعالى : **﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾** (٧٩) **معناه ما ينبغي ، كما قال** : وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا و ما كان لله أن يتخذ من ولد وما يكون لنا أن نتكلم بهذا . يعني ما ينبغي . والبشر يقع للواحد والجمع لأنه بمنزلة المصدر والمراد به هنا عيسى في قول الضحاك والسدي . **والكتاب** :

القرآن . **والحكم** : العلم والفهم . **وقيل أيضا** : الأحكام . أي إن الله لا يصطفي لنبوته الكذبة ، ولو فعل ذلك بشر لسلبه الله آيات النبوة وعلاماتها . **قال أبو عبيدة : سمعت عالما يقول** : الرباني العالم بالحلال و الحرام و الأمر و النهي العارف بأنباء الأمة و ما كان و ما يكون . **وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس** : اليوم مات رباني هذه الأمة . و روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ((**ما من مؤمن ذكر و لا أنثى حر ولا مملوك إلا ولله عز و جل عليه حق أن يتعلم من القرآن و يتفقه في دينه ثم تلا هذه الآية : و لكن كونوا ربانيين**))[1] .

قوله تعالى : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ (٨٣) **قال الكلبي** : أن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ ، **فقالوا** : أينا أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي ﷺ : ((**كلا الفريقين بريء من دينه**))[2]**فقالوا** : ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك ، **فنزل** : أفغير دين الله يبغون ، يعني يطلبون .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (٨٤) **قال ابن العباس** : إن رجلا من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم ، **فأرسل إلى قومه** : سلوا لي رسول الله هل لي من توبة فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ ، **فقالوا** : هل له من توبة ؟ فنزلت : ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (٨٦) **قال الحسن** : نزلت في اليهود لأنهم كانوا يبشرون بالنبي ﷺ ويستفتحون على الذين كفروا ، فلما

---

[1] **القرطبي** : (٤ / ١٢٧) .
[2] **القرطبي** : (٤ / ١٢٧) .

بعث عاندوا وكفروا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾(٨٧) **ثم قيل** : كيف لفظة استفهام ومعناه الجحد أي لا يهدي الله . ونظيره قوله : ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ (التوبة:٧) .

قال تعالى : ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي لا يؤخرون ولا يؤجلون . ثم استثنى التائبين فقال : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (٨٩) هو الحارث بن سويد . ويدخل في الآية بالمعنى كل من راجع الإسلام وأخلص . **قال الحسن** : نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد ﷺ والقرآن . **وقال أبو العالية** : نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم بنعته وصفته ، ثم ازدادوا كفرا " بإقامتهم على كفرهم .

قوله تعالى :﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (٩٣) أي حلالا ، **ثم استثنى فقال** : إلا ما حرم إسرائيل على نفسه . و هو يعقوب عليه السلام . **قال السدي** : أقبل يعقوب عليه السلام من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو ، وكان رجلا بطشا قويا ، فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه ، فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام ، ثم صعد الملك إلى السماء و يعقوب ينظر إليه فهاج عليه عرق النسا ، و لقي من ذلك بلاء شديدا ، فكان لا ينام الليل من الوجع و يبيت وله زقاء أي صياح ، فحلف يعقوب عليه السلام إن شفاه الله جل و عز ألا يأكل عرقا ، ولا يأكل طعاما فيه عرق فنحرمها على نفسه ، فجعل بنوه يتبعون بعد ذلك العروق فيخرجونها من اللحم . وكان سبب غمز الملك ليعقوب أنه كان نذر إن ونهب الله له اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم . فكان ذلك

للمخرج من نذره ، عن الضحاك . واختلف هل كان التحريم من يعقوب باجتهاد منه أو بإذن من الله تعالى ؟ **والصحيح الأول لأن الله تعالى أضاف التحريم إليه بقوله تعالى** : إلا ما حرم . وأن النبي إذا أداه اجتهاده إلى شيء كان دينا يلزمنا اتباعه لتقرير الله سبحانه إياه على ذلك . وكما يوحى إليه و يلزم اتباعه ، كذلك يؤذن له ويجتهد ، ويتعين موجب اجتهاده إذا قدر عليه ، ولولا تقدم الإذن له في تحريم ذلك ما تسور على التحليل و التحريم . وقد حرم نبينا ﷺ العسل على الرواية الصحيحة ، أو خادمة مارية فلم يقر الله تحريمه و نزل لم تحرم ما أحل الله لك . على ما يأتي بيانه في التحريم .

قال عز و جل : ﴿ **افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ **(٩٤) قال الزجاج** : في هذه الآية أعظم دلالة لنبوة محمد نبينا ﷺ ، أخبرهم أنه ليس في كتابهم ، وأمرهم أن يأتوا بالتوراة فأبوا ، يعني عرفوا أنه قال ذلك بالوحي . **وقال عطية العوفي** : إنما كان ذلك حراما عليهم بتحريم يعقوب ذلك عليهم . **وذلك أن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا** : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولك ، ولم يكن ذلك محرما عليهم . قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** ﴾ **(١٠٠)** نزلت في يهودي أراد تجديد الفتنة بين الأوس والخزرج بعد انقطاعها بالنبي ﷺ ، فجلس بينهم وأنشدهم شعراً قاله أحد الحيين في حربهم . **فقال الحي الآخر** : قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا ، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، **فقالوا** : تعالوا نرد الحرب جذعاء كما كانت . **فنادى هؤلاء** : يا آل أوس . **ونادى هؤلاء** : يا آل خزرج ، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية ، فجاء النبي ﷺ حتى وقف بين الصفين فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبكون . والذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي ، دس على الأوس والخزرج من يذكرهم ما كان بينهم من الحروب ، وأن النبي ﷺ أتاهم

ذكرهم ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين ، **فأنزل الله عز وجل** : يا أيها الذين آمنوا ، يعني الأوس والخزرج .

قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ **(١٠٨)** يعني ننزل عليك جبريل فيقرأها عليك . بالحق ، **أي** : بالصدق . قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** ﴾ **(١٠٩) قال المهدوي** : وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين وأنه لا يريد ظلماً للعالمين ، وصلة بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض في قبضته ، **وقيل** : هو ابتداء كلام ، بين لعباده أن جميع ما في السماوات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره . قوله تعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمْ** ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال : ((**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**))[1] قوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ** ﴾ (٣) يعني **القرآن بالحق** : أي بالصدق ، **وقيل** : بالحجة الغالبة . والقرآن **نزل نجوما** : شيئا بعد شئ ، فلذلك قال نزل والتنزيل مرة بعد مرة . والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة ، فلذلك قال أنزل .

قول الله تعالى : لما بين يديه ، يعني من الكتب المنزلة ، والتوراة معناها الضياء والنور ، مشتقة من ورى الزند ووري لغتان إذا خرجت ناره . **وحكى شمر عن بعضهم** : الإنجيل كل كتاب مكتوب وافر السطور . **وقيل** : نجل عمل وصنع ، **قال** : وأنجل في ذاك الصنيع كما نجل أي أعمل وأصنع . **وقيل** :

---

[1] **صحيح** . أخرجه أبو داود (ح / ١٤٩٦) وصحيح الجامع (ح / ٩٨٠) .

التوراة والإنجيل من اللغة السريانية . **وقيل** : الإنجيل بالسريانية إنكليون . **قال الجوهري** : الإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يذكر ويؤنث ، فمن أنث أراد الصحيفة ، ومن ذكر أراد الكتاب . قوله تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾** (٥) هذا خبر عن علمه تعالى بالأشياء على التفصيل ، ومثله في القرآن كثير . فهو العالم بما كان وما يكون وما لا يكون ، فكيف يكون عيسى إلها أو ابن إله وهو تخفى عليه الأشياء ! . قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (٦) أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات . وأصل الرحم من الرحمة لأنها مما يتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله ، فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة . وهذه الآية تعظيم لله تعالى ، وفي ضمنها الرد على نصارى نجران ، وأن عيسى من المصورين ، وذلك مما لا ينكره عاقل . **خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت** : تلا رسول الله ﷺ :**﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾** (٧) **قالت** : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**))[1] **وعن أبي غالب قال** : كنت أمشي مع أبي أمامة وهو على حمار له ، حتى إذا انتهى إلى درج مسجد دمشق فإذا رؤوس مصوبة ، **فقال** : ما هذه الرؤوس ؟ **قيل** : هذه رؤوس خوارج يجاء بهم من العراق . **فقال أبو أمامة** : كلاب النار كلاب النار كلاب النار ! شر قتلى تحت ظل السماء ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه يقولها ثلاثا ثم بكى ، **فقلت** : ما يبكيك يا أبا أمامة ؟ **قال** : رحمة لهم ، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (ح / ٤٠٧٤) ومسلم في (العلم ، ح / ١) .

منه ، ثم قرأ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾(٧) ثم قرأ : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥)

فقلت : يا أبا أمامة ، هم هؤلاء ؟ **قال** : نعم .

قلت : أشيء تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله ﷺ.

فقال : إني إذا لجرئ إني إذا لجرئ بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع ، ووضع إصبعيه في أذنيه .

قال : **وإلا فصمتا قالها ثلاثا ثم قال** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وسائرهم في النار ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة واحدة في الجنة وسائرهم في النار**))[1].

قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) يجوز أن يكون المعنى قل يا محمد .

ويقال : إزاغة القلب فساد وميل عن الدين ، فكانوا يخافون وقد هدوا أن ينقلهم الله إلى الفساد ؟ فالجواب أن يكونوا سألوا إذ هداهم الله ألا يبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال فيعجزوا عنه نحو و لو أن كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أن اخرجوا من دياركم .

قال ابن كيسان : سألوا ألا يزيغوا فيزيغ الله قلوبهم ، نحو : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ

---

[1] **صحيح** . أخرجه الترمذي (ح / ٢٦٤٠) والحاكم (١ / ٢٢٠) .

اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف:٥) أي ثبتنا على هدايتك إذ هديتنا و ألا نزيغ فنستحق أن تزيغ قلوبنا .

قوله تعالى : **﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾** (١٣) أي علامة .

واختلف من المخاطب بها .

فقيل : يحتمل أن يخاطب بها المؤمنون ، ويحتمل أن يخاطب بها جميع الكفار ، ويحتمل أن يخاطب بها يهود المدينة ، وبكل احتمال منها قد قال قوم . وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبيت النفوس وتشجيعها حتى يقدموا على مثليهم وأمثالهم كما قد وقع .

قوله تعالى : **﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾** (١٣) .

قول الله تعالى : **﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**(١٤) زين من التزيين .

واختلف الناس من المزين ، **فقالت فرقة** : الله زين ذلك ، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقالت فرقة : المزين هو الشيطان ، وهو ظاهر قول الحسن ، فإنه قال : من زينها ما أحد أشد لها ذما من خالقها . فتزيين الله تعالى إنما هو بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى هذه الأشياء .

قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾** (١٠٠) نزلت في يهودي أراد تجديد الفتنة بين الأوس والخزرج بعد انقطاعها بالنبي ﷺ ، فجلس بينهم وأنشدهم شعراً قاله أحد

الحيين في حربهم . **فقال الحي الآخر** : قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا ، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، **فقالوا** : تعالوا نرد الحرب جذعاء كما كانت .

فنادى هؤلاء : يا آل أوس .

ونادى هؤلاء : يا آل خزرج ، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية ، فجاء النبي ﷺ حتى وقف بين الصفين فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبكون .

والذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي ، دس على الأوس والخزرج من يذكرهم ما كان بينهم من الحروب ، وأن النبي ﷺ أتاهم ذكرهم ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم .

فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين ، **فأنزل الله عز وجل** : يا أيها الذين آمنوا ، يعني الأوس والخزرج .

قوله تعالى : **﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٨)** يعني ننزل عليك جبريل فيقرأها عليك .

بالحق ، أي : بالصدق .

قال تعالى : **﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (١٠٩) قال المهدوي** : وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين وأنه لا يريد ظلماً للعالمين ، وصلة بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم لكون ما في السماوات وما في الأرض في قبضته ، **وقيل** : هو ابتداء كلام .

بين لعباده أن جميع ما في السماوات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه ولا يعبدوا غيره .

****

٤- سورة النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

النساء: ١ - ٢

٤ ـ سورة النساء

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (١) في الآية تنبيه على الصانع . ويجوز في الكلام من نفس واحد وهذا على مراعاة المعنى إذ المراد بالنفس آدم . **وقوله : وبث** : معناه فرق ونشر في الأرض ومنه ، **وقيل** : يعنى آدم وحواء **قال مجاهد** : خلقت حواء من قصيرى آدم ، وفي الحديث : ((**خلقت المرأة من ضلع عوجاء**)) [1]روى **شعبة عن عون بن أبي حنيفة ،عن المنذر بن جرير عن أبيه قال** : كنا عند النبي ﷺ حتى جاء قوم من مضر حفاةً عراةً ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ لما رأى من فاقتهم ، ثم صلى الظهر وخطب الناس فقال : ((**يا أيها الناس اتقوا ربكم إلى : ولأرحام ، ثم قال : تصدق رجل بدينار تصدق رجل بدرهمه تصدق رجل بصاع تمرة**))[2]**قال أبو إسحاق : معنى تساءلون به** : يعنى تطلبون حقوقكم به ، اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة . **قوله تعالى** : إن الله كان عليكم **رقيبا** : أي **حفيظاً** ، **وقيل : رقيباً** : حافظاً . والرقيب من صفات الله تعالى ، والرقيب الحافظ والمنتظر ، **تقول** : رقيب أرقب رقبة ورقباناً إذا **انتظرت والمرقب** : المكان العالي المشرف ، يقف عليه الرقيب .

قول الله تعالى :﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ (٢) وأراد باليتامى الذين كانوا أيتاماً **وكان يقال للنبي ﷺ** : يتيم أبي طالب ، استصحاباً لما كان . وآتوا أي أعطوا ، والإيتاء والإعطاء ، ولفلان آتو ، أي عطاء . وهذه الآية خطاب للأولياء

---

[1] **القرطبي** : (٥ / ٢) .

[2] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الزكاة ، ح / ٦٩) والطبراني (٢ / ٣٧٤) .

والأوصياء . نزلت في قول مقاتل والكلبي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه ، **فنزلت فقال العم** : نعوذ بالله من الحوب الكبير! ورد المال ، فقال النبي ﷺ : ((**من يوق شح نفسه ورجع به هكذا ، فإنه يحل داره يعني جنته ، فلما قبض الفتى المال أنفقه في سبيل الله ، فقال عليه السلام : ثبت الأجر وبقي الوزر ، فقيل : كيف يا رسول الله ؟ فقال : ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده**))[1] لأنه كان مشركاً .

قول الله تعالى : "ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب" : أي : لا تتبدلوا الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة ، ولا الدرهم الطيب بالزيف . وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن أموال اليتامى ، فكانوا يأخذون الطيب والجيد من أموال اليتامى ويبدلونه بالرديء من أموالهم ، **ويقولون** : اسم باسم ورأس برأس ، فنهاهم الله عن ذلك . **وقيل** : المعنى لا تأكلوا أموال اليتامى وهي محرمة خبيثة وتدعوا الطيب وهو مالكم . قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾ (٣) شرط ، وجوابه فانكحوا . **أي** : إن خفتم ألا تعدلوا في مهورهن وفي النفقة عليهن ، فانكحوا ما طاب لكم ، أي غيره ، وروى الأئمة واللفظ لمسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة في قول الله تعالى : ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا**﴾ (٣) **قالت** : يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن

---

[1] **القرطبي** : (٥ / ٨) .

ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . **والمعنى** : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء، لأنهم كانوا يتحرجون في اليتامى ولا يتحرجون في النساء وخفتم من الأضداد فإنه يكون هذا المخوف منه معلوم الوقوع ، وقد يكون مظنوناً ، فلذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الخوف ، **فقال أبو عبيدة** : خفتم بمعنى أيقنتم ، **وقال آخرون** : خفتم ظننتم . **وتقسطوا** : **معناه** : تعدلوا ، **يقال** : أقسط الرجل إذا عدل . وقسط إذا جاء وظلم صاحبه . **وقوله تعالى** : "فانكحوا ما طاب لكم من النساء" : يعني ما حل مثنى وثلاث ورباع وذكر ابن المواز أن ابن وهب روى عن مالك : أن العبد لا يتزوج إلا اثنتين .

قوله تعالى : **﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾** (٤) الصدقات جمع الواحدة صدقة . **قال المازني** : يقال صداق المرأة ، وهذه الآية للأزواج ، فقد أمرهم الله تعالى بأن يتبرعوا بإعطاء المهور نحلة منهم لأزواجهم ، **وقيل** : الخطاب للأولياء قاله أبو صلاح . وكان الولي يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئاً ، فنهوا عن ذلك وأمروا أن يدفعوا ذلك إليهن . **وفي رواية الكلبي** : إن أهل الجاهلية كان الولي إذا زوجها فإن كانت معه في العشرة لم يعطها من مهرها كثيراً ولا قليلاً ، وإن كانت غريبة حملها على بعير إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير ، **فنزل** : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، **وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه** : زعم حضرمي أن المراد بالآية المتشاغرون الذين كانوا يتزوجون امرأة بأخرى ، فأمروا أن يضربوا المهور . **وقيل** : **نحلة** : أي عن طيب نفس من الأزواج من غير تنازع . **وقال قتادة** : معنى نحلة فريضة واجبة . وإيصال الصدقات إلى الزوجات بين أن السفيه وغير البالغ لا يجوز دفع ماله إليه. فدلت على ثبوت الوصي والولي والكفيل للأيتام. وأجمع أهل العلم على أن الوصية إلى المسلم الحر الثقة العدل جائزة . واختلفوا في الوصية إلى المرأة الحرة ، **فقال عوام أهل العلم** : الوصية

لها جائزة ، واحتج أحمد بأن عمر ﷺ أوصى إلى حفصة . قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (٢٥) نبه تعالى على تخفيف في النكاح وهو نكاح الأمة لمن لم يجد الطول . **واختلف العلماء في معنى الطول على ثلاثة أقوال : الأول** : السعة والغنى ، والمراد هاهنا القدرة على المهر في قول أكثر أهل العلم . **وقوله تعالى : "من فتياتكم"** : أي المملوكات وهي جمع فتاة والعرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة ، وفي الحديث الصحيح : ((**لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي**)) **قوله تعالى : فانكحوهن بإذن أهلهن** : أي : بولاية أربابهن المالكين ، وإذنهم وكذلك العبد لا ينكح إلا بإذن سيده . لأن العبد مملوك لا أمر له وبدنه كله مستغرق لكن الفرق بينهما أن العبد إذا تزوج بغير إذن سيده فإن أجازه السيد جاز وهذا مذهب مالك وأصحاب الرأي .

قوله تعالى : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (٢٦) أي ليبين لكم أمر دينكم ومصالح أمركم ، وما يحل لكم وما يحرم عليكم وذلك يدل على امتناع خلو واقعة عن حكم الله تعالى ، ومنه قوله تعالى : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ (الأنعام:٣٨) قوله تعلى : ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾ (٢٧) **المعنى** : يريد توبتكم أي يقبلها فيتجاوز عن ذنوبكم **ويريد التخفيف عنكم قيل** : هذا في جميع أحكام الشرع وهو الصحيح ، **وقيل** : المراد بالتخفيف نكاح الأمة أي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا

عنكم بإباحة الإماء . قوله تعالى : **﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾** (٢٨) المعنى أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه وهذا أشد الضعيف فاحتاج إلى التخفيف ، **وقال طاووس** : ذلك في أمر النساء خاصة ، **وروي عن ابن عباس أنه قال : وخلق الإنسان ضعيفا** : أي لا يصبر عن النساء ، **قال ابن المسيب** : لقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وصاحبي أعمى أصم ــ **يعني ذكره** ــ وإني أخاف من فتنة النساء . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾** (٢٩) أي بغير حق ووجوه ذلك تكثر ، ومن أكل المال بالباطل بيع العريان وهو أن يأخذ منك السلعة أو يكتري منك الدابة ويعطيك درهماً فما فوقه ، على أنه إن اشتراها أو ركب الدابة فهو من ثمن السلعة أو كراء الدابة ، وإن ترك ابتياع السلعة أو كراء الدابة فما أعطاك فهو لك فهذا لا يصلح ولا يجوز عند جماعة فقهاء الأمصار من الحجازيين والعراقيين ؛ لأنه من باب بيع القمار والغرر والمخاطرة وأكل المال بالباطل بغير عوض ولا هبة ، وذلك باطل بإجماع وبيع العربان مفسوخ إذا وقع على هذا الوجه قبل القبض وبعده ، وترد السلعة إن كانت قائمة ، فإن فاتت رد قيمتها يوم قبضها .

قوله تعالى : **﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾** (٣٣) أي قد شهد معاقدتكم إياهم وهو عز وجل يحب الوفاء . والآية نزلت في سعد بن الربيع نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن خارجة بن أبي زهير فلطمها ، فقال أبوها : **يا رسول الله أفرشته ، كريمتي فلطمها فقال عليه السلام** : لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه **فقال عليه السلام : ارجعوا** : هذا جبريل أتاني **فأنزل الله هذه الآية فقال عليه السلام** : أردنا أمراً وأراد الله غيره . قوله تعالى : **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا**

إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (٣٥) كأن كل واحد من الزوجين يأخذ شقاً غير شق صاحبه ، أي ناحية غير ناحية صاحبه **والمراد إن خفتم شقاقاً بينهما ، فأضيف المصدر إلى الظرف كقولك** : يعجبني سير الليلة المقمرة وصوم يوم عرفة . **قال العلماء** : قسمت هذه الآية النساء تقسيماً عقلياً لأنهن إما طائعة وأما ناشز والنشوز إما أن يرجع إلى الطواعية أو لا ، فإن كان الأول تركاً ، لما رواه النسائي أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فكان إذا دخل **عليها تقول** : يا بني هاشم والله لا يحبكم قلبي أبداً أين الذين أعناقهم كأباريق الفضة ترد أنوافهم قبل شفاههم أين عتبة بن ربيعة ابن شيبة بن ربيعة فيسكت **عنها حتى دخل عليها يوماً وهو برم فقالت له : أين عتبة بن ربيعة فقال** : على يسارك في النار إذا دخلت فنشرت عليها ثيابها ، فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فأرسل ابن عباس ومعاوية ، **فقال ابن عباس** : لأفرقن بينهما ، **وقال معاوية** : ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف فأتياهما فوجداهما قد سدا عليهما أبوابهما وأصلحا أمرهما فإن وجداهما قد اختلفا ولم يصطلحا وتفاقم أمرهما سعياً في الألفة جهدهما وذكرا بالله وبالصحبة ، فإن أنابا ورجعا تركاهما وإن كانا غير ذلك ورأيا الفرقة فرقا بينهما وتفريقهما جائز على الزوجين وسواء وافق حكم قاضي البلد أو خالفه ، وكلهما الزوجان بذلك أو لم يوكلاهما والفراق في ذلك طلاق بائن . أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ، ليس منها شيء منسوخ وكذلك هي في جميع الكتب ولو لم يكن كذلك لعرف ذلك من جهة العقل وإن لم ينزل به الكتاب وقد مضى معنى العبودية وهي التذلل والافتقار لمن له الحكم والاختيار فأمر الله تعالى عبادة بالتذلل له والإخلاص فيه فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره ، قال الله تعالى :**﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف:١١٠)** قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ**

بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (٣٧) وتجيء الآية على هذا التأويل أن الباخلين منفية عنهم محبة الله فأحسنوا أيها المؤمنون إلى من سمي فإن الله لا يحب من فيه الخلال المانعة من الإحسان .

الثانية : قوله تعالى : ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ البخل المذموم في الشرع هو الامتناع من أداء ما أوجب الله تعالى عليه ، وهو مثل قوله سبحانه تعالى : **﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران:١٨٠)** والفرق بينه وبين الشح مستوفى والمراد بهذه الآية في قول ابن عباس وغيره اليهود ، فإنهم جمعوا بين الاختيال والفخر والبخل بالمال وكتمان ما أنزل الله من التوراة من نعت محمد ﷺ **وقيل** : المراد المنافقون الذين كان إنفاقهم وإيمانهم تقية ، والمعنى إن الله لا يحب كل مختال فخور، ولا الذين يبخلون على ما ذكرنا من إعرابه . قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾** (٣٨) **قال الجمهور** : نزلت في **المنافقين لقوله تعالى : رئاء الناس** : والرئاء من النفاق . **قال ابن العربي** : ونفقة الرئاء تدخل في الأحكام من حيث إنها لا تجزء ، **قلت : ويدل على ذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٥٣) والقرين** : المقارن أي الصاحب والخليل وهو فعيل من الإقران ، **قال عدي بن زيد**: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينة ، فكل قرين بالمقارن يقتدي والمعنى من قبل الشيطان في الدنيا فقد قارنه ويجوز أن يكون المعنى من قرن به الشيطان في النار فساء قريناً أي فبئس الشيطان قريناً، وهو نصب على التمييز . قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾** (٤٠) أي لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب عملهم وزن ذرة بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها . والمراد من الكلام أن الله تعالى لا

يظلم قليلاً ولا كثيراً كما قال تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:٤٤) والذرة : النملة الحمراء** . ويحكي أن رجلاً وضع خبزاً حتى علاه الذر مقدار ما يستره ثم وزنه فلم يزد على وزن الخبز شيئاً . ذكر ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثه أنه سمع **سعيد بن المسيب يقول** : ليست من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تبارك وتعالى : **﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ (٤١)** يعني بنبيها .

قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (٤٣)** خص الله سبحانه وتعالى بهذا الخطاب المؤمنين ؛ لأنهم كانوا يقيمون الصلاة قد أخذوا من الخمر وأتلفت عليهم أذهانهم فخصوا بهذا الخطاب ، إذ كان الكفار لا يفعلونها صحاة ولا سكارى . **قال سعيد بن جبير** : كان الناس على أمر جاهليتهم حتى يؤمروا أو ينهوا فكانا يشربونها أول الإسلام حتى نزلت : **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) قالوا** : نشربها للمنفعة لا للإثم ، فشربها رجل فتقدم يصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (٤٣) فقالوا : في غير عين الصلاة . فقال عمر :**

اللهم أنزل علينا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١) **فقال عمر** : تيهنا . **انتيهنا ثم طاف منادي رسول الله ﷺ : ((ألا إن الخمر قد حرمت)) ، وقال الجمهور من العلماء وجماعة الفقهاء** : على أن المراد بالسكر سكر الخمر ، **إلا الضحاك فإنه قال** : المراد سكر النوم ، لقوله عليه السلام : ((**إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه**))[1] قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٤٤) في يهود المدينة وما والاها **قال ابن إسحاق** : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلم رسول الله ﷺ **لوى لسانه وقال** : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾ (٤٥) يريد منكم فلا تستصحبوهم فإنهم أعداؤكم يجوز أن يكون أعلم بمعنى عليم كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم:٢٧) قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٤٦) والتقدير من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم ، **ومعنى : يحرفون** : يتأولونه على غير تأويله وذمهم الله تعالى بذلك لأنهم يفعلونه متعمدين ، **وقيل : عن مواضعه** : يعني صفة النبي ﷺ ، **ويقولون : سمعنا وعصينا** : أي سمعنا قولك

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (المسافرين ، ح / ٢٢٢) وأبو داود (ح / ١٣١٠) .

وعصينا أمرك . **واسمع غير مسمع : قال ابن عباس** : كانوا يقولون للنبي ﷺ اسمع لا سمعت ، هذا مرادهم ــ **لعنهم الله** ــ وهم يظهرون أنهم يريدون اسمع غير مسمع مكروهاً ولا أذى . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾** (٤٧) **قال ابن إسحاق** : كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منه عبد الله بن صوريا الأعور ، **وكعب بن أسد فقال لهم** : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فو الله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق . **قالوا** : ما نعرف ذلك يا محمد وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية .

قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾** (٤٨) روى أن النبي ﷺ تلا : **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (الزمر:٥٣) **فقال له رجل** : يا رسول الله والشرك ! فنزل : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾** وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة . قوله تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** (٤٩) هذا اللفظ عام في ظاهره ولم يختلف أحد من المتأولين في أن المراد اليهود واختلفوا في المعنى الذي زكوا به أنفسهم . **قال ابن عباس** : ذلك قولهم آباؤنا الذين ماتوا يشفعون لنا ويزكوننا ، **وقال عبد الله بن مسعود** : ذلك ثناء بعضهم على بعض وهذا أحسن ما قيل ، فإنه ظاهر من معنى الآية والتزكية : التطهير والبترية من الذنوب . قوله تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾** (٥٠) **يعني اليهود** : يؤمنون بالجبت والطاغوت . اختلف أهل التأويل في تأويل الجبت والطاغوت

فقال **ابن عباس** : الجبت الساحر بلسان الحبشة ، والطاغوت الكاهن ، **وقال الفاروق عمر** ﷺ : الجبت السحر والطاغوت الشيطان . قوله تعالى : **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾** (٥٣) أي ألهم ؟ والميم صلة نصيب حظ من الملك وهذا على وجه الإنكار يعني ليس لهم من الملك شيء ولو كان لهم منه شيء لم يعطوا أحداً منه شيئاً لبخلهم وحسدهم **وقيل** : المعنى بل ألهم نصيب فتكون أم منقطعة معناها الإضراب عن الأول **والاستئناف للثاني** : **وقيل** : هي عاطفة على محذوف لأنهم أنفوا من اتباع محمد ﷺ : **والتقدير**: أهم أولى بالنبوة ممن أرسلته أم لهم نصيب من الملك ؟ فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ، أي : يمنعون الحقوق ، خبر الله عز وجل عنهم بما **يعلمه منهم والنقير** : النكتة في ظهر النواة .

قوله تعالى : **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾** (٥٤) يعني اليهود ، **والناس** : يعني النبي ﷺ خاصة . **قال الضحاك** : حسدت اليهود قريشا لأن النبوة فيهم **والحسد مذموم وصاحبه مغموم** : وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

قوله تعالى : **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾** (٥٥) يعني النبي ﷺ لأنه تقدم ذكره وهو المحسود ، ومنهم من صد عنه ، أي : أعرض فلم يؤمن به . وقوله في صفة أهل الجنة : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾** (٥٧) يعني كثيفاً لا شمس فيه . قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** (٥٨) هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع . **قال ابن جريج وغيره** : ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن أبي طلحة الحجبي العبدري من بني عبد الدار ومن ابن عمره شيبة بن عثمان بن

أبي طلحة وكانا كافرين وقت فتح مكة قاطبة العباس بن عبد المطلب لتتضاف له السدانة إلى السقاية ، فدخل رسول الله ﷺ الكعبة فكسر ما كان فيها من الأوثان ، وأخرج مقام إبراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية . **قال عمر بن الخطاب** : وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية وما كنت سمعتها قبل منه **فدعا عثمان وشيبة** ، **فقال** : خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم . قوله تعالى : **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾** (٦١) أي : فكيف يكون حالهم ، أو فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة ، أي : من ترك الاستعانة بهم وما يلحقهم من الذل في قوله : **﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة:٨٣)** **وقيل** : المعنى ما أردنا بالعدل عنك في المحاكمة إلا التوفيق بين الخصوم ، والإحسان بالتقريب في الحكم ابن كيسان عدلاً وحقا ، نظيرها وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى . قوله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** (٦٤) **روى أبو صادق عن علي قال** : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه **فقال** : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** (٦٤) .

قوله تعالى : **﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾** (٧٠) أخبر تعالى أنهم لم ينالوا الدرجة بطاعتهم بل نالوها بفضل الله تعالى وكرمه ، **خلافاً لما قالت المعتزلة** : إنما ينال العبد ذلك بفعله فملا امتن الله سبحانه على أوليائه بما آتاهم من فضله ، وكان لا يجوز لأحد أن يثني على نفسه بما لم يفعله دل ذلك على

بطلان قولهم والله أعلم . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ (٧١) هذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمد ﷺ وأمر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع ، ووجه النظم والاتصال بما قبل أنه لما ذكر طاعة الله وطاعة رسوله ، أمر أهل الطاعة بالقيام بإحياء دينه وإعلاء دعوته ، وأمرهم ألا يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى يتحسسوا إلى ما عندهم ويعملوا كيف يردون عليهم فذلك أثبت لهم فقال : خذوا حذركم ، فعلمهم مباشرة الحروب . قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ (٧٢) **يعني** : المنافقين والتبطئة والإبطاء التأخر تقول : ما أبطأك عنا فهو لازم ويجوز بطأت فلاناً عن كذا أي أخرته فهو متعد والمعنيان مراد في الآية فكانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم ، والمعنى إن من دخلائكم وجنسكم وممن أظهر إيمانه لكم فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم

قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٧٣) **أي** : يبيعون أي يبذلون أنفسهم وأموالهم لله عز وجل " **بالآخرة** " أي بثوب الآخرة . قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ (٧٥) حض على الجهاد وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سواء العذاب ويفتنونهم عن الدين فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته ، وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس ، وتخليص الأسرى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال ، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (٧٦) أي في طاعته : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت . **قال أبو عبيدة والكسائي : الطاغوت يذكر ويؤنث ، قال أبو عبيدة** : وإنما ذكر وأنث لأنهم كانوا يسمون الكاهن والكاهنة طاغوتاً . قوله تعالى : **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾** (٧٨) شرط ومجازاة وما زائدة وهذا الخطاب عام وإن كان المراد المنافقين أو ضعفة **المؤمنين الذي قالوا** : لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، **أي** : إلى أن نموت بآجالنا ، وهو أشبه بالمنافقين كما ذكرنا لقولهم لما أصيب أهل أحد ، **قالوا** : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا **فرد الله عليهم** : أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .

قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** (٩٤) **هذا متصل بذلك القتل والجهاد والضرب** : السير في الأرض تقول **العرب** : ضربت في الأرض إذا سرت لتجارة أو غزوة أو غيره ، مقترنة بفي . **وتقول** : ضربت الأرض دون في إذا قصدت قضاء حاجة الإنسان ، ومنه قول النبي ﷺ : ((**لا يخرج الرجلان يضربان الغائط يتحدثان كاشفين عن فروجهما فإن الله يمقت على ذلك**))[1] **وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبعها فسلم على القوم وقال** : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، فحمل عليه أحدهما فقتله ، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ شق عليه ونزلت الآية . **قوله تعالى : "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست**

---

[1] **صحيح** . أخرجه أحمد (٣ / ٣٦) وأبو داود (ح / ٥) .

مؤمنا" : السلم والسلم والسلام واحد ، والسلم الاستسلام والانقياد ، **أي** : لا تقولوا لمن ألقى بيده واستسلم لكم وأظهر دعوتكم لست مؤمناً . **وقيل** : السلام قوله السلام عليكم ، وهو راجع إلى الأول لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذن بطاعته وانقياده ، ويحتمل أن يراد به الانحياز والترك . والمسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله ، **فإن قال** : لا إله إلا الله لم يجز قتله ، لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله ، فإن قتله بعد ذلك قتل به ، وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا لأنه قالها متعوذاً وخوفاً من السلاح ، وأن العاصم قولها مطمئناً فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها، ولذلك قال ﷺ لأسامة **بن زيد رضب الله عنهما** : ((**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**))[1]. قوله تعالى : **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وكلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾** (٩٥) **قال ابن عباس** : لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها . **ثم قال** : **غير أولي الضرر** : والضرر الزمانة . **عن زيد بن ثابت قال** : كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي وجدت أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سري عنه ، **فقال** : اكتب فكتب في كتف : **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾** (٩٥) ، **فقام ابن أم مكتوم ــ وكان رجلاً أعمى ــ لما سمع فضيلة المجاهدين فقال** : يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فلما قضى كلامه غشيت رسول الله ﷺ

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الإيمان ، ح / ١٥٨) وابن أبي شيبة (١٠ / ١٢٢) .

السكينة فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى ، ثم سري عن رسول الله ﷺ **فقال : اقرأ يا زيد فقرأت :** لا يستوي القاعدون من المؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : ((**غير أولي الضرر**)) الآية كلها . **قال زيد** : فأنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف . قوله تعالى : ﴿**دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (٩٦) المراد بها جماعة من أهل مكة قد أسلموا وأظهروا للنبي ﷺ به فلما هاجروا النبي ﷺ أقاموا مع قومهم وفتن نهم جماعة فافتتنوا ، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم من الكفار ، فنزلت الآية . **وقيل : إنهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك في دينهم فارتدوا فقتلوا على الردة فقال المسلمون** : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا على الخروج فاستغفروا لهم فنزلت الآية . قوله تعالى :﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (١٠٠) **قال مجاهد** : المراغم المتزحزح ، **وقال النحاس** : فهذا الأقوال متفقة المعاني ، فالمراغم المذهب والتحول في حال هجرة ، وهو اسم الموضع الذي يراغم فيه ، وهو مشتق من الرغام ورغم أنف فلان أي لصق بالتراب وراغمت فلاناً هجرته وعاديته ، ولم أبال إن رغم أنفه . **وقيل** : إنما سمي مهاجراً مراغماً لأن الرجل كان إذا أسلم عادى قومه وهجرهم فسمي خروجه مراغماً ، وسمي مصيرة إلى النبي ﷺ هجرة . قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً**﴾ (١٠١) اختلف العلماء في حكم القصر في السفر ، فروي عن جماعة أنه فرض وهو قول عمر بن عبد العزيز والكوفيين والقاضي إسماعيل وحماد بن

أبي سليمان ، واحتجوا بحديث عائشة رضي الله عنها : ((**فرضت الصلاة ركعتين ركعتين**)) [1] **قال أبو بكر الأثرم** : قلت لأحمد بن حنبل للرجل أن يصلي في السفر أربعاً ؟ **قال** : لا ما يعجبني السنة ركعتان . **قال ابن العربي** : **وقد تلاعب قوم بالدين فقالوا** : إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر وأكل ، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب أو مستخف بالدين، ولولا أن العلماء ذكروه لما رضيت أن ألمحه بمؤخر عيني ولا أفكر فيه بفضول قلبي ولم يذكر حد السفر الذي يقع به القصر لا في القرآن ولا في السنة وإنما كان كذلك لأنها كانت لفظ عربية مستقر علمها عند العرب الذين خاطبهم الله تعالى بالقرآن فنحن نعلم قطعاً أن من برز عن الدور لبعض الأمور أنه لا يكون مسافرا لغة ولا شرعاً وإن مشى ثلاثة أيام فإنه مسافر قطعاً . كما أنا **نحكم على أن من مشى يوماً وليلة كان مسافراً** : لقول النبي ﷺ : ((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم منها**)) [2] وهذا هو الصحيح لأنه سوط بين الحالين وعليه عول مالك . وعلى المسافر أن ينوي القصر من حين الإحرام فإن افتتح الصلاة بنية القصر ثم عزم على المقام في أثناء صلاته جعلها نافلة وإن كان ذلك بعد أن صلى منها ركعة أضاف إليها أخرى وسلم ، ثم صلى صلاة مقيم . ولو بنى على صلاته وأتمها أجزأته صلاته ، **قال أبو عمر**: هو عندي كما قالا ، لأنها ظهر سفرية كانت أو حضرية وكذلك سائر الصلوات الخمس . **واختلف العلماء من هذا الباب في مدة الإقامة التي إذا نواها المسافر أتم فقال مالك والشافعي والليث بن سعد والطبري وأبو ثور**: إذا نوى الإقامة أربعة أيام أتم . **وقال أحمد** : إذا جمع المسافر مقام إحدى وعشرين صلاة مكتوبة قصر، وإن زاد على ذلك أتم . قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا كُنْتَ**

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (ح / ٣٥٠) ومسلم في (المسافرين ، ح / ٦) .
[2] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الحج ، ح / ٤٢٣) وأبو داود (ح / ١٧٢٦) .

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (١٠٢)

عن أبي عياش الزرقي قال : كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر **فقالوا** : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، **قال** : ثم قالوا تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليه من أبنائهم وأنفسهم **قال** : فنزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية بين الظهر والعصر . وهذا كان سبب إسلام خالد ﷺ ، وبينت أن الصلاة لا تسقط بعذر السفر ولا بعذر الجهاد وقتال العدو ولكن فيها رخص . **عن ابن عمر قال** : صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو ، ثم انصرفوا وقاموا مقام أصحابهم مقبلين على العدو ، وجاء أولئك ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ، **وقال ابن عمر:** فإذا كان خوف أكثر من ذلك صلى راكباً أو قائماً يومئ إيماء . عن جابر : ((**أنه عليه السلام صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين**)) **قال** : فكان لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان .

واختلفوا في صلاة الخوف عند التحام الحرب وشدة القتال وخيف خروج الوقت **فقال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وعامة العلماء** : يصلي كيفما أمكن **لقول ابن عمر** : فإن كان خوف أكثر من ذلك فيصلي راكباً أو قائماً يومئ إيماء قوله تعالى : **﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ**

أذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (١٠٢) يعني تقلدوا سيوفكم فإن ذلك هيئة الغزاة . و " **قضيتم** " معناه فرغتم من صلاة الخوف هذا يدل على أن القضاء يستعمل فيهما قد فعل في وقته ، ومنه قوله تعالى : **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ (البقرة:٢٠٠)** ذهب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور بها إنما هو إثر صلاة الخوف أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالقلب واللسان ، على أي حال كنتم ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، وأديموا ذكره بالتكبير والتهليل والدعاء بالنصر لا سيما في حال القتال ونظيره ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥)** .

قوله تعالى : **﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾** (١٠٤) أي لا تضعفوا ، **وقيل** : نزلت في حرب أحد حيث أمر النبي ﷺ بالخروج في آثار المشركين وكان بالمسلمين جراحات وكان أمر ألا يخرج معه إلى من كان في الوقعة ، **وقيل** : هذا في كل جهاد . **قوله تعالى : إن تكونوا تألمون** : أي تتألمون مما أصابكم من الجراح فهم يتألمون أيضاً مما يصيبهم ، ولكن مزية وهي أنكم ترجون ثواب الله وهم لا يرجونه وذلك أن من لا يؤمن بالله لا يرجو من الله شيئاً ، ونظير هذه **الآية** : **﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾** (آل عمران:١٤٠) في هذه الآية تشريف للنبي ﷺ وتكريم وتعظيم وتفويض إليه، وتقويم أيضاً على الجادة في الحكم ، **وتأنيب على ما رفع إليه من أمر بني أبيرق : وكانوا ثلاثة أخوة** : بشر وبشير ومبشر ، وأسير بن عروة ابن عمر لهم ، نقبوا مشربة الرفاعة بن زيد في الليل وسرقوا أدراعاً له وطعاماً فعثر على ذلك ، **وقيل** : إن السارق بشير وحده وكان يكنى أبا طعمة

أخذ درعاً ، **قيل** : كان الردع في جراب فيه دقيق، فكان الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره فجاء ابن أخي رفاعة واسمه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى النبي ﷺ فجاء أسير بن عروة إلى النبي ﷺ ، **فقال** : يا رسول الله إن هؤلاء عمدوا إلى بيت هم أهل صلاح ودين فأنبوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله ﷺ على قتادة ورفاعة فأنزل الله تعالى : **﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾** (١٠٧) وأنزل الله تعالى : **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** (١١٢) وكان البريء الذي رموه بالسرعة لبيد بن سهل ، **وقيل** : زيد بن السمين ، **وقيل** : **رجل من الأنصار** : فلما أنزل الله ما أنزل هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ونزل على سلافة بنت سعيد بن شهيد.

قوله تعالى : **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾** (١٠٩) إن النبي ﷺ كان حكماً فيما بينهم ، ولذلك كان يعتذر إليه ولا يعتذر هو إلى غيره فدل على أن القصد لغيره ذهب الطبري إلى أن المعنى ، استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين فأمره بالاستغفار لما هم بالدفع عنهم وقد يد اليهودي وهذا مذهب من جوز الصغائر على الأنبياء صلوات الله عليهم . **قال ابن عطية** : وهذا ليس بذنب ؛ لأن النبي ﷺ إنما دفع على الظاهر وهو يعتقد براءتهم ، **والمعنى** : واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمتخاصمين بالباطل ومحلك من الناس أن تسمع من المتداعيين وتقضي بنحو ما تسمع وتستغفر للمذنب . **وقيل : هو أمر بالاستغفار على طريق التسبيح كالرجل يقول** : أستغفر الله على وجه التسبيح من غير أن يقصد توبة من ذنب وقيل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بنو أبيرق كقوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾** (الأحزاب:١) .

قول الله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ (١٠٩) يريد قوم بشير السارق لما هربوا به وجادلوا عنه . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (١١١) أي : ذنباً ، فإنما يكسبه على نفسه ، أي عاقبته عائداً عليه والكسب ما يجر به الإنسان إلى نفسه نفعاً أو يدفع عنه به ضرراً ولهذا لا يسمى فعل الرب تعالى كسباً . **قال الطبري** : إنما فرق بين الخطيئة والإثم أن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد والإثم لا يكون إلا عن عمد . **وقيل** : الخطيئة ما لم تتعمده خاصة كالقتل بالخطأ ، **وقيل** : الخطيئة الصغيرة والإثم الكبيرة ، وهذه الآية لفظها عام يندرج تحته أهل النازية وغيرهم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ((**أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**)) [1] .

قول الله تعالى : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (١١٣) المعنى : ولولا فضل الله عليك ورحمته بأن نبهك على الحق ، **وقيل** : بالنبوءة والعصمة لهمت طائفة منهم أن يضلوك عن الحق لأنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يبرئ ابن أبيرق من التهمة ويلحقها اليهودي ، فتفضل الله عز وجل على رسوله عليه السلام بأن نبهه على ذلك وأعلمه إياه ، وما يضلون إلا أنفسهم " لأنهم يعلمون عمل الضالين ، فوباله لهم راجع عليهم " وما يضرونك من شيء ؛ لأنك معصوم . **وأراد ما تفاوض به قوم بني أبيرق من التدبير، وذكروه للنبي ﷺ والنجوى** : السر بين الاثنين ، **تقول** : ناجيت فلاناً مناجاة ونجاء وهم ينتجون

---

[1] **صحيح** . أخرجه البيهقي (١٠ / ٢٤٧) والمشكاة (٤٨٢٨) .

ويتناجون ونجوت فلاناً أنجوة نجواً ، أي ناجيته فنجوى مشتقة من نجوت الشيء أنجوه ، أي خلصته وأفردته والنجوة من الأرض المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله . قوله تعالى : **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾** (١١٥) نزلت هذه الآية في ابن أبيرق ، لما ظهرت حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً **لرجل بمكة يقال له** : حجاج بن علاط ، فقط فبقي في النقب حتى وجد على حاله ، وأخرجوه من مكة فخرج إلى مكة الشام فسرق بعض أموال القافلة فرجموه وقتلوه فنزلت : **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾** (١١٥) **قال ابن فورك** : وأجمع أصحابنا على أنه لا تخليد إلا للكافر ، وأن الفاسق من أهل القبلة إذا مات غير تائب فإنه إن عذب بالنار فلا محالة أنه يخرج منها بشفاعة الرسول ، أو بابتداء رحمة من الله تعالى . **وقال الضحاك** : إن شيخنا من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ **فقال** : يا رسول الله إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا ، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ، فما حالي عند الله ؟ فأنزل الله تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾** (١١٦) .

قول الله تعالى : **﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً﴾** **(النساء:١١٧)** أي من دون الله إلا إناثا نزلت في أهل مكة إذ عبدوا الأصنام ، و" **إن** " نافيه بمعنى ما **و**" **إناثا**" أصناماً يعني اللات والعزى ومناة وكان لكل حي صنم يعبدونه ، **ويقولون** : أنثى بني فلان . **قال الحسن وابن عباس** : وأتى مع كل صنم شيطانه يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فخرج الكلام مخرج التعجب ؛ لأن الأنثى من كل جنس أخسه فهذا جهل ممن يشكر بالله جماداً فيسميه أنثى أو يعتقده أنثى . **وقيل** : **إلا إناثا** : مواتاً لأن الموات لا روح له كالخشبة والحجر . والموات يخبر عنه كما يخبر عن المؤنث لا تضاع المنزلة ،

تقول : الأحجار تعجبني **كما تقول : المرأة تعجبني** ، **وقيل : إلا إناثا** : ملائكة لقولهم : الملائكة بنات الله وهي شفعاؤنا عند الله . قوله تعالى : **﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾** (١١٩) **أي لأصرفنهم عن طريق الهدي "ولأمنينهم** " أي : لأسولن لهم من التمني ، وهذا لا ينحصر إلى واحد من الأمنية لأن كل واحد في نفسه إنما يمينه بقدر رغبته وقرائن حاله ، **وقيل** : لأمنينهم طول الحياة الخير والتوبة والمعرفة مع الإصرار . **قوله تعالى : ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** : اللآمات كلها للقسم ، واختلف العلماء في هذا التغيير إلى ماذا يرجع ، **فقالت طائفة** : هو الخصاء وفقء الأعين وقطع الآذان **قال** : معناه ابن عباس وأنس وعكرمة وأبو صالح وذلك كله تعذيب للحيوان ، وتحريم وتحليل بالطغيان وقول بغير حجة ولا برهان والآذان في الأنعام جمال ومنفعة ، وكذلك غيرها من الأعضاء فلذلك رأى **الشيطان أن يغير بها خلق الله تعالى وفي حديث عياض بن ما المجاشعي** : وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشكروا بي ما لم أنزل به سلطاناً وأمرته أن يغيروا خلقي . **عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، قال** : هل لك من مال ؟ **قال : قلت** : نعم **قال** : من أي المال ؟ **قلت** : من كل المال من الخيل والإبل والرقيق . **قال أبو الوليد** : والغنم . **قال** : إذا آتاك الله مالا فلير عليك أثره **ثم قال** : هل تنتج إبل قومك صحاحاً آذانها فتعمد إلى موسى فتشق آذانها وتقول هذه بحر وتشق جلودها وتقول هذه صرم لتحرمها عليك وعلى أهلك ؟ **قال : قلت** : أجل . **قال** : وكل ما أتاك الله حل وموسى الله أحد من موسك وساعد الله أشد من ساعدك **قال** : **قلت : يا رسول الله أرأيت رجلاً نزلت به فلم يقرني ثم نزل بي أفأقريه أم أكافئه فقال** : بل أقره . قوله تعالى : **﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾** (١٢٠) **والمعنى** يعدهم أباطيله وترهاته من المال

والجاه والرياسة وأن لا بعث ولا عقاب ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في الخير " **ويمنيهم" كذلك** " وما يعدهم الشيطان إلا غرورا" أي خديعة قال ابن عرفة: الغرور ما رأيت له ظاهراً تحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول ، والشيطان غرور، لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء .

قوله تعالى : **﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾** (١٢٣) **قال قتادة والسدي** : تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب ، **فقال أهل الكتاب** : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أحق بالله منكم ، **وقال المؤمنون** : نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على سائر الكتب فنزلت الآية . **قوله تعالى : من يعمل سوءا يجز به** " السوء هاهنا الشرك ، **قال الحسن** : هذه الآية في الكافر . **وقال الضحاك** : يعني اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب ، **وقال الجمهور** : لفظ الآية عام ، والكافر والمؤمن مجاز بعمله السوء ، فأما مجازاة الكافر فالنار لأن كفره أوبقه ، وأما المؤمن فبنكبات الدنيا . قوله تعالى : **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾** (١٢٥) فضل دين الإسلام على سائر الأديان و" **أسلم وجهه لله** " معناه أخلص دينه لله وخضع له وتوجه إليه بالعبادة ، **قال ابن عباس** : أراد أبا بكر الصديق ﷺ.

قوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلا : قال ثعلب : إنما سمي الخليل خليلاً لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته ، **وأنشد قول بشار** : قد تخللت مسلك الروح مني ، وبه سمي الخليل خليلا وخليل فعيل بمعنى فاعل كالعليم بمعنى العلام ، **وقيل** : هو بمعنى المفعول كالحبيب بمعنى المحبوب ، وإبراهيم كان محباً لله ﷺ وكان محبوباً لله ، **وقيل** : الخليل من الاختصاص فالله عز وجل أعلم اختص إبراهيم فيه وقته للرسالة . قوله تعالى : **﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾**

(١٢٨) المعنى وإن امرأة خافت من بعلها دوام النشوز، **قال النحاس** : الفرق بين النشوز والإعراض أن النشوز والتباعد ، والإعراض ألا يكلمها ولا يأنس بها . **عن سعيد بن المسيب** : أن رافع بن خديج كانت تحته خوله ابنة محمد بن مسلمة فكره من أمرها إما كبر وإماما غيره فأراد أن يطلقها ، **فقالت** : لا تطلقني واقسم لي ما شئت فجرت السنة بذلك ونزلت الآية . **عن عائشة قالت** : وجد رسول الله ﷺ على صفية في شيء ، **فقالت : لي صفية : هل لك أن ترضين رسول الله ﷺ عني ولك يومي ؟ قالت** : فلبست خماراً كان عندي مصبوغاً بزعفران ونضحته ، ثم جئت فجلست إلى جنب رسول الله ﷺ ، **فقال** : إليك عني فإنه ليس بيومك ، **فقلت** : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأخبرته الخبر فرضي عنها . وفيه أن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز إلا بإذن المفضولة ورضاها . **قوله تعالى** : "**وأحضرت الأنفس الشح**" : إخبار بأن الشح في كل أحد ، وأن الإنسان لا بد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره ، **يقال** : **شح يشح (بكسر الشين) قال ابن جبير:** هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها أيامها .

قوله تعالى : **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾** (١٣١) أي ملكاً واختراعاً ، والمعنى إنه اتخذ إبراهيم خليلاً بحسن طاعته لا لحاجته إلى مخالته ولا للتكثير به والاعتضاد وكيف وله فما في السماوات وما في الأرض ؟ وإنما أكره لامتثاله لأمره .

قوله تعالى : **﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾** (١٢٩) أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب فوصف الله تعالى حالة البشر وأنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض ، ولهذا كان عليه السلام

يقول : ((**اللهم إن هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**))[1] ثم نهى ، **فقال : فلا تميلوا كل الميل : قال مجاهد** : لا تتعمدوا الإساءة بل ألزموا التسوية في القسم والنفقة ، لأن هذا ما يستطاع . قوله تعالى : **﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾** (١٣٠) أي وإن لم يصطلحا بل تفرقا فليحسنا ظنهما بالله فقد يقيض للرجل امرأة تقر بها عينه ، وللمرأة من يوسع عليها .

قوله تعالى : **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾** (١٣١) أي الأمر بالتقوى كان عاماً لجميع الأمم . **وإن قال قائل : ما فائدة هذا التكرير فعنه جوابان** : أحدهما أنه كرر تأكيداً ليتنبه العباد وينظروا ما في ملكوته وملكه وأنه غني عن العالمين ، **الجواب الثاني : أنه كرر لفوائد** : فأخبر في الأول أن الله تعالى يغني كلا من سعته لأن له ما في السماوات وما في الأرض فلا تنفذ خزائنه **ثم قال** : أوصيناكم وأهل الكتاب بالتقوى ، **وإن تكفروا** : أي وإن تكفروا فإنه عني عنكم لأن له ما في السماوات وما في الأرض ثم اعلم في الثالث بحفظ خلقه وتدبيره **إياهم بقوله** : وكفى بالله وكيلا : لأن له ما في السماوات وما في الأرض .

قول الله تعالى : **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً﴾** (١٣٣) **يعني بالموت** " أيها الناس" يريد **المشركين والمنافقين** " ويأت بآخرين " يعني بغيركم ، ولما نزلت هذه الآية ، ضرب رسول الله ﷺ على ظهر **سلمان وقال : هم قوم هذا** ، **وقيل** : الآية عامة ، أني وإن تكفروا يذهبكم ويأت بخلق أطوع لله منكم وهذا كما قال في آية أخرى : **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ**

---

[1] **القرطبي** : (٥ / ٤٠٧) .

الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٨) وفي الآية تخويف وتنبيه لجميع من كانت له ولاية وإمارة ورياسة فلا يعدل في رعيته ، أو كان عالماً فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس ، أن يذهبه ويأتي بغيره . قوله تعالى : **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً﴾** (١٣٣) القدرة صفة أزلية ، لا تتناهى مقدوراته ، كما لا تتناهى معلوماته والماضي والمستقبل في صفاته بمعنى واحد وإنما خص الماضي بالذكر لئلا يتوهم أنه يحدث في ذاته وصفاته والقدرة هي التي يكون بها الفعل ولا يجوز وجود العجز معها ، أي من عمل بما افترضه الله عليه طلباً للآخرة آتاه الله ذلك في الآخرة ومن عمل طلباً للدنيا آتاه بما كتب له في الدنيا وليس له في الآخرة من ثواب ، لأنه عمل لغير الله كما قال تعالى : **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى:٢٠)** .

قال تعالى : **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** (١٣٤) لا خلاف بين أهل العلم في صحة أحكام هذه الآية ، وأن شهادة الولد على الوالدين الأب والأم ماضية ، ولا يمنع ذلك من برهما ، بل من برهما أن يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل ، وهو معنى قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)** . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾** (١٣٦) الآية نزلت في جميع المؤمنين والمعنى يا أيها الذين صدقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه ، والكتاب الذي **نزل على رسوله : أي القرآن ، والكتاب الذي أنزل من قبل** : أي كل كتاب أنزل على النبيين . قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ**

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (١٣٩﴾ "**الذين**" نعت للمنافقين ، وفي هذا دليل على أن من عمل معصية من الموحدين ليس بمنافق ؛ لأنه لا يتولى الكفار وتضمن المنع من موالاة الكافر، وأن يتخذوا أعوانـاً علـى الأعمال المتعلقة بالدين . قوله تعالى :**﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾** (١٤٠) الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق ، لأنـه إذا أظهـر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله فالمنزل قوله تعالى : **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** (الأنعام:٦٨) قولـه تعالى : **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (١٤٢) قال الحسن** : يعطـى كل إنسان من مؤمن ومنافق نور يوم القيامة فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قـد نجوا ، فإذا جاءوا إلى الصراط طفئ نور كل منافق فذلك قولهم : **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾** (الحديد:١٣) أي يصلون مراءاة وهم متكاسلون متثـاقلون لا يرجون ثواباً ولا يعتقدون على تركها عقباً وفي صحيح الحـديث : ((**إن أثقـل صلاة على المنافقين العتمة والصبح**)) [1] فإن العتمة تأتي وقد أتعـبهم عمـل النهار فيثقل عليهم القيام إليها ، وصلاة الصبح تأتي والنوم أحـب إلـيهم مـن مفروح به ولولا السيف ما قاموا . **والرياء** : إظهار الجميـل ليـراه النـاس لا لاتباع أمر الله . **قال ابن العربي** : إن من صلى صلاة ليراها الناس يرونه فيهـا

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (ص / ٤٥١) وأحمد (٢ / ٤٦٦ ، ٤٧٢) .

فيشهدون له بالإيمان أو أرد الطلب المنزلة والظهور لقبول الشهادة ، وجواز الإمامة فليس ذلك بالرياء المنهي عنه ولم يكن عليه حرج ، وإنما الرياء المعصية أن يظهرها صيداً للناس وطريقاً إلى الأكل فهذه نية لا تجزئ وعليه الإعادة .

قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً**﴾ (١٤٤) أي لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم . قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا**﴾ (١٤٥) **قال** : توابيت من حديد مقفلة في النار تقفل عليهم ، **وقال ابن عمر: إن أشد النار عذابا يوم القيامة ثلاثة** : المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ، **قال الله تعالى : إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** . قوله تعلى : ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً**﴾ (النساء:١٤٨) **قالت طائفة** : المعنى لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلى من ظلم فلا يكره له الجهر به ، ثم اختلفوا في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح من ذلك ، **فقال الحسن** : هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن **ليقل** : اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي اللهم حل بينه وبين ما يريد من ظلمي فهذا دعاء المدافعة وهي أقل منازل السوء . **وقال ابن عباس وغيره** : المباح لمن ظلم أن يدعو على من ظلمه ، وإن صبر فهو خير له فهذا إطلاق في نوع الدعاء على الظالم .

قال تعالى : ﴿**إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً**﴾ (١٤٩) فندب إلى العفو ورغب فيه والعفو من صفة الله تعالى مع القدرة على الانتقام ، وفي هذه الألفاظ اليسيرة معان كثرة لمن تأملها ، **وقيل** : إن عفوت فإن الله يعفو عنك ، **روى ابن المبارك قال** : حدثني من سمع الحسن **يقول** : إذا جثت الأمم بين يدي رب العالمين يوم القيامة نودي ليقم من أجره

على الله فلا يقوم إلا على من عفا في الدنيا يصدق هذا الحديث قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠) .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (١٥١) تأكيد يزيل التوهم في إيمانهم حين وصفهم بأنهم يقولون نؤمن ببعض ، وأن ذلك لا ينفعهم إذا كفروا برسوله ، وإذا كفروا برسوله كفروا به عز وجل ، وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول ، فلذلك صاروا الكافرين حقاً . سألت اليهود محمد ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة كما أتى موسى بالتوراة تعنتا له ﷺ ، فأعلم الله عز وجل أن آباءهم قد عنتوا موسى عليه السلام بأكبر من هذا ، **فقالوا** : أرنا الله جهرة أي عياناً . قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (١٥٤) أي بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ منهم ، وهو العمل بما في التوراة وقد تقدم رفع الجبل ودخولهم الباب في البقرة .

قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (١٥٥) فسر ظلمهم الذي أخذتهم الصاعقة من أجله بما بعده من نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وسائر ما بين من الأشياء التي ظلموا فيها أنفسهم ، وأنكر ذلك الطبري وغيره ؛ لأن الذين أخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الأنبياء رموا مريم بالبهتان كانوا بعد موسى بزمان ، فلم تأخذ الصاعقة الذين أخذتهم برميهم . قول الله تعالى : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (١٥٨) ابتداء كلام **مستأنف** : أي إلى السماء والله تعالى متعال عن المكان .

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (١٥٩) **المعنى** : ليؤمنن بالمسح قبل موته أي الكتابي فالهاء

الأولى عائدة على عيسى الثانية على الكتابي ، وذلك أنه ليس أحد من أهل الكتاب واليهود والنصارى إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين الملك ولكنه إيمان لا نفع لأنه إيمان عند اليأس وحين التلبس بحالة الموت فاليهودي يقر في ذلك الوقت بأنه رسول الله والنصراني يقر بأنه كان رسول الله . قوله تعالى : **﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾** (١٦٠) .

قال الزجاج : هذا بدل من فبما نقضهم والطيبات ما نصه في قوله تعالى : **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام:١٤٦)** .

وقدم الظلم على التحريم إذ هو الغرض الذي قصد إلى الإخبار عنه بأنه سبب التحريم ، وبصدهم عن سبيل الله أي : بصدهم أنفسهم وغيرهم عن اتباع محمد ﷺ . قوله تعالى : **﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾** (١٦١) كله تفسير للظلم الذي تعاطوه ، وكذلك ما قبله من نقضهم الميثاق وما بعده .

قوله تعالى : **﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾** (١٦٢) استثنى أهل الكتاب وذلك أن اليهود أنكروا ، وقالوا : إن هذه الأشياء كانت حراما في الأصل وأنت تحلها ولم تكن **حرمت بظلمها فنزل : لكن الراسخون في العلم** : والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب والثابت فيه والرسوخ الثبوت .

قوله تعالى : **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾** (١٦٣) عن هشام بن محمد بن السائب

عن أبيه قال : أول نبيَ بعثه الله تبارك وتعالى في الأرض إدريس واسمه أخنوخ ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وقد كان سام بن نوح نبياً .

ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله إبراهيم نبياً واتخذه خليلاً وهو إبراهيم بن تارخ واسم تارخ آزر ثم بعث إسماعيل بن إبراهيم فمات بمكة ، ثم إسحاق بن إبراهيم فمات بالشام ، ثم لوط وإبراهيم عمه ، ثم يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق ثم يوسف بن يعقوب ثم شعيب بن يوبب .

ثم هود بن عبد الله ، ثم صالح بن أسف ثم موسى وهارون ابن عمران ثم أيوب ثم الخضر وهو خضرون ، ثم داود بن إيشا ثم سليمان بن داود ، ثم يونس بن متى ، ثم إلياس ثم ذا الكفل واسمه عويدنا من سبط يهوذا بن يعقوب ، **قال** : وبين موسى بن عمران ومريم بنت عمران أم عيسى ألف سنة وسبعمائة سنة وليسا من سبط ثم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي ﷺ .

قال الزبير : كل نبي ذكر في القرآن ، ولد إبراهيم غير إدريس ونوح ولوط وهود وصالح ولم يكن من العرب أنبياء إلا خمسة : هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين وإنما سموا عرباً لأنهم لم يتكلم بالعربية غيرهم .

قوله تعالى : **﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾** (١٦٤) **يعني : بمكة . أي** : وأرسلنا رسلا ؛ لأن معنى وأوحينا إلى نوح وأرسلنا نوحاً .

قيل : إن الله تعالى لما نص في كتابه بعض أسماء أنبيائه ، ولم يذكر أسماء بعض ، ولمن ذكر فضل على من لم يذكر ، **قالت اليهود** : ذكر محمد الأنبياء ولم يذكر موسى **فنزلت** : وكلم الله موسى تكليما . قوله تعالى : **﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً**

حكيماً﴾ (١٦٥) **قال مقاتل** : كان الأنبياء ألف ألف وأربعمائة وألف وأربعة وعشرين ألفاً .

قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾** (١٧٣) **قال مجاهد** : البرهان هاهنا الحجة والمعنى متقارب ، فإن المعجزات حجته ﷺ والنور المنزل هو القرآن عن الحسن ، وسماه نوراً لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة ، فهو نور مبين أي وضاح بين .

قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾** (١٧٥) **أي** : بالقرآن عن معاصيه وإذا اعتصموا بكتابه فقد اعتصموا به وبنبيه ، **وقيل** : اعتصموا به أي بالله والعصمة الامتناع .

والجمهور من العلماء من الصحابة والتابعين يجعلون الأخوات عصبة البنات وإن لم يكن معهن آخ ، غير ابن عباس ، فإنه كان لا يجعل الأخوات عصبة البنات.

وإليه ذهب داود وطائفة وحجتهم ظاهر قول الله تعالى : **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (١٧٦) .

ولم يورث الأخت إلا إذا لم يكن للميت ولد ، **قالوا** : ومعلوم أن الابنة من الولد فوجب ألا ترث الأخت مع وجودها وكان ابن **الزبير يقول بقول ابن عباس في هذه المسألة حتى أخبره الأسود بن يزيد** : أن معاذاً قضى في بنت وأخت فجعل المال بينهما نصفين .

٥- سورة المائدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ١ - ٢

٥ - سـورة المائدة

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١) **قال علقمة** : كل ما في القرآن يا أيها الذين آمنوا فهو مدني و يا أيها الناس فهو ، وقد **تضمنت لآية خمسة أحكام** : **الأول** : الأمر بالوفاء بالعقود . **الثاني** : تحليل بهيمة الأنعام ، **الثالث** : استثناء ما يلي بعد ذلك ، **الرابع** : استثناء حال الإحرام فيما صاد ، **الخامس** : ما تقتضيه الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم ، **وحكى النقاش أن أصحاب الكندي قالوا له** : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن ، **فقال** : نعم ! أعمل مثل بعضه فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج ، **فقال** : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عاما ، ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد الثانية . والعقود ، **قال الحسن** : يعني بذلك عقود الدين وهي ما عقده المرء على نفسه ، من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير وعتق وتدبير وغير ذلك من الأمور ما كان ذلك غير خارج عن الشريعة ، وكذلك ما عقده على نفسه لله من الطاعات ، كالحج والصيام والاعتكاف والقيام والنذر وما أشبه ذلك من طاعات ملة الإسلام وأما نذر المباح فلا يلزم بإجماع من الأمة . **قال ابن عباس** : " **أوفوا بالعقود** " معناه بما أحل وبما حرم وبما فرض وبما حد في جميع الأشياء .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٦) أي من ضيق في الدين دليله قوله تعالى : **﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج:٧٨)** . **وقيل** : من الحدث والجنابة . **وقيل** : لتستحقوا الوصف بالطهارة التي يوصف بها أهل الطاعة .

قوله تعالى : **﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾** (٧) **قيل** : هو الميثاق الذي في قوله عز وجل : **﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾** (١٧٢) **قيل** : هو خطاب لليهود بحفظ ما أخذ عليهم في التوراة والذي **عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسدي** : هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي ﷺ **على السمع والطاعة في المنشط والمكره إذ قالوا** : سمعنا وأطعنا كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة وأضافه تعالى إلى نفسه كما قال : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح:١٠)** فبايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه ، وكان أول من بايعه البراء بن معرور وكان له في تلك الليلة المقام المحمود في التوثق لرسول الله ﷺ والشد **لعقد أمره وهو القائل** : والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر . قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ**

اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) **المعنى** : أتممت عليكم نعمتي فكونوا قوامين لله، أي لأجل ثواب الله فقوموا بحقه واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم وحيف على أعدائكم ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق ، وفي هذا دليل على نفوذ حكم العدو على عدوة في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه ؛ لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه ولو كان حكمه عليه ، وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له فلما كان لأمره بالعدل فيه وجه ، ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه وأن يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق ، وأن المثلة بهم غير جائزة وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك فليس لنا أن نقتلهم بمثلة قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم .

قال **تعالى** : **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** (٩) أي قال الله في حق المؤمنين ، لهم مغفرة وأجر عظيم ، أي لا تعرف كنهه أفهام الخلق . قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** (١٠) نزلت في بني النضير . **وقيل** : في جميع الكفار . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** (١١) **قال جماعة** : نزلت بسبب فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع حين اخترط سيف النبي ﷺ ، **وقال** : من يعصمك مني يا محمد ؟ كما تقدم في النساء .

قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** (١٢) هذه الآيات المتضمنة الخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوي أن الآية المتقدمة في كف الأيدي إنما كانت في بني النضير ، واختلف أهل التأويل في كيفية بعث هؤلاء النقباء بعد الإجماع على أن النقيب كبير القوم القائم بأمورهم الذي ينقب عنها

وعن **مصالحهم فيها والنقاب** : الرجل العظيم الذي هو في الناس على هذه الطريقة . **قال الربيع والسدي وغيرهما** : إنما بعث النقاء من بني إسرائيل أمناء على الاطلاع على الجبارين والسبر لقوتهم ، ومنعهم فساروا ليختبروا حال من بها ويعلموه بما اطلعوا عليه فيها حتى ينظر في الغزو إليهم فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة على ما يأتي ، وظنوا أنهم لا قبل لهم بها فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل وأن يعلموا به موسى عليه السلام ، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراباتهم ، ومن وثقوه على سرهم ، ففشا الخبر حتى اعوج أمر بني إسرائيل فقالوا : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ **(٢٤)** في الآية دليل على قبول خبر الواحد فيما يفتقر إليه المرء ، ويحتاج إلى اطلاعه من حاجاته الدينية والدنيوية فيركب عليه الأحكام ويرتبط به الحلال والحرام وقد جاء أيضاً مثله في الإسلام ، قال ﷺ لهوازن : ((**ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**)) [1] قوله تعالى : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ **(١٣)** أي : فبنقضهم ميثاقهم ما زائدة للتوكيد عن قتادة وسائر أهل العلم ، وذلك أنها تؤكد الكلام بمعنى تمكنه في النفس من جهة حسن النظم ومن جهة تكثر للتوكيد .

قوله تعالى : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ **(١٤)** أي : في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ إذ هو مكتوب في الإنجيل ، فنسوا حظا وهو الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، أي لم

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (ح / ٤٣١٨) والبيهقي (٦ / ٣٦٠ ، ٩ / ٦٤) .

يعلموا بما أمروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سبباً للكفر بمحمد ﷺ . قوله تعالى : **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥)** الكتاب اسم جنس بمعنى الكتب فجميعهم مخاطبون ، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، أي من كتبكم من الإيمان به ومن آية الرجم ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة فإنهم كانوا يخفونها ، **ويعفو عن كثير** : أي يتركه ولا يبينه وإنما يبين ما فيه حجة على نبوته ، ولدلالة على صدقة وشهادة برسالته ، ويترك ما لم يكن به حاجة إلى تبيينه . **قيل** : ويعفو عن كثير يعني يتجاوز عن كثير فلا يخبركم به وذكر أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى النبي ﷺ **فسأله فقال** : يا هذا عفوت عنا ؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يبين وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه ، فلما لم يبين له رسول الله ﷺ **قام من عنده فذهب وقال لأصحابه** : أرى أنه صادق فيما يقول لأنه كان وجد في كتابه لأنه لا يبين له ما سأله عنه .

قوله تعالى : **﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** (١٧) **معنى هذه الآية الكريمة** : إن الله هو المسيح ابن مريم على جهة الدنيونة به لأنهم لو قالوه على جهة الحكاية منكرين له لم يكفروا .

قوله تعالى : **﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾** (١٨) **قال ابن عباس** : خوف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود العقاب ، **فقالوا** : لا نخاف فإنا أبناء الله وأحباؤه فنزلت الآية . قوله تعالى : **﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ**

مُبِينٌ ﴾ (١٥) يعني محمداً ﷺ يبين لكم انقطاع حجتهم حتى لا يقولوا غداً ما جاء رسول على فترة من الرسل ، أي سيكون يقال فتر الشيء سكن ، **وقيل** : على فترة ، على انقطاع ما بين النبيين عن ابن علي جماعة من أهل العلم . **حكاه الرماني قال** : والأصل فيها انقطاع العمل عما كان عليه من الجد فيه من قولهم : **فتر عن عمله وفترته عنه ومنه فتر الماء إذا انقطع عما كان من السخونة إلى البرد** : وامرأة فاترة الطرف أي منقطعة عن حدة النظر وفتور البدن كفتور الماء والفترة ما بين السبابة والإبهام إذا فتحتها . **قوله تعالى** : **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾** (٢٠) تبين من الله تعالى أن أسلافهم تمردوا على موسى وعصوه فكذلك هؤلاء على محمد عليه السلام هو تسليه له أي يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، واذكروا قصة موسى . قوله تعالى : **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** (٢١) معناه المطهرة ، **وقال مجاهد** : المباركة والبركة التطهير من القحوط الجوع ، **وقال قتادة** : هي الشام ، **وقال مجاهد** : الطور وما حوله ، **وابن عباس والسدي وابن زيد** : هي أريحاء ، **وقال الزجاج** : **دمشق وفلسطين وبعض** : الأردن . **ومعنى** : التي كتب الله لكم ، أي فرض دخولها عليكم ووعدكم دخولها وسكناها لكم ولما خرجت بنو إسرائيل من مصر أمرهم بجهاد أهل أريحاء من بلاد فلسطين ، **فقالوا** : لا علم لنا بتلك الديار ، فبعث بأمر الله اثني عشر نقيبا من كل سبط رجل يتجسسون الأخبار على ما تقدم فرأوا سكانها الجبارين من العمالقة وهم ذووا أجسام هائلة حتى ، **قيل** : إن بعضهم رأى هؤلاء النقباء فأخذهم في كمه مع فاكهة قد حملها من بستانه وجاء بهم إلى الملك فنثرهم بين يده، **وقال** : إن هؤلاء يريدون قتالنا ، **فقال لهم الملك** : ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا على ما تقدم ، **وقيل** : إنهم لما رجعوا أخذوا من عنب تلك الأرض عنقوداً ، **فقيل** : **حمله رجل واحد، وقيل** : له النقباء

الاثنا عشر . قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾ (٢٢) أي عظام الأجسام طوال **وقد تقدم يقال** : نخلة جبارة أي طويلة ، والجبار المتعظم الممتنع من الذل والفقر ، **وقال الزجاج** : الجبار من الآدميين العاتي ، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد فأصله على هذا مل الإجبار وهو الإكراه فإنه يجبر غيره على ما يريده وأجبره أي أكرهه ، **وقيل** : هو مأخوذ من جبر العظم فأصل الجبار على هذا المصلح أمر نفسه ثم استعمل في كل من جر لنفسه نفعاً بحق أن باطل ، **قيل** : إن جبر العظم راجع إلى معنى الإكراه . قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (٢٣) **قال ابن عباس وغيره** : هما يوشع وكالب بن يوقنا ، ومعنى " **يخافون** " على هذا أي من العمالقة من حيث الطبع لئلا يطلعوا على أيمانهم فيفتنوهم ، ولكن **وثقا بالله وقيل** : يخافون ضعف بني إسرائيل وجبنهم .

قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ (٢٤) وهذا عناد وحيد عن القتال ، وإياس من النصر ثم جهلوا صفة الرب تبارك وتعالى **فقالوا** : فاذهب أنت وربك ووصفوه بالذهاب والانتقال ، والله متعال عن ذلك ، وهذا يدل على أنهم كانوا مشبهة .

قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ (٢٥) لأنه كان يطيعه ، **وقيل المعنى** : إني لا أملك إلا نفسي ، ثم ابتدأ **فقال** : وأخي ، أي : وأخي أيضاً لا يملك إلا نفسه فأخي .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (٢٦) استحباب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة ، **وأصل التيه في اللغة الحرة يقال منه** : تاه يتيه تيهاً وتوهاً إذا تحير وتيهته وتوهته بالياء والواو ، والياء أكثر والأرض التيهاء التي لا يعتدي فيها

وأرض وتيهاء ومنها **قال : تيه أتاويه على السقاط وقال آخـر**: بتيهـاء قفـر والمطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخاً بيوضها فكانوا يسيرون فـي فراسـخ قليلة **وقيل** : في قدر ستة فراسخ يومهم وليلتهم فيصبحون حيث أمسوا ويمـسون حيث أصبحوا فكانوا سيارة لا قرار لهم . واختلف هـل كـان معهـم موسـى وهارون **فقيل** : لا ، لأن التيه عقوبة وكانت سنو التيه بعدد أيام العجل فقوبلـوا على كل يوم سنة .

قوله تعالى:**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِـنْ أَحَـدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** (٢٧) وجـه اتصال هذه الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلـم اليهـود ونقـضهم **المواثيق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه المعنى** : إن هم هؤلاء اليهود بالفتك بـك يا محمد فقد قتلوا قبلك الأنبياء وقتل قابيل وهابيل والشر قديم ، أي ذكرهم هـذه القصة فهي قصة صدق لا كالأحاديث الموضوعة ، وفي ذلك تبكيت لمن خالف الإسلام وتسلية للنبي ﷺ. **واختلف في ابني آدم فقال الحسن البـصري** : ليـسا لصلبة كانا رجلين من نبي إسرائيل ضرب الله بهما المثل في إبانة حسد اليهود ، وكان بينهما خصومة فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين إلا في بنـي إسـرائيل .

قوله تعالى : **﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّـي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾** (٢٨) أي لئن قصدت قتلي فأنا لا أقصد قتلك ، فهـذا استسلام منه وفي الخبر ، إذا كانت الفتنة فكن كخبر ابن آدم . **قـال مجاهـد** : كان الفرض عليه حينئذ ألا يستل أحد سيفاً وألا يمتنع ممن يريـد قتلـه ، **قـال علمائنا** : وذلك مما يجوز ورود التعبد به إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعـاً وفي جوب ذلك عليه خلاف والأصح وجوب ذلك لما فيه من النهي عن المنكر .

قوله تعالى : **﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِـكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾** (٢٩) **قيل : معناه معنى قول النبي ﷺ** : ((**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقتل والمقتول في النار**)) **قيل** : يا رسول الله هذا القتـل فمـا بـال

المقتول ؟ **قال** : ((**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**)) [1] وكأن هابيل أراد أني لست بحريص على قتلك فالإثم الذي كان يحلقني لو كنت حريصاً على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي . **وقيل** : المعنى بإثمي الذي يختص بي فيما فرطت أي يؤخذ من سيئاتي فتطرح عليك بسبب ظلمك لي وتبوء بإثمك في قتلك

قوله تعالى : ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (٣٠) أي : سولت وسهلت نفسه عليه الأمر وشجعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل له **يقال** : طاع الشيء يطع أي سهل وانقاد وطوعه فلان له أي سهله .

قوله تعالى : ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾ (٣١) **قال مجاهد** : بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر فدفنه ، وكان ابن آدم هذا أول من قُتل ، **وقيل** : إن الغراب بحث الأرض على طعمه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه لأنه من عادة الغراب فعل ذلك فتنبه قابيل بذلك على مواراة أخيه .

قوله تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** ﴾ (٣٢) أي من جراء ذلك القاتل وجريرته ، **وقال الزجاج** : أي من جنايته **يقال** : أجل الرجل على أهل شراً يأجل أجلاً إذا جنى مثل أخذ يأخذ أخذاً **وقيل** : أنا جاره عليهم . **قال مجاهد** : المعنى أن الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً **يقول** : لو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن لم يقتل فقد حيي الناس منه ، **وقال ابن زيد** : المعنى أن من قتل نفساً فيلزمه من القود والقصاص ما يلزم من قتل

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (١ / ١٥ ، ٩ / ٥) ومسلم في (الفتن ، ح / ١٥) .

الناس جميعاً . اختلفوا في حكم المحارب **فقالت طائفة** : يقام عليه بقدر عليه فمن أخاف السبيل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، وإن أخذ المال وقتل قطعت يده ورجله ثم صلب فإذا قتل ولم يأخذ المال قتل ، وإن هو لم يأخذ المال ولم يقتل نفي . **قال أحمد** : إن قتل قتل ، وإن أخذ المال قطعت يده ورجله كقول الشافعي ، **وقال قوم** : لا ينبغي أن يصلب قبل القتل فيحال بينه وبين الصلاة والأكل والشرب . عن أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ **فقال** : يا رسول الله أرأيت إن عدي علي مالي ؟ **قال** : فانشد بالله **قال** : فإن **أبو علي قال : فانشد بالله قال** : فإن أبوا علي **قال** : فانشد الله **قال** : فإن أبوا علي **قال** : فقاتل إن قتلت ففي الجنة وإن قتلت ففي النار .

قوله تعالى : **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (٣٤) استثنى جل وعز التائبين قبل أن يقدر عليهم وأخبر بسقوط حقه **عنهم بقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم** ، أما القصاص وحقوق الآدميين فلا تسقط ومن تاب بعد القدرة ، فظاهر الآية أن التوبة لا تنفع وتقام الحدود عليه كما تقدم .

قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** (٣٥) **الوسيلة** : هي القربة ، وهي فعيلة من توسلت إليه أي تقربت . **والوسيلة** : درجة الجنة ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة.

قال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** (٣٦) **قال يزيد الفقير: قيل لجابر بن عبد الله** : إنكم يا أصحاب محمد تقولون إن قوماً يخرجون من النار والله تعالى يقول : **﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** (٣٧) **فقال جابر** : إنكم تجعلون العام خاصاً

والخاص عاماً إنما هذا في الكفار خاصة ، فقرأت الآية كلها من أولها إلى آخرها فإذا هي في الكفار خاصة و"مقيم " معناه دائم ثابت لا يزول ولا يحول .

قوله تعالى : **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (٣٨) لما ذكر تعالى أخذ الأموال بطريق السعي في الأرض والفساد ذكر حكم السارق من غير حراب ، وبدأ سبحانه بالسارق قبل السارقة عكس الزنى على نبينه آخر الباب وقد قطع السارق في الجاهلية وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد بن المغيرة فأمر الله بقطعه في الإسلام ، فكان أول سارق قطعه رسول الله ﷺ في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد بن بني مخزوم ، وقطع أبو بكر يد اليمني الذي سرق العقد ، وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبد الرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه وظاهر الآية العموم في كل سارق وليس كذلك لقول عليه السلام : ((**لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً**)) [1] فبين أنه إنما أرد بقوله : **والسارق والسارقة** : بعض السراق دون بعض فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار أو فيما قيمته ربع دينار ، وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم ، وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث والشافعي وأبو ثور، **وقال مالك** : تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم ، فإن سرق درهمين وهو ربع دينار لانحطاط الصرف لم تقطع يده فيهما، والعروض لا تقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف أو كثر فجعل مالك الذهب والورق كل واحد منهما أصلاً بنفسه ، وجعل تقويم العروض بالدراهم في المشهور .

قوله تعالى : **﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (٣٩) شرط وجوابه ، فإن الله يتوب عليه ، **ومعنى** : من بعد

---

[1] **صحيح** . أخرجه مسلم في (الحدود ، ح / ٢ ـ ٤) وابن ماجة (ح / ٢٥٨٥) .

ظلمه من بعد السرقة فإن الله يتجاوز عنه والقطع لا يسقط بالتوبة . **وقال عطاء وجماعة** : يسقط بالتوبة قبل القدرة على السارق ، **وقال علماؤنا** : هذا بعينه دليلناً لأن الله سبحانه وتعالى لما ذكر حد المحارب قال : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (٣٤) .

قال ابن العربي : ويا معشر الشافعية سبحان الله ! أين الدقائق الفقهية والحكم الشرعية التي تستنبطونها من غوامض المسائل ؟ ألم تروا إلى المحارب المستبد بنفسه ، المعتدي بسلاحه، الذي يفتقر الإمام معه إلى الإيجاف بالخيل والركاب كيف أسقط جزاءه استنزالاً عن تلك الحالة، كما فعل بالكافر في مغفرة جميع ما سلف استئلافاً على الإسلام ، فأما السارق والزاني وهما في قبضة المسلمين وتحت حكم الإمام ، فما الذي يسقط عنهم حكم ما وجب عليهم ؟ **أو كيف يجوز أن يقال** : يقاس على المحارب وقد فرقت بينهما الحكمة والحالة ، هذا ما لا يليق بمثلكم يا معشر المحققين ، وإذا ثبت أن الحد لا يسقط بالتوبة فالتوبة مقبولة والقطع كفارة له وأصلح أي كما تاب عن السرقة تاب عن كل ذنب ، وقيل : وأصلح أي ترك المعصية بالكلية فأما من ترك السرقة بالزنى أو التهود بالتنصر فهذا ليس بتوبة وتوبة الله على العبد أن يوفقه للتوبة ، **وقيل** : أن تقبل منه التوبة قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(٤٠) خطاب للنبي ﷺ وغيره ، **أي لا قرابة بين الله تعالى وبين أحد توجب المحاباة حتى يقول قائل** : نحن أبناء الله وأحباؤه ، والحدود تقام على كل من يقارف موجب الحد ، **وقيل** : أي له أن يحكم بما يريد فلهذا فرق بين المحارب وبين السارق غير المحارب .

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ**

اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١) **في سبب نزولها ثلاثة أقوال : قيل** : نزلت في بني قريظة والنضير ، قتل قرظي نضيرياً وكان بنو النضر إذا قتلوا من بني قريظة لم يقيدوهم وإنما يعطوهم الدية على ما يأتي بيانه فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم بالتسوية بين القرظي والنضيري ، فساءهم ذلك ولم يقبلوا ، **وقيل** : إنها نزلت في شأن أبي لبابة حين أرسله النبي ﷺ إلى بني قريظة فخانه حين أشار إليهم أنه الذبح . **وقيل** : إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم وهذا أصح الأقوال .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (٤٤) الجمهور على رد شهادة الذمي لأنه ليس من أهلها فلا تقبل على مسلم ولا على كافر وقد قبل شهادتهم جماعة من التابعين وغيرهم إذا لم يوجد مسلم على ما يأتي بيانه آخر السورة **فإن قيل** : فقد حكم بشهادتهم ورجم الزانيين فالجواب أنه إنما نفذ عليهم ما علم أنه حكم التوراة وألزمهم العمل به على نحو ما عملت به بنو إسرائيل إلزاماً للحجة عليهم وإظهاراً لتحريفهم وتغييرهم ، فكان منفذاً لا حاكماً وهذا على التأويل الأول وعلى ما ذكر من الاحتمال فيكون نذلك خاصاً بتلك الواقعة ، إذ لم يسمع في الصدر الأول من قبل شهادتهم في مثل ذلك والله أعلم . قوله تعالى : **﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** (٤٥) بين تعالى أنه سوى بين النفس والنفس في التوراة فخالفوا ذلك فضلوا فكانت دية النضيري أكثر وكان النضيري لا يقتل بالقرظي ويقتل به القرظي فلما جاء الإسلام راجع بنو قريظة رسول الله ﷺ فيه فحكم بالاستواء **فقالت بنو النضير** : قد حططت منا فنزلت هذه الآية ، **وكتبنا** :

بمعنى فرضنا ، وكان شرعهم القصاص أو العفو وما كان فيهم الدية ، **فقال** : يقتل المسلم بالذمي لأنه نفس بنفس . **قال أصحاب الشافعي وأبو حنيفة** : إذا جرح أو قطع الأذن أو اليد ثم قتل فعل ذلك به لأن الله تعالى قال : **﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** (٤٥) فيؤخذ منه ما أخذ ويفعل به كما فعل ، **وقال علماءنا** : إن قصد به المثلة فعل به مثله وإن كان ذلك في أثناء مضاربته ومدافعته قتل بالسيف ، وإنما قالوا ذلك في المثلة يجب لأن النبي ﷺ سمل أعين العرنيين حسبما تقدم بيانه في هذه السورة .

قال ابن المنذر : وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله علي بن أبي طالب : أنه أمر بعينه الصحيحة فغطيت وأعطي رجل بيضه فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى نظره ، ثم أمر بخط عند ذلك ثم أمر بعينه الأخرى فغطبت وفتحت الصحية وأعطي رجل بيضة فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى نظره ، ثم خط عند ذلك ثم أمر به فحول إلى مكان آخر ففعل به مثل ذلك ، فوجده سواء فأعطي ما نقص من بصره من مال الآخر . لا خلاف بين أهل العلم على أن لا قود في بعض البصر إذ غير ممكن الوصول إليه وكيفية القود في العين أن تحمى مرآة ثم توضع على العين الأخرى قطنه ثم تقرب المرآة من عينه حتى يسيل إنسانها.

واختلف في جفن العين ، **فقال زيد بن ثابت** : فيه ربع الدية ، وروى عن الشعبي **أنه قال** : في الجفن الأعلى ثلث الدية ، وفي الجفن الأسفل ثلثا الدية ، وبه قال مالك . جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**وفي الأنف إذا أعب جدعاً الدية**))[1] **قال ابن المنذر** : وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على القول به والقصاص من الأنف إذا كانت الجناية عمداً كالقصاص من سائر الأعضاء

---

[1] **الصحيحة** : (ح / ١٩٩٧) .

على كتاب الله تعالى ، واختلفوا في كسر الأنف ، فكان مالك يرى في العمد منه القود وفي الخطأ الاجتهاد . **واختلفوا في المارن إذا قطع ولم يستأصل الأنف فذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم** : إلى أن في ذلك الدية كاملة ثم أن قطع منه شيء بعد ذلك ففيه حكومة **قال مالك** : الذي فيه الدية من الأنف أن يقطع المارن وهو دون العظم ، **قال ابن القاسم** : وسواء قطع المارن من العظم وستؤصل الأنف من العظم من تحت العينين إنما في الدية ، كالحشفة فيها الدية وفي استئصال الذكر الدية . **قال ابن القاسم** : وإذا خرم الأنف أو كسر فبرئ على عثم ففيه الاجتهاد ، وليس فيه دية معلومة ، وإن برئ على غير عثم فلا شيء فيه ، **قال** : وليس الأنف إذا خرم فبرئ على غير عثم كالموضحة تبرأ على غير عثم فيكون فيها ديتها ؛ لأن تلك جاءت بها السنة ، وليس في خرم الأنف أثر ، **قال** : والأنف عظم منفرد ليس فيه موضحة ، واتفق مالك والشافعي وأصحابهما على أن لا جائفة فيه ولا جائفة عندهم إلا فيما كان في الجوف والمارن ما لأن من الأنف . **قال أبو عمر** : وأظن روثته مارنه وأرنبته طرفه ، **وقد قيل** : الأرنبة والروثة والعرتمة طرف الأنف والذين عليه الفقهاء مالك والشافعي والكوفيون ومن تبعهم في الشم إذا نقص أو فقد حكومة . **قوله تعالى : والأذن بالأذن : قال علماؤنا رحمة الله عليهم في الذي يقطع أذني رجل** : عليه حكومة ، وإنما تكون عليه الدية في السمع ، ويقاس في نقصانه كما يقاس في البصر وفي إبطاله من إحداهما نصف الدية ولو لم يكن يسمع إلا بها بخلاف العين العوراء فيها الدية كاملة على ما تقدم . **وقال أشهب** : إن كان السمع إذا سئل عنه قبل إن أحد السمعين يسمع ما يسمع السمعان فهو عندي كالبصر ، وإذا شك السمع جرب بأن يصاح به من مواضع عدة يقاس ذلك فإن تساوت أو تقاربت أعطي بقدر ما ذهب من سمعه ، **ويحلف على ذلك قال أشهب** : ويسحب له ذلك على سمع وسط من الرجال مثله فإن اختبر فاختلف قوله لم يكن له شيء **قوله تعالى : والسن بالسن : قال ابن المنذر** : وثبت عن

رسول الله ﷺ أنه أقاد من سن وقال : ((**كتاب الله القصاص**)) [1] ، وجاء الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**في السن خمس من الإبل**)) [2] **قال ابن المنذر** : فبظاهر هذا الحديث **نقول** : لا فضل للثنايا منها على الأنياب والأضراس والرباعيات لدخولها كلها في ظاهر الحديث ، وبه يقول الأكثر من أهل لعلم . عن عمر بن الخطاب أنه قضى فيما أقبل من الفم بخمس فرائض خمس فرائض وذلك خمسون ديناراً قيمة كل فريضة عشرة دنانير ، وفي الأضراس ببعير بعير **وكان عطاء يقول** : في السن والرباعيتين والنابين خمس خمس ، وفيما بقي بعيران بعيران ، أعلى الفم وأسفله سواء والأضراس سواء . **عن سعيد بن المسيب** : أن عمر قضى في الأضراس ببعير بعير فإن المعنى في ذلك أن الأضراس عشرون ضرساً ، **والأسنان اثنا عشر سناً** : أربع ثنايا وأربع رباعيات وأربع أنياب فعلى قول عمر تصير الدية ثمانين بعيراً في الأسنان خمسة خمسة ، وفي الأضراس بعير بعير . وعلى قول معاوية في الأضراس والأسنان خمسة أبعرة خمسة أبعرة ، تصير الدية ستين ومائة بعير **وعلى قول سعيد بن المسيب** : بعيرين بعيرين في الأضراس ، وهي عشرون ضرساً يجب لها أربعون ، وفي الأسنان خمسة أبعرة خمسة أبعرة فذلك ستون وهي تتمة المائة بعير، وهي الدية كاملة من الإبل ، والاختلاف بينهم إنما هو في الأضراس لا في الأسنان . **قال أبو عمر** : واختلاف العلماء من الصحابة والتابعين في ديات الأسنان وتفضيل بعضها على بعض كثيراً جداً والحجة قائمة لما ذهب إليه الفقهاء ، مالك وأبو حنيفة والثوري بظاهر قول رسول الله ﷺ : ((**وفي السن خمس من الإبل ، والضرس سن من الأسنان**)) روى ابن عباس أن

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (٣ / ٢٤٣) وأحمد (٣ / ١٢٨) .

[2] **صحيح** . أخرجه النسائي في (القسامة ، باب " ٤٤ ") وابن ماجة في (الديات ، ح / ٢٦٥١) .

رسول الله ﷺ قال : ((**الأصابع سواء والأسنان سواء الثنية والضرس سواء هذه وهذه سواء**))[1] وهذا نص أخرجه أبو داود **وروي أبو داود أيضاً عن ابن عباس قال** : جعل رسول الله ﷺ أصابع اليدين والرجلين **سواء قال أبو عمر**: على هذه الآثار جماعة فقهاء الأمصار ، وجمهور أهل العلم أن الأصابع في الدية كلها سواء ، وأن الأسنان في الدية كله سواء الثنايا والأضراس والأنياب لا يفضل شيء منها على شيء على ما في كتاب عمرو بن حزم ذكر الثوري عن أزهر بن محارب ، **قال** : اختصم إلى شريح رجلان ضرب أحدهما ثنية الآخر ضرسه ، **فقال شريح** : الثنية وجمالها والضرس ومنفعته سن وبسن قوما ، **وقال أبو عمر**: على هذا العمل اليوم في جميع الأمصار والله أعلم . **وروي عن عمرو بن الخطاب** ﷺ **أن فيها ثلث ديتها ، وبه قال أحمد وإسحاق وقال الشافعي وأبو ثور : فها حكومة قال ابن العربي** : وهذه عندي خلاف يؤول إلى وفاق فإنه إن كان سوادها أذهب منفعتها وإنما بقيت صورتها كاليد الشلاء اليعن العمياء فلا خلاف في وجوب الدية ثم إن كان بقي من منفعتها شيء أو جميعها لم يجب لا بمقدار ما نقص من المنفعة حكومة ، وما روي عن عمر ﷺ فيها ثلث ديتها لم يصح عنه سنداً ولا فقها .

واختلفوا في سن الصبي يقلع قبل أن يثغر فكان مالك والشافعي وأصحاب الرأي يقولون : إذا قلعت سن الصبي فنبتت فلا شيء على القالع إلا أن مالكاً **والشافعي قالا** : إذا نبتت ناقصة الطول عن التي تقاربها أخذ له من أرشها بقدر نقصه ، **وقالت طائفة** : فيها حكومة . **قال ابن المنذر** : بستان بها إلى الوقت الذي يقول أهل المعرفة إنها لا تنبت فإن كان ذلك كان فيها قدرها تاماً ، وإن نبتت رد الأرش وأكثر من يحفظ عنه من **أهل العلم يقولون** : يستأنى بها سنة . إذا قلع سن الكبير فأخذ ديتها ثم نبتت ، **فقال مالك** : لا يرد ما أخذ . **وقال**

---

[1] **صحيح** . أخرجه أبو داود (ح / ٤٥٥٦) والإرواء (٧ / ٣١٩) .

الكوفيون : يرد إذا نبتت وللشافعي قولان : يرد ولا يرد لأن هذا نبات لم تجر به عادة ولا يثبت الحكم بالنادر هذا عقول علمائنا تمسك الكوفيون بأن عوضها قد نبت فيرد أصله سن الصغير . **قال الشافعي** : ولو جنى عليها جان آخر وقد نبتت صحيحة كان فيها أرشا تاماً . **قال ابن المنذر: هذا أصح القولين** : لأن كل واحد منهما قالع سن وقد جعل النبي ﷺ في السن خمساً من الإبل . فلو قلع رجل سن رجل فردها صاحبها فالتحت فلا شيء فيها عندنا ، **وقال الشافعي** : ليس له أن يردها من قبل أنها نجسه وقاله ابن المسيب وعطاء ولو ردها أعاد كل صلاة صلاها لأنه ميتة ، وكذلك لو قطعت أذنه فردها بحرارة الدم فالتزمت مثله . **وقال عطاء** : يجبره السلطان على قلعها لأنها ميتة ألصقها .

قال ابن العربي : وهذا غلط وقد جهل من خفي عيه أن ردها وعودها بصورتها لا يوجب عوجها بحكمها ؛ لأن النجاسة كان فيها للانفصال وقد عادت متصلة وأحكام الشريعة ليست صفات للأعيان ، وإنما هي أحكام تعود إلى قول الله سبحنه فيها وإخباره عنها . **قال ابن المنذر** : واختلفوا في السن تقلع قوداً ثم ترد مكانها فتنبت ، **قال عطاء الخراساني وعطاء بن أبي رباح** : لا بأس بذلك . **وقال الثوري وأحمد وإسحاق** : تقلع لأن القصاص للشين . **وقال الشافعي** : ليس له أن يردها من قبل أنها نجسة ، ويجبره السلطان القلع . ولو كانت له سن زائدة فقلعت ففيها حكومة ، وبه قال فقهاء الأمصار ، **وقال زيد بن ثابت** : فيها ثلث الدية ، **قال ابن العربي** : وليس في التقدير دليل فالحكومة أعدل . **قال الجمهور**: وفي الشفتين الدية ، وفي كل وحدة مها نصف الدية لا فضل للعليا منهما على السفلى ، وفي الشفة العليا ثلث الدية ، وفي السفلى ثلثا الدية ، **وقال ابن المنذر : وبالقول الأول أقول** : للحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**وفي الشفتين الدية**)) [1] ولأن في اليدين الدية ومنافعهما مختلفة وما قطع

---

[1] **صحيح** . أخرجه الدارمي (٢ / ١٩٣) والبيهقي (٨ / ٨٩) .

من الشفتين فبحساب ذلك ، وأما اللسان فجاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ((**في اللسان الدية**))[1] وأجمع أهل العلم من أهل المدينة وأهل الكوفة وأصحاب الحديث وأهل الرأي على القول به قاله ابن المنذر . **واختلفوا في الرجل يجني على لسان فيقطع من اللسان شيئاً ويذهب من الكلام بعضه فقال أكثر أهل العلم** : ينظر إلى مقدار ما ذهب من الكلم من ثمانية وعشرين حرفاً فيكون عليه من الدية بقدر ما ذهب من كلامه ، وإن ذهب الكلام كله فيه الدية ففيه الدية **هذا قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي : وقال مالك** : ليس في اللسان قود لعدم الإحاطة باستيفاء القود فإن أمكن فالقود هو الأصل . واختلفوا في لسان الأخرس يقطع **فقال الشعبي ومالك وأهل المدينة والثوري وأهل العراق والشافعي وأبو ثور والنعمان وصاحباه** : فيه حكومة . **قال ابن العربي** : نص الله سبحانه على أمهات الأعضاء وترك باقيها للقياس عليها، فكل عضو فيه القصاص إذا أمكن ولم يخش عليه الموت ، وكذلك كل عضو بطلت منفعته وبقيت صورته فلا قود وفيه الدية لعدم إمكان القود فيه **قوله تعالى : والجروح قصاص** : أي مقاصة ، ولا قاص في كل مخوف ولا فيما لا يوصل إلى القصاص فيه إلا أن يخطىء الضارب أو زيد أو ينقص ويقاد من جراح العمد إذا كان مما يمكن القود منه ، وهذا كله في العمد فأما الخطأ فالدية وإذا كانت الدية في قتل الخطأ فكذلك في الجراح ، **عن أنس** : أن أخت الربيع **ــ أم حارثة ــ جرحت إنساناً فاختصموا إلى النبي** ﷺ : القصاص ، **فقالت أم الربيع** : يا رسول الله أيقتص من فلانه والله لا يقتص منها فقال النبي ﷺ : ((**سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله**)) [2] **قالت** : لا والله لا يقتص منها أبداً قال فما زالت حتى قبلوا الدية فقال الرسول الله ﷺ : ((**إن من عباد الله من لو أقسم**

---

(1) **أنظر** : المصدر السابق .

(2) **صحيح** . أخرجه النسائي (٨ / ٢٧) وأحمد (٣ / ٢٨٤) .

على الله لأبره)) [1]**عن أنس أيضاً** : أن عمته كسرت ثنية جارية فقضى نبي الله ﷺ بالقصاص فقال **أخوها أنس بن النضر** : أتكسر ثنية فلانه ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنتها **قال** : وكانوا قبل ذلك سألوا أهلها العفو والأرش فلما حلف أخوها وهو عم أنس ـ **وهو الشهيد يوم أحد** ـ رضي القوم بالعفو فقال النبي ﷺ : ((**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**)) **أجمع العلماء على قوله تعالى** : والسن بالسن ، أنه في العمد فمن أصاب سن أحد عمداً ففه القصاص على حديث أنس ، واختلفوا في سائر عظام الجسد إذا كسرت عمداً ، **فقال مالك** : عظام الجسد كلها فيها القود إلا ما كان مخوفاً مثل الفخذ والصلب والمأمومة والمنقلة والهاشمية ، ففي ذلك الدية ، **وقال الكوفيون** : **لا قصاص في عظم يكسر ماخلا السن لقوله تعالى** : والسن بالسن ، وهو قول الليث والشافعي **قال الشافعي** : لا يكون كسر ككسر أبداً فهو ممنوع **قال الطحاوي** : اتفقوا على أنه لا قصاص في عظم الرأس ، فكذلك في سائر العظام والحجة لمالك حديث أنس في السن وهي عظم فكذلك سائر العظام إلا عظماً أجمعوا على أنه لا قصاص فيه لخوف ذهاب النفس منه ، **قال ابن المنذر** : ومن **قال لا قصاص في عظم فهو مخالف للحديث** : والحديث إلى النظر غير جائز مع وجود الخبر . **قال عمر بن عبد العزيز** : ما دون الموضحة خدوش وفيها صلح ، **وقال الحسن البصري** : ليس فيما دون الموضحة قصاص ، **وقال مالك** : القصاص فيما دون الموضحة الملطى والدامية والباضعة وما أشبه ذلك ، وكذلك قال الكوفيون وزادوا السمحاق حكاه ابن المنذر **وقال أبو عبيد** : الدامية التي تدمى **من غير أن يسيل منها دم والدامعة** : أن يسيل منها دم وليس فيها دون الموضحة قصاص ، **وقال الجوهري** : والدامية الشجة التي تدمى ولا تسيل ، **وقال**

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (الصلح ، ح / ٢٧٠٣) ومسلم في (القسامة ، ح / ١٦٧٥) .

علماؤنا : الدامية هي التي تسيل الدم ، ولا قصاص في فيما بعد الموضحة ، من الهاشمية للعظم والمنقلة على خلاف فيها خاصة والآمة هي البالغة إلى أم الرأس والدامغة الخارقة لخريطة الدماغ وفي هاشمة الجسد القصاص إلا ما هو مخوف كالفخذ وشبهه ، **وأما هاشمة الرأس فقال ابن القاسم:** لا قود فيها لأنها لا بد تعود منقلة ، **وقال أشهب** : فيها القصاص إلا أن تنقل فتصير منقلة لا قود فيها وأما الأطراف فيجب القصاص جميع المفاصل إلا لمخوف منها وفي معنى المفاصل أبعاض المارن والأذنين والذكر والأجفان والشفتين ؛ لأنه تقبل التقدير ، وفي اللسان روايتان والقصاص في كسر العظام إلا ما كان متلفاً كعظام الصدر والعنق والصلب والفخذ وشبهة وفي كسر عظام العضد القصاص ، وقضى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجل كسر أن يكسر فخذه وفعل ذلك عبد العزيز عبد الله بن خالد بن أسيد بمكة ، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه فعله وهذا مذهب مالك على ما ذكرنا **وقال** : إنه الأمر المجمع عليه عندهم والمعمول به في بلادنا في الرجل يضرب الرجل فيتقيه بيده فيكسرها يقاد منه . **قال العلماء : الشجاج في الرأس ، والجراح في البدن وأجمع أهل العلم على أن فيما دون الموضحة أرش فيما ذكر ابن المنذر** : واختلفوا في ذلك الأرش ، **وما دون الموضحة شجاج خمس** : الدامية والدامعة والباضعة والمتلاحمة والمسحاق ، **فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي** : في الدامية حكومة وفي الباضعة حكومة وفي المتلاحمة حكومة . **عن زيد بن ثابت قال** : في الدامية بعير، وفي الباضعة بعيران وفي المتلاحقة ثلاثة أبعرة من الإبل وفي السمحاق أربع وفي الموضحة خمس ، وفي الهاشمة عشر ، وفي المنقلة خمس عشرة في المأمومة ثلث الدية وفي الرجل يضرب حتى يذهب عقله الدية كاملة أو يضرب حتى يغن ولا يفهم الدية كاملة أو حتى يبح ولا يفهم الدية كاملة ، وفي جفن العين ربع الدية ، وفي حلمة الثدي ربع الدية . ولا يختلف العلماء أن الموضحة فيها خمس من الإبل ، على ما في حديث عمرو

بن حزم وفيه . ((**وفي الموضحة خمس**)) [1] وأجمع أهل العلم على أن الموضحة تكون في الرأس والوجه ، واختلفوا في تفضيل موضحة الوجه على موضحة الرأس ، فروي عن أبي بكر وعمرو أنهما سواء وقال بقولهما جماعة من التابعين ، وبه يقول الشافعي وإسحاق وروي عن سعيد بن المسيب تضعيف موضحة الوجه على موضحة الرأس ، **وقال أحمد** : موضحة الوجه أحرى أن يزاد فيها ، **وقال مالك** : المأمومة والمنقلة والموضحة لا تكون إلا في الرأس والوجه ولا تكون المأمومة إلا في الرأس خاصة إلى وصل إلى الدماغ ، **قال** : والموضحة ما تكون في جمجمة الرأس وما دونها فهو من العنق ليس فيه موضحة ، **قال مالك** : والأنف ليس من الرأس وليس فيه موضحة وكذلك اللحى الأسفل ليس فيه موضحة ، وقد اختلفوا في الموضحة في غير الرأس والوجه **فقال أشهب وابن القاسم** : ليس في موضحة الجسد ومنقلته ومأمومته إلا الاجتهاد وليس فيها أرش معلوم ، **قال ابن المنذر** : هذا قول مالك والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق وبه نقول . **قال أبو عمر** : واتفق مالك والشافعي وأصحابهما أن من شج رجلاً مأمومتين أو موضحتين أو ثلاث مأمومات أو موضحات أو أكثر في ضربة واحدة أن فيهن كلهن وإن انخرقت فصارت واحدة ـ دية كاملة ، وأما الهاشمة فلا دية فيها عندنا بل حكومة ، **قال ابن المنذر** : ولم أجد في كتب المدنيين ذكر الهاشمة بل **قد قال مالك فيمن كسر أنف رجل** : إن كان خطأ ففيه الاجتهاد ، وكان الحسن البصري لا يوقت في الهاشمة شيئا . **وقال أبو ثور** : إن اختلفوا فيه ففيها حكومة ، **قال ابن المنذر** : النظر يدل على هذا إذ لا سنة فيها ولا إجماع ، **وقال القاضي أبو الوليد الباجي : فيها ما في الموضحة فإن صارت منقلة فخمسة عشرة وإن صارت مأمومة فثلث الدية** ، **قال ابن المنذر** : ووجدنا أكثر من لقيناه وبلغناه عنه من أهل العلم يجعلون في

---

[1] **صحيح** . أخرجه أبو داود (ح / ٤٥٦٦) وأحمد (٢ / ١٧٨ ، ١٧٩) .

الهاشمة عشراً من الإبل ، وروينا هذا القول عن زيد بن ثابت ، **وبه قال قتادة وعبيد الله بن الحسن والشافعي ، وقال الثوري وأصحاب الرأي** : فيها ألف درهم ومرادهم عشر الدية . **وأما المنقلة فقال ابن المنذر** : جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ((**في المنقلة خمس عشرة عن الإبل**)) [1] وأجمع أهل العلم على القول به ، **قال ابن المنذر** : وقال كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن المنقلة هي التي تنقل منها العظام . **وأما المأمومة فقال ابن المنذر** : جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ((**في المأمومة ثلث الدية**)) [2] وأجمع العلماء عوم أهل العلم على القول به ولا نعلم أحداً خالف ذلك **إلا مكحولاً فإنه قال** : إذا كانت المأمومة عمداً ففيها ثلثاً الدية ، وإذا كانت خطأ ففيها ثلث الدية وهذا قول شاذ وبالقول الأول أقول ، واختلفوا في **القود من المأمومة فقال كثير من أهل العلم : لا قود فيها وروي عن ابن الزبير أنه أقص من المأمومة فأنكر ذلك الناس ، وقال عطاء** : ما علمنا أحداً أقاد منها قبل ابن الزبير وأما الجائفة ففيها ثلث الدية على حديث عمرو بن حزم ولا خلاف في ذلك إلا ما روي عن مكحول أنه ، **قال** : إذا كانت عمداً ففيها ثلثا الدية وإن كان خطأ ففيها ثلث الدية والجائفة كل ما خرق إلى الجوف ، ولو مدخل إبرة فإن نفذت من جهتين فهي عندهم جائفتان ، وفيه من الدية الثلثان . **قال أشهب** : وقد قضى أبو بكر الصديق رضي الله عنه في جائفة نافذة من الجنب الآخر بدية جائفتين ، **وقال عطاء ومالك والشافعي وأصحاب الرأي كلهم يقولون** : لا قصاص في الجائفة ، **قال ابن المنذر** : وبه نقول . واختلفوا في القود من اللطمة وشبهها ، فذكر البخاري عن أبي بكر وعليه وابن **الزبير وسويد بن مقرن رضي الله عنهم** : أنهم أقادوا من اللطمة وشبهها . **قال الليث** : إن كانت اللطمة في العين فلا قود فيها ، للخوف

---

[1] **صحيح** . أخرجه الدارمي (٢ / ١٩٣) والبيهقي (٨ / ٨٢) .

[2] **صحيح** . أخرجه الدارمي (٢ / ١٩٣) والبيهقي (٨ / ٨٣ ، ٨٥) .

على العين ، ويعاقبه السلطان وإن كانت على الخد ففيها القود ، **وقالت طائفة** : لا قصاص في اللطمة . **واحتج مالك في ذلك فقال** : ليس لطمة المريض الضعيف مثل لطمة القوي ، وليس العبد الأسود يلطم مثل الرجل ذي الحاجة والهيئة ، وإنما في ذلك كله الاجتهاد لجهلنا بمقدار اللطمة . واختلفوا في القود من ضرب السوط **فقال الليث والحسن** : يقاد منه ويزاد عليه للتعدي ، **وقال ابن القاسم** : يقاد منه ولا يقاد منه عند الكوفيين والشافعي إلا أن يجرح ، **قال الشافعي** : إن جرح السوط ففيه حكومة ، **وقال ابن المنذر** : وما أصيب به من سوط أو عصا أو حجر فكان دون النفس فهو عمد، وفيه القود وهذا قول جماعة من أصحاب الحديث . **وفي البخاري** : وأقاد عمر من ضربة بالدرة ، وأقاد علي بن أبي طاب من ثلاثة أسواط واقتص شريح من سوط وخموش ، **وقال ابن بطال** : حديث لد النبي ﷺ لأهل البيت حجة لمن القود في كل ألم وإن لم يكن جرح . واختلفوا في عقل جراحات النساء ، **ففي الموطأ عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول** : تعاقل المرأة الرجل إلى ثلث دية الرجل إصبعها وسنها كسنه وموضحتها كموضحته منقلتها كمنقلته ، **قال ابن بكير: قال مالك** : فإذا بلغت ثلث دية الرجل كانت على النصف من دية الرجل . **قالت طائفة** : دية المرأة على النصف من دية الرجل فيما قل أو كثر روينا هذا القول عن علي بن أبي طالب ، وبه قال الثوري والشافعي وأبو ثور والنعمان وصاحباه ، واحتجوا بأنهم لما أجمعوا على الكثير وهو الدية كان القليل مثله وبه نقول . **قال القاضي عبد الوهاب** : وكل ما فيه جمال منفرد عن منفعة أصلاً ففيه حكومة كالحاجبين وذهاب شعر اللحية وشعر الرأس وثديي الرجل وإليته . وصفة الحكومة أن يقوم المجنى عليه لو كان عبداً سليماً ثم يقوم مع الجناية فما نقص من ثمنه جعل جزءاً من ديته بالغاً ما بلغ ، **وحكاه ابن المنذر عن كل من يحفظ عنه من أهل العلم ، قال** : ويقبل فيه قول رجلين ثقتين من أهل المعرفة **وقيل** : بل يقبل قول عدل واحد ، والله سبحانه أعلم . قوله تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٦) أي جعلنا عيسى يقفو آثارهم أي آثار النبيين الذين أسلموا ، مصدقا لما بين يديه ، يعني التوراة فإنه رأى التوراة حقاً ورأى وجوب العمل بها إلى أن يأتي ناسخ مصدقا نصب على الحل من عيسى .

قول الله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة " "آمنوا " صدقوا " واتقوا "** أي الشرك والمعاصي **" لكفرنا عنهم " اللام جواب لو وكفرنا غطينا ، وإقامة التوراة والإنجيل العمل بمقتضاهما وعدم تحريفها . وقوله :** وما أنزل إليهم من ربهم ، أي القرآن . **وقيل** : كتب أنبيائهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . **قال ابن عباس وغيره** : يعني المطر والنبات وهذا يدل على أنهم كانوا في جدب . **وقيل** : المعنى لوسعنا عليهم في أرزاقهم وأكلوا أكلا متواصلاً وذكر فوق وتحت للمبالغة فيما يفتح عليهم من الدنيا ونظير هذه الآية : **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق:٢ ــ ٣)** .

قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧)** **قيل** : معناه أظهر التبليغ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفاً من المشركين ثم أمر بإظهاره في هذه الآية وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس ، **وكان عمر** رضي الله عنه **أول من أظهر إسلامه وقال** : لا نعبد الله سراً وفي ذلك نزلت : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:٦٤)** فدلت الآية على رد قول **من قال** : إن النبي ﷺ كتم شيئاً من أمر الدين تقية وعلى بطلانه وهم الرافضة .

وقيل : بلغ ما أنزل إليك من ربك في أمر زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ، وقيل غير هذا ، والصحيح القول بالعموم . **قال ابن عباس** : المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته ، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة لعلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته ، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه ، وفي صحيح من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه . وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : ((**من حدثك أن محمداً ﷺ كتم من الوحي فقد كذب ، والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** (٦٧) **قوله تعالى** : والله يعصمك من الناس ، دليل على نبوته لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم ، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئاً مما أمره الله به ، **وسبب نزول هذه الآية** : أن النبي ﷺ كان نازلاً تحت شجرة فجاء أعرابي فاخترط سيفه ، وقال للنبي ﷺ : **من يمنعك مني ؟ فقال : الله . فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثره دماغه .**[1]قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ** ﴾ (٧٠) المعنى في هذه الآية لا تأس على القوم الكافرين فإنا قد أعذرنا إليهم ، وأرسلنا الرسل فنقضوا العهود . قوله تعالى : ﴿**وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ (٧١) والمعنى ظن هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق أنه لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدائد **اغتراراً بقولهم** : نحن أبناء الله وأحباؤه وإنما اغتروا بطول الإمهال .

---

[1] **متفق عليه** . اللؤلؤ والمرجان ٢٠ / ١٦٢) ولفظ البخاري (٥ / ١٤٦ ــ ١٤٧) .

قوله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ (٧٢) هذا قول اليعقوبية فرد الله علم ذلك بحجة قاطعة مما يقرون به ، **فقال : وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** : أي إذا كان **المسيح يقول** : يا رب ويا الله **فكيف يدعوا نفسه أم كيف يسألها ؟ هذا محال ، من يشرك بالله ، قيل : وهو من قول عيسى** ، **وقيل** : ابتداء كلام من الله تعالى ، والإشراك أن يعتقد معه موجداً قوله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (٧٣) **قلت** : ثالث اثنين جاز التنوين وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية ؛ لأنه يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة ، وذلك أنهم يقولون : إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله . قوله تعالى : ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (٧٤) تقرير وتوبيخ ، أي فليتوبوا إليه وليسألوه ستر ذنوبهم ، والمراد الكفرة منهم . وإنما خص الكفرة بالذكر لأنهم القائلون بذلك دون المؤمنين . قوله تعالى : ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ (٧٥) ابتداء وخبر أي ما المسيح وإن ظهرت الآيات على يديه فإنما جاء بها كما جاءت بها الرسل فإن كان إلها فليكن كل رسول إلها، فهذا رد لقولهم واحتجاج عليهم ، ثم بالغ في الحجة ، **فقال** : وأمه صديقة ، ابتداء وخبر كانا يأكلان الطعام ، أي أنه مولود مربوب ، ومن ولدته النساء وكان يأكل الطعام مخلوق محدث كسائر المخلوقين ، ولم يدفع هذا أحد منهم فمتى يصلح الربوب لأن يكون رباً ؟

٦- سورة الأنعام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣﴾ الأنعام: ١ - ٣

٦ـ سورة الأنعام

قال ﷺ : ((**من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله : ويعلم ما تكسبون ، وكل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيء ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجاب ، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى : امشي في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك**))[1] .

قال العلماء : هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة ، لأنها في معنا واحد من الحجة ، وأن تصرف ذلك وجهة كثيرة ، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين ، لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية دون السور الأخرى .

قوله تعالى : **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (٢٥)** أفرد على اللفظ يعني المشركين كفار مكة ، وجعلنا على قلوبهم أكنة ، أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم ، والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان والأعنة والعنان كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه ، وأكننت الشيء أخفيته ، والكنانة معرفة والكنة بفتح الكاف والنون امرأة أبيك . قول الله تعالى : **﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)** النهي الزجر والنأي البعد، وهو عام في جميع

---

[1] **القرطبي** : (٦ / ٣٨٣) .

الكفار أي ينهون عن اتباع محمد ﷺ وينأون عنه عن ابن عباس والحسن ، **وقيل** : هو خاص بأبي ينهى الكفار عن إذاية محمد ﷺ ويتباعد عن الإيمان به .

قوله تعالى : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (٢٧) أي إذا وقفوا غداً و إذ قد تستعمل في موضع إذا وإذا في موضع إذ وما سيكون فكأنه كان ؛ لأن خبر الله تعالى حق وصدق **فلهاذ عبر بالماضي ومعنى إذ وقفوا حبسوا يقال** : وقفته وقفها فوقف وقوفاً وقرأ ابن السميقع إذ وقفوا بفتح الواو والقاف من الوقوف .

قول الله تعالى : **﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** (٢٨) بل إضراب عن تمنيهم وادعائهم الإيمان لو ردوا واختلفوا في معنى " **بدا لهم** " على أقوال بعد تعيين من المراد ، **فقيل** : المراد المنافقون لأن اسم الكفر مشتمل عليهم ، فعاد الضمير على بعض المذكورين . **وقيل** : المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا **يفطن بهم ضعفاؤهم فيظهر يوم القيامة ولهذا قال الحسن** : بدا لهم أي بدا **لبعضهم ما كان يخفيه عن بعض وقيل** : بل ظهر لهم ما كانوا يجحدونه من الشرك فيقولون الله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله جوراحهم فتشهد عليهم بالكفر **فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قاله أبو روق وقيل** : بدا لهم ما كانوا يكتمونه من الكفر، أي بدت أعمالهم السيئة .

قوله تعالى : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** (٣٠) وقفوا أي حبسوا " **على ربهم** " أي على ما يكنن من أمر الله فيهم ، **وقيل** : على بمعنى عند أي عند ملائكته وجزائه وحيث لا سلطان فيه لغير الله عز وجل ، **تقول** : وقفت على فلان أي عنده ، وجواب لو محذوف لعظم شأن الوقوف . قوله تعالى : **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾** (٣١) قيل :

بالبعث بعد الموت وبالجزاء دليله ، قوله عليه السلام : ((**من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**)) [1]أي لقي جزاءه لأن من غضب عليه لا يرى الله عند مثبتي الرؤية ، ذهب إلى هذا القفال وغيره . قوله تعالى : **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** (٣٣) **قال أبو ميسرة** : إن رسول الله ﷺ مر **بأبي جهل وأصحابه فقالوا** : يا محمد والله ما نكذبك وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية : **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** (٣٣) .

قوله تعالى : **﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** (٣٥) أي عظم عليك إعراضهم وتوليهم عن الإيمان ، **وقيل** : الخطاب له والمراد الأمة فإن قلوب المسلمين كانت تضيق من كفرهم وإذابتهم . قوله تعالى : **﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾** (٣٦) أي سماع إصغاء وتفهم وإرادة الحق ، وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به ويعملون ، قال معناه الحسن ومجاهد وتم الكلام.

قوله تعالى : **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** (٣٨) وأصله الصفة ، من دب يدب فهو داب إذا مشى مشياً تقارب خطو ، ولا طائر يطير بجناحيه ، بخفض طائر عطفاً على اللفظ . قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** (٣٩) ابتداء وخبر ، أي عدموا الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم ، فكل أمة من الدواب

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (٣ / ٣٣٤ ، ٢٣٥) وأحمد (١ / ٤٦٠ ، ٤ / ١٩٢) .

وغيرها تهتدي لمصالحها والكفار لا يهتدون ، **وقال أبو علي** : يجوز أن يكون المعنى صم وبكم في الآخرة فيكون حقيقة دون مجاز اللغة . قوله تعالى : **﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾** (٤١) بل إضراب عن الأول وإيجاب للثاني إياه نصب ب تدعون " **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** " أي يكشف الضر الذي تدعون إلى كشفه إن شاء كشفه " **وتنسون ما تشركون** " **قيل** : عند نزول العذاب ، **وقال الحسن** : أي تعرضون عنه إعراض الناسي ، وذلك لليأس من النجاة من قبله إذ لا ضرر فيه ولا نفع .

قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾** (٤٢) الآية تسلية للنبي ﷺ وفيه إضمار أي أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً ، **وفيه إضمار آخر يدل عليه الظاهر تقدره** : فكذبوا فأخذناهم ، وهذه الآية متصلة بما قبل اتصال الحال بحال قريبة منها ، وذلك أن هؤلاء سلكوا في مخالفة نبيهم مسلك من كان قبلهم في مخالفة أنبيائهم ، فكانوا بعرض أن ينزل بهم من البلاء ما نزل بمن كان قبلهم . قوله تعالى : **﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (٤٣) لولا تحضيض ، وهي التي تلي الفعل بمعنى هلا وهذا عتاب على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب . يجوز أن يكونوا تضرعوا تضرع من لم يخلص ، أو تضرعوا حين لابسهم العذاب ، والتضرع على هذه الوجوه غير نافع والدعاء مأمور به حال الرخاء والشدة . قوله تعالى : **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾** (٤٤) **يقال** : لم ذموا على النسيان وليس من فعلهم فالجواب ــ **أن نسوا بمعنى تركوا ما ذكروا به عن ابن عباس وابن جريج ، وهو قول أبي علي ، وذلك لأن التارك للشيء إعراضاً عنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي ، كما يقال : تركه في النسي جواب آخر** ــ وهو أنهم تعرضوا للنسيان فجاز الذم لذلك ، كما جاز الذم على التعرض لسخط الله **عز**

وجل وعقابه ومعنى : فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، أي من النعم والخيرات أي كثرنا لهم ذلك ، **والتقدير عند أهل العربية** : فتحنا عليهم أبواب **كل شيء كان مغلقاً عنهم** : حتى إذا فرحوا بما أوتوا ، معناه بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد وأنه دال على رضاء الله عز وجل عنهم " **أخذناهم بغتة** " أي استأصلناهم وسطونا بهم وبغتة معناه فجأة وهي الأخذ على غرة ومن غير تقدم أمارة فإذا أخذ الإنسان وهو غار غافل فقد أخذ بغتة ، وأنكى شيء ما يفجأ من البغت .

قوله تعالى : **﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** (٤٥) **الدابر الآخرة ، يقال : دبر القوم يدبرهم دبراً إذا كان آخرهم في المجيء .**

قوله تعالى : **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾** (٤٦) أي أذهب وانتزع ووحد سمعكم لأنه مصدر يدل على الجمع . **ثم قيل** : المراد المعاني القائمة بهذه الجوارح ، وقد يذهب الله الجوارح والأعراض جميعاً فلا يبقى شيئاً ، قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾** (النساء:٤٧) والآية احتجاج على الكفار

قوله تعالى : **﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾** (٤٧) بغتة ليلاً أو جهرة نهاراً ، **وقيل** : بغتة فجأة ، **وقال الكسائي** : **يقال** : بغتهم الأمر يبغتهم بغتاً وبغتة إذا أتاهم فجأة .

قوله تعالى : **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (٤٨) أي بالترغيب والترهيب ، **قال الحسن** : مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب والآخرة ، يدل على ذلك قوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (٩٦) قوله تعالى : **﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ**

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٠) فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترحتموه من الآيات ولا أعلم الغيب فأخبركم به ، والخزائة ما يخزن فيها الشيء . قوله تعالى : ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢) **قال المشركون** : ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء ـ **يعنون سلمان وصهيباً وبلالاً وخباباً** ـ فأطردهم عنك وطلبوا أن يكتب لهم بذلك فهم النبي ﷺ بذلك ودعا علياً ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فأنزل الله الآية . قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣) أي كما فتنا من قبلك كذلك فتنا هؤلاء ، والفتنة الاختبار ، أي عاملناهم معاملة المختبرين .

قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥٥) التفصيل التبيين الذي تظهر به المعاني والمعنى ، وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا ومحاجتنا مع المشركين كذلك نفصل لكم الآيات في كل ما تحتاجون إليه من أمر الدين ، ونبين لكم أدلتنا وحججنا في كل حق ينكره أهل الباطل . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) **قيل** : تدعون بمعمى تعبدون ، **وقيل** : تدعونهم في مهمات أموركم على جهة العبادة أراد بذلك الأصنام . قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧) أي دلالة ويقين وحجة وبرهان لا على هوى ومنه البينة لأنها تبين الحق وتظهره . قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨) أي من

العذاب لأنزلته بكم حتى ينقضي الأمر إلى آخره **والاستعجال** : تعجيل طلب الشيء قبل وقته .

قوله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (٦٠) أي ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون ، وليس بذلك موتا حقيقة بل هو قبض الأرواح التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت . والتوفي استيفاء الشيء . وتوفي الميت استوفى عدد أيام عمره ، والذي ينام كأنه استوفى حركاته في اليقظة . والوفاة الموت . وأوفيتك المال ، وتوفيته ، واستوفيته إذا أخذته أجمع .

قوله تعالى : **﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** (٦٣) أي شدائدهما ، **يقال** : يوم مظلم أي شديد . **قال النحاس** : **والعرب تقول** : يوم مظلم إذا كان شديداً ، فإن **عظمت ذلك قالت** : يوم ذو كواكب . قوله تعالى : **﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾** (٦٤) **قيل** : معناهما واحد مثل نجا وأنجيته ونجيته **وقيل** : التشديد للتكثير . **والكرب** : الغم يأخذ بالنفس ، **يقال منه** : رجل مكروب.

قوله تعالى : **﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)** (٦٦) أي بالقرآن . **قال الحسن** : لست بحافظ أعمالكم حتى أجازيكم عليها ، إنما أنا منذر وقد بلغت . قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (٧٤) تكلم العلماء في هذا ، **فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في النكت من التفسير له** : وليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارح . والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر . **وقيل** : آزر عندهم ذم في لغتهم ، **كأنه قال** : وإذ قال لأبيه يا مخطئ ،أتتخذ أصناما آلهة . قوله تعالى : **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾** (٧٦) أي ستره بظلمته ، ومنه الجنة

والجنة والجنة والجنين والمجن والجن كله بمعنى الستر. وجنان الليل ادلهمامه وستره . قول الله تعالى : **﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾** (٧٧) أي طالعاً . **يقال** : بزغ القمر إذا ابتدأ في الطلوع ، والبزغ الشق ، كأنه يشق بنوره الظلمة ، ومنه بزغ البيطار الدابة إذا أسال دمها . قوله تعالى : **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** (٧٩) أي قصدت بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل وحده . وذكر الوجه لأنه أظهر ما يعرف به الإنسان صاحبه .

قوله تعالى : **﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٨١) ففي كيف معنى الإنكار، أنكر عليهم تخويفهم إياه بالأصنام وهم لا يخافون الله عز وجل ، أي كيف أخاف مواتاً وأنتم لا تخافون الله القادر على كل شيء . قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) تلك إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خاصمهم وغلبهم بالحجة ، **وقيل : حجته عليهم أنهم لما قالوا له** : أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها ؟ **قال لهم** : أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة والتعظيم ، فيغضب الكبير فيخبلكم ؟.

قوله تعالى : **﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** (٨٧) من للتبعيض ، أي هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم . قوله تعالى : **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** (٩١) أي فيما وجب له واستحال عليه وجاز . **قال ابن عباس** : ما آمنوا أنه على كل شيء قدير . **وقال الحسن** : ما عظموه حق

عظمته . وهذا يكون من قولهم : لفلان قدر . **وقال أبو عبيدة** : أي ما عرفوا الله حق معرفته . **قال النحاس** : وهذا معنى حسن ، لأن معنى قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره . قول الله تعالى : **﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** (٩٤) هذه عبارة عن الحشر. **والمعنى** : جئتمونا واحداً واحداً، كل واحد منكم منفرداً بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر ممن كان يصاحبكم في الغي ، ولم ينفعكم ما عبدتم من دون الله . **وقيل** : عراة كما خرجتم من بطون أمهاتكم حفاة غرلاً بهماً ليس معهم شيء . **وقال العلماء** : يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد ، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه . **وهذا معنى قوله** : غرلاً أي غير مختونين ، أي يرد عليهم ما قطع منه عند الختان .

قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** (٩٥) عد من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شيء منه آلهتهم . **والفلق** : الشق ، أي يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقاً أخضر ، وكذلك الحبة . ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبة ، وهذا معنى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، عن الحسن وقتادة .

وقال ابن عباس و الضحاك : معنى فالق : خالق .

قول الله تعالى : **﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** (٩٦) نعت لاسم الله تعالى ، أي ذلكم الله ربكم فالق الإصباح . **وقيل** : المعنى إن الله فالق الإصباح . والصبح والصباح أول النهار وكذلك الإصباح ، أي فالق الصبح كل يوم ، يريد الفجر . والإصباح مصدر أصبح . **والمعنى** : شاق الضياء عن الظلام وكاشفه . **وقال الضحاك** : فالق الإصباح خالق النهار . قوله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** (٩٧) بين كمال قدرته ،

وفي النجوم منافع جمة . ذكر في هذه الآية بعض منافعها ، وهي التي ندب الشرع إلى معرفتها . قوله تعالى : **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾** (١٠٠) هذا ذكر نوع آخر من جهالاتهم ، أي فيهم من اعتقد لله شركاء من الجن . قوله تعالى : **﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** (١٠٣) بين سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث ، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد ، كما تدرك سائر المخلوقات ، والرؤية ثابتة .

قوله تعالى : **﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾** (١٠٤) أي آيات وبراهين يبصر بها ويستدل ، جمع بصيرة وهي الدلالة . ووصف الدلالة بالمجيء لتفخيم شأنها ، إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس ، **كما يقال** : جاءت العافية وقد انصرف المرض وأقبل السعود وأدبر النحوس . **والإبصار** : هو الإدراك بحاسة البصر ، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع . قوله تعالى : **﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** (١٠٦) يعني القرآن ، أي لا تشغل قلبك وخاطرك بهم ، بل اشتغل بعبادة الله . قوله تعالى : **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾** (١٠٧) نص على أن الشرك بمشيئته ، وهو إبطال لمذهب القدرية .

قوله تعالى : **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (١٠٨) نهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثانهم ، لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفراً . **قال ابن عباس** : قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه ، فنزلت الآية . **قال العلماء** : حكمها باق في هذه الأمة على كل حال ، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي عليه السلام أو الله عز وجل ،

فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية . وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بـالذين على معتقد الكفرة فيها .

قوله تعالى : **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾** (١٠٩) وأقسموا ، أي حلفوا . وجهد اليمين أشدها ، وهو بال له. **فقوله** : جهد أيمانهم أي غاية أيمانهم التي بلغها علمهم ، وانتهت إليها قدرتهم . وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم ، وأن هذه الآلهة إنما يعبدونها ظناً منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى.

قوله تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** (١١٢) يعزي نبيه ويسليه ، أي كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك "**عدوا**" أي أعداء . لكل نبي في موضع المفعول الثاني . شياطين الإنس والجن بدل من عدو. ويجوز أن يكون شياطين مفعولا أول ، عدواً مفعولا ثانياً ، **كأنه قيل** : جعلنا شياطين الإنس والجن عدواً .

قوله تعالى : **﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾** (١١٣) **تصغى** : تميل ، **يقال** : صغوت أصغو صغواً وصغواً وصغيت أصغى ، وصغيت بالكسر أيضاً . **يقال منه** : صغي يصغى صغىً وصغياً ، وأصغيت إليه إصغاء . قوله تعالى : **﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** (١١٤) **المعنى** : أفغير الله أطلب لكم حاكماً وهو الذي كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل ، أي المبين . **ثم قيل** : الحكم أبلغ من الحاكم ، إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق ، لأنها صفة تعظيم في مدح . والحاكم صفة جارية على الفعل ، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق ، **وقال عطاء** : **الذين آتيناهم الكتاب وهم**

رؤساء أصحاب محمد عليه السلام : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم . قول الله تعالى : ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (١١٥) **قال ابن عباس** : مواعيد ربك ، فلا مغير لها . والكلمات ترجع إلى العبارات أو إلى المتعلقات من الوعد والوعيد وغيرهما . **قال قتادة** : الكلمات هي القرآن لا مبدل له ، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون **وحكى الرماني عن قتادة** : لا مبدل لها فيما حكم به ، أي إنه وإن أمكنه التغيير والتبديل في الألفاظ كما غير أهل الكتاب التوراة والإنجيل فإنه لا يعتد بذلك . ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن ، لأنه حق لا يمكن تبديله بما يناقضه ، لأنه من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الأمور كلها .

قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ (**١٣٩**) هذا نوع آخر من جهلهم . **قال ابن عباس** : هو اللبن ، جعلوه حلالاً للذكور وحراماً على الإناث . **وقيل** : الأجنة ، **قالوا** : إنها لذكورنا . ثم إن مات منها شيء أكله الرجال والنساء . قوله تعالى : ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ (١٤٢) أي وأنشأ حمولة وفرشاً من الأنعام . **وللعلماء في الأنعام ثلاثة أقوال** : **أحدها** : أن الأنعام الإبل خاصة ، وسيأتي في النحل بيانه . **الثاني** : أن الأنعام الإبل وحدها وإذا كان معها بقر وغنم فهي أنعام أيضاً . **الثالث** : **وهو أصحها قاله أحمد بن يحيى** : الأنعام كل ما أحله الله عز وجل من الحيوان . ويدل على صحة هذا قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ (**المائدة:١**) قوله تعالى : ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (**الأنعام:١٤٣**) أي وأنشأ ثمانية أزواج ، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى كلوا

المباح ثمانية أزواج من الضأن اثنين . ونزلت الآية في مالك بن عوف **وأصحابه حيث قالوا** : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فنبه الله عز وجل نبيه والمؤمنين بهذه الآية على ما أحله لهم ، لئلا يكونوا بمنزلة من حرم ما أحله الله تعالى . والزوج خلاف الفرد ، **يقال** : زوج أو فرد . **كما يقال** : خساً أو زكاً ، شفع أو وتر . **فقوله** : ثمانية أزواج يعني ثمانية أفراد . وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً ، فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج . ويقع لفظ الزوج للواحد وللاثنين ، يقال هما زوجان ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيان وهما سواء . **وتقول** : اشتريت زوجي حمام وأنت تعني ذكراً وأنثى

قوله تعالى : **﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (١٤٥) أعلم الله عز وجل في هذه الآية بما حرم . **والمعنى** : قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرماً إلا هذه الأشياء ، لا ما تحرمونه بشهوتكم . والآية مكية . ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم غير هذه الأشياء ، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة . وزيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة والخمر وغير ذلك . وحرم رسول الله ﷺ بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع وكل مخلب من الطير

وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال : **الأول** : أن هذه الآية مكية ، وكل محرم حرمه رسول الله ﷺ أو جاء في الكتاب مضموم إليها ، فهو زيادة حكم من الله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام . على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر ، والفقه والأثر . ونظيره نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها مع قوله : **﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ**

مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء:٢٤) قال ابن خويز منداد : تضمنت هذه الآية تحليل كل شيء من الحيوان وغيره إلا ما استثنى في الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير . **ولهذا قلنا** : إن لحوم السباع وسائر الحيوان ما سوى الإنسان والخنزير مباح . **وقال الكيا الطبري** : وعليها بنى الشافعي تحليل كل مسكوت عنه ، أخذاً من هذه الآية ، إلا ما دل عليه الدليل . **وقيل** : إن الآية جواب لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصاً . وهذا مذهب الشافعي . **وقد روى الشافعي عن سعيد بن جبير أنه قال** : في هذه الآية أشياء سألوا عنها رسول الله ﷺ فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء . **وقيل** : أي لا أجد فيما أوحي إلي أي في هذه الحال حال الوحي ووقت نزوله ، ثم لا يمتنع حدوث وحي بعد ذلك بتحريم أشياء أخر . وزعم ابن العربي أن هذه الآية مدنية وهي مكية في قول الأكثرين ، نزلت على النبي ﷺ يوم نزل عليه : **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة:٣)** ولم ينزل بعدها ناسخ فهي محكمة ، فلا محرم إلا ما فيها ، وإليه أميل . **قلت** : وهذا ما رأيته قاله غيره .

قوله تعالى : **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** (١٤٦) لما ذكر الله عز وجل ما حرم على أمة محمد ﷺ عقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود ، لما في ذلك من تكذيبهم في **قولهم** : إن الله لم يحرم علينا شيئاً ، وإنما نحن حرمنا على أنفسنا ما حرمه إسرائيل على نفسه . وهذا التحريم على الذين هادوا إنما هو تكليف بلوى

وعقوبة . فأول ما ذكر من المحرمات عليهم كل ذي ظفر. قوله تعالى : **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾** (١٤٨) **قال مجاهد** : يعني كفار قريش . **قالوا** : **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾** يريد البحيرة والسائبة والوصيلة . أخبر الله عز وجل بالغيب عما سيقولونه ، وظنوا أن هذا متمسك لهم لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه . **والمعنى** : لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولاً فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما أحل لهم فينتهوا فاتبعناهم على ذلك . **فرد الله عليهم ذلك فقال** : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، أي أعندكم دليل على أن هذا كذا ؟.

قوله تعالى : **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (١٤٩) أي التي تقطع عذر المحجوج ، وتزيل الشك عمن نظر فيها . فحجته البالغة على هذا تبيينه أنه الواحد ، وإرساله الرسل والأنبياء ، فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات ، وأيد الرسل بالمعجزات ، ولزم أمره كل مكلف . فأما علمه وإرادته وكلامه فغيب لا يطلع عليه العبد ، إلا من ارتضى من رسول . ويكفي في التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به لأمكنه .

قوله تعالى : **﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** (١٥٠) أي قل لهؤلاء المشركين أحضروا شهداءكم على أن الله حرم ما حرمتم . و "**هلم**" كلمة دعوة إلى شيء ، ويستوي فيه الواحد والجماعة **والذكر والأنثى عند أهل الحجاز ، إلا في لغة نجد فإنهم يقولون** : هلما هلموا هلمي ، يأتون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال . وعلى لغة أهل الحجاز جاء القرآن ، قال الله تعالى : **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:١٨) يقول** : هلم أي احضر أو ادن .

وهلم الطعام ، أي هات الطعام . **والمعنى هاهنا** : هاتوا شهداءكم ، وفتحت الميم لالتقاء الساكنين ، **كما تقول** : رد يا هذا ، ولا يجوز ضمها ولا كسرها .

قوله تعالى : **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (١٥١) أي تقدموا واقرءوا حقاً يقيناً كما أوحى إلي ربي ، لا ظناً ولا كذباً كما زعمتم . **ثم بين ذلك فقال** : ألا تشركوا به شيئاً **يقال للرجل** : تعال أي تقدم ، وللمرأة تعالي ، وللاثنتين والاثنتين تعاليا ، ولجماعة الرجال تعالوا ، ولجماعة النساء تعالين .

قال الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (الأحزاب:٢٨)** وجعلوا التقدم ضرباً من التعالي والارتفاع ؛ لأن المأمور بالتقدم في أصل وضع هذا الفعل كأنه كان قاعداً فقيل له تعال ، أي ارفع شخصك بالقيام وتقدم ، واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماشي ، قاله ابن الشجري .

قوله تعالى : **﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** (١٥٢) أي بما فيه صلاحه وتثميره ، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه . وهذا أحسن الأقوال في هذا ، فإنه جامع .

قال مجاهد : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، بالتجارة فيه ، ولا تشتري منه ولا تستقرض .

قوله تعالى : حتى يبلغ أشده ، يعني قوته ، وقد تكون في البدن وقد تكون في المعرفة بالتجربة ، ولا بد من حصول الوجهين ، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة . وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة النساء مقيدة ، فقال : **﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى**

إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ (النساء:٦) فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح ، وبين قوة المعرفة وهو إيناس الرشد ، فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة لأذهبه في شهواته وبقي صعلوكاً لا مال له وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد الآباء لأبنائهم فكان الاهتبال بفقيد الأب أولى . وليس بلوغ الأشد يبيح قرب ماله بغير الأحسن ، لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة .

وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله ، **والمعنى** : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده .

وفي الكلام حذف ، فإذا بلغ أشده وأونس منه الرشد فادفعوا إليه ماله . واختلف العلماء في أشد اليتيم ، **فقال ابن زيد** : بلوغه ، **وقال أهل المدينة** : بلوغه وإيناس رشده .

قوله تعالى : **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)** هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم ، فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله ، فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف . وأن في موضع نصب ، **أي** : وأتل أن هذا صراطي ، عن الفراء والكسائي .

قوله تعالى : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١٥٨)** معناه أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا ، فماذا ينتظرون .

هل ينظرون إلا أن **تأتيهم الملائكة** : أي عند الموت لقبض أرواحهم . **كذلك هنا** : يأتي أمر ربك، أي عقوبة ربك وعذاب ربك .

٧- سورة الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الأعراف: ١-٥

٧ـ سورة الأعراف

قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) يعني الكتاب والسنة . قال الله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧) **قالت فرقة :** هذا أمر يعم النبي ﷺ وأمته . والظاهر أنه أمر لجميع الناس دونه ، أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن ، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وامتثلوا أمره ، واجتنبوا نهيه . ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص . قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (٤) كم للتكثير ، كما أن رب للتقليل وهي في موضع رفع بالابتداء، وأهلكنا الخبر. أي من القرى ــ **وهي مواضع اجتماع الناس** ــ أهلكناها .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم:٢٦) **قيل** : إن الهلاك واقع ببعض القوم ، **فيكون التقدير** : وكم من قرية أهلكنا بعضها فجاءها بأسنا فأهلكنا الجميع **وقيل : المعنى وكم من قرية أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا . قيل** : أهلكناها بإرسالنا ملائكة العذاب إليها ، فجاءها بأسنا وهو الاستئصال . **قيل** : المعنى أهلكناها فكان إهلاكنا إياهم في وقت كذا، فمجيء البأس على هذا هو الإهلاك .

قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) دليل على أن الكفار يحاسبون . وفي التنزيل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (الغاشية:٢٦) .

وفي سورة القصص : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص:٧٨) يعني إذا استقروا في العذاب . **والآخرة**

مواطن : موطن يسألون فيه للحساب . وموطن لا يسألون فيه . وسؤالهم سؤال تقرير وتوبيخ وإفضاح . وسؤال الرسل سؤال استشهاد بهم وإفصاح ، أي عن جواب القوم لهم . وهو معنى قوله : ﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ (الأحزاب:٨) **وقيل : المعنى** : ﴿ **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ أي الأنبياء ، ﴿ **وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ أي : الملائكة الذين أرسلوا إليهم
قوله تعالى : ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (٨) **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ (٨ ـ٩) موازينه جمع ميزان ، وأصله موزان ، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . **وقيل** : يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله . ويمكن أن يكون ذلك ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع ، **كما تقول** : خرج فلان إلى مكة على البغال ، وخرج إلى البصرة في السفن .

قال ابن عباس : توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان ، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته ، فذاك قوله : ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (**المؤمنون:١٠٢**) ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه حتى يقع في النار . **وما أشار إليه ابن عباس قريب مما قيل** : يخلق الله تعالى كل جزء من أعمال العباد جوهراً فيقع الوزن على تلك الجواهر **قال حذيفة** : صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، **يقول الله تعالى** : يا جبريل زن بينهم فرد من بعض على بعض . **قال** : وليس ثم ذهب ولا فضة ، فإن كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتحمل على الظالم ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال . وروي عن النبي ﷺ : ((**أن الله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم ابرز إلى جانب الكرسي عند الميزان ، وانظر ما يرفع إليك من أعمال بنيك**

فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله الجنة ، ومن رجح شره على خيره مثال حبة فله النار حتى تعلم أني لا أعذب إلا ظالماً)) .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ (١١) أي ثم صورناكم أي خلقناكم نطفاً ثم صورناكم ، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . **وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما** : المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره . **قيل** : المعنى ولقد خلقناكم يعني آدم عليه السلام ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم على التقديم والتأخير . **وقيل** : ولقد خلقناكم يعني آدم ، ذكر بلفظ الجمع لأنه أبو البشر . ثم صورناكم راجع إليه أيضاً . **كما يقال** : نحن قتلناكم ، أي قتلنا سيدكم **وقيل** : المعنى ولقد خلقناكم ، يريد آدم وحواء ، فآدم من التراب قوله تعالى : ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ (١٢) **فكأنه قال** : من قال لك ألا تسجد ؟ أو من دعاك إلى ألا تسجد ؟ **كما تقول** : قد قلت لك ألا تفعل كذا . **وقيل** : في الكلام حذف ، **والتقدير** : ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى ألا تسجد . **قال العلماء : الذي أحوجه إلى ترك السجود هو الكبر والحسد** : وكان أضمر ذلك في نفسه إذا أمر بذلك . وكان أمره من قبل خلق آدم ، يقول الله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ** ﴾ فكأنه دخله أمر عظيم من قوله : **فقعوا له ساجدين** . فإن في الوقوع توضيع الواقع وتشريفاً لمن وقع له فأضمر في نفسه ألا يسجد إذا أمره في ذلك الوقت . فلما نفخ فيه الروح وقعت الملائكة سجداً ، وبقي هو قائماً بين أظهرهم، فأظهر بقيامه وترك السجود ما في ضميره . **فقال الله تعالى** : ما منعك أن لا تسجد ، **أي** : ما منعك من الانقياد لأمري .

قالت الحكماء : أخطأ عدو الله من حيث فضل النار على الطين ، وإن كانا في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق . فإن الطين أفضل من النار من وجوه أربعة : **أحدها** : أن من جوهر الطين الرزانة والسكون ، والوقار والأناة ،

والحلم والحياء ، والصبر. وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع ، فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية . ومن جوهر النار الخفة ، والطيش ، والحدة ، والارتفاع ، والاضطراب . وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء ، **الثاني** : أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر ، ولم ينطق الخبر بأن في الجنة نار وأن في النار ترابا ً. **الثالث** : أن النار سبب العذاب ، وهي عذاب الله لأعدائه ، وليس التراب سبباً للعذاب . **الرابع** : أن الطين مستغن عن النار ، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب . قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ (١٣) أي من السماء . فما يكون لك أن تتكبر فيها ؛ لأن أهلها الملائكة المتواضعون فاخرج إنك من الصاغرين ، أي من الأذلين . ودل هذا أن من عصى مولاه فهو ذليل . **وقال أبو روق والبجلي** : فاهبط منها أي من صورتك التي أنت فيها لأنه افتخر بأنه من النار فشوهت صورته بالإظلام وزوال إشراقه .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** ﴾ (١٥) أي أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم . وكان طلب الأنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين ، فأبى الله ذلك عليه . **وقال** : إلى يوم يبعثون ، ولم يتقدم ذكر من يبعث لأن القصة في آدم وذريته ، فدلت القرينة على أنهم هم المبعوثون . قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (١٦) الإغواء إيقاع الغي في القلب ، أي : فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار. وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل ، بل هو كفر عناد واستكبار. **قيل** : معنى الكلام القسم أي فبإغوائك إياي لأقعدن لهم على صراطك ، أو في صراطك ، فحذف . دليل هذا القول قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ (**ص:٨٢**) فكأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لما فيه من التسليط على العباد،

فأقسم به إعظاماً لقدره عنده . **وقيل** : الباء بمعنى اللام ، كأنه ، **قال** : فلإغوائك إياي ، **وقيل** : هي بمعنى مع ، والمعنى فمع إغوائك إياي . **وقيل** : هو استفهام كأنه سأل بأي شيء أغواه . ومذهب أهل السنة أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر ، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى . وهو الحقيقة ، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له ، صادر عن إرادته تعالى . وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زينه لهم ، **ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون** : أخطأ إبليس ، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك . **فيقال لهم** : وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم . وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه : **﴿ وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (هود: ٣٤)** .

وقد روي أن طاوساً : جاءه رجل في المسجد الحرام ، وكان مهتماً بالقدر ، **وكان من الفقهاء الكبار** ، **فجلس إليه فقال له طاووس** : تقوم أو تقام ؟ **فقيل طاووس** : تقول هذا لرجل فقيه ! **فقال** : **إبليس أفقه منه** ، **يقول إبليس** : رب بما أغويتني . **ويقول هذا** : أنا أغوي نفسي .

قوله تعالى : **﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** (١٨) أي من الجنة . مذؤوما مدحورا . مذؤوماً أي مذموماً . **والذأم** : العيب ، بتخفيف الميم . **ومعنى** : **منكم أجمعين** : أي منكم ومن بني آدم ، لأن **ذكرهم قد جرى إذ قال** : ولقد خلقناكم ، خاطب ولد آدم . **قال لآدم بعد إخراج إبليس من موضعه من السماء** : اسكن أنت وحواء الجنة . وقد تقدم في البقرة معنى الإسكان ، فأغنى عن إعادته .

قوله تعالى : **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾** (٢٠) **قيل** : داخل الجنة بإدخال الحية إياه . **وقيل** : من خارج ،

بالسلطنة التي جعلت له . **والوسوسة** : الصوت الخفي . **والوسوسة** : حديث النفس ، **يقال** : وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً **(بكسر الواو)** . **والوسواس (بالفتح)** : اسم ، مثل الزلزال . **ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحلي** : وسواس . **قال الحسن** : فضل الله الملائكة بالصور والأجنحة والكرامة . **وقال غيره** : فضلهم جل وعز بالطاعة وترك المعصية ، فلهذا يقع التفضيل في كل شيء . **وقال ابن فورك** : لا حجة في هذه الآية ، لأنه يحتمل أن يريد ملكين في ألا يكون لهما شهوة في طعام . واختيار ابن عباس والزجاج وكثير من العلماء تفضيل المؤمنين على الملائكة . **وقال الكلبي** : فضلوا على الخلائق كلهم ، غير **طائفة من الملائكة** : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ؛ لأنهم من جملة رسل الله . وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة ، والفضل بيد الله .

قوله تعالى : **﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** (٢١) أي حلف لهم . يقال أقسم إقساما ، أي حلف ، ومعنى الكلام: اتبعاني أرشدكما . قوله تعالى : **﴿فَدلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾** (٢٢) أوقعهما في الهلاك . **قال ابن عباس** : غرهما بآثمين . وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً ، فغرهما بوسوسته وقسمه لهما . **وقال قتادة** : حلف بالله لهما حتى خدعهما . وقد يخدع المؤمن بالله . **كان بعض العلماء يقول** : من خادعنا بالله خدعنا . **وقيل** : دلاهما أي دللهما ، من الدالة وهي الجرأة . أي جرأهما على المعصية فخرجا من الجنة . قوله تعالى : **﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾** (٢٢) **قال ابن عباس** : هو ورق التين ، ويروى أن آدم عليه السلام لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسل

منها ورقة يغطي بها عورته ، فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة . فطفقا يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التي بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة ، وأعطاه ثمرتين في عام واحد مرتين . وفي الآية دليل على قبح كشف العورة ، وأن الله أوجب عليهما الستر ، ولذلك ابتدرا إلى سترها ، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة ، كما قيل لهما ولا تقربا هذه الشجرة . وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك، لأنه سترة ظاهرة يمكنه التستر بها، كما فعل آدم في الجنة . قوله تعالى : ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (٢٣) قالا ربنا نداء مضاف . والأصل يا ربنا . **وقيل** : إن في حذف يا معنى التعظيم . فاعترفا بالخطيئة وتابا صلى الله عليهما وسلم وقد مضى في البقرة . قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (٢٦) **قال كثير من العلماء : هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة ؛ لأنه قال : يواري سوآتكم . وقال قوم** : إنه ليس فيها دليل على ما ذكروه ، بل فيها دلالة على الإنعام فقط . ومن جملة الإنعام ستر العورة ، فبين أنه سبحانه وتعالى جعل لذريته ما يسترون به عوراتهم ، ودل على الأمر بالتستر . ولا خلاف بين العلماء في وجوب ستر العورة عن أعين الناس . واختلفوا في العورة ما هي ؟ **فقال ابن أبي ذئب** : هي من الرجل الفرج نفسه ، القبل والدبر دون غيرهما . **قال مالك** : السرة ليست بعورة، وأكره للرجل أن يكشف فخذه بحضرة زوجته . **وقال أبو حنيفة** : الركبة عورة . **وقال الشافعي** : ليست السرة ولا الركبتان من العورة على الصحيح .

قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٢٧) . أي : لا يصرفنكم الشيطان

عن الدين ، كما فتن أبويكم بالإخراج من الجنة . قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ (٢٩) **قال ابن عباس** : لا إله إلا الله . **وقيل** : **القسط** : العدل ، أي أمر بالعدل فأطيعوه . قوله تعالى : ﴿ **فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ (٣٠) **قال** : من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة ، وإن عمل بأعمال أهل الهدى . ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى ، وإن عمل بأعمال أهل الضلالة . ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة ، وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة ، ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه .

قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (٢٦) هو خطاب لجميع العالم ، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً ، فإنه عام في كل مسجد للصلاة ؛ لأن العبرة للعموم لا للسبب . ومن العلماء من أنكر أن يكون المراد به الطواف ؛ لأن الطواف لا يكون إلا في مسجد واحد ، والذي يعم كل مسجد هو الصلاة . **وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة** . **وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال** : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة **وتقول** : من يعيرني تطوافاً ؟ تجعله على فرجها . **وتقول** : اليوم يبدو بعضه أو كله ، وما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الآية : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (٣١) .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (٣٢) بين أنهم حرموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرمه الله عليهم . والزينة هنا الملبس الحسن ، إذا قدر عليه صاحبه . **وقيل** : جميع الثياب ، كما **روي عن عمر** : إذا وسع الله عليكم فأوسعوا . وكان مالك بن دينار يلبس الثياب

العدنية الجياد . وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار . أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب . **ويقول :** ولباس التقوى ذلك خير هيهات ! أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى ، لا والله! بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والنهى ، وغيرهم أهل دعوى ، وقلوبهم خالية من التقوى . **قال أبو الفرج :** وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة ، لا المترفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان ، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً . وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر ، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى ، ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه منهي عنه . **فإن قال قائل :** تجويد اللباس هوى النفس وقد أمرنا بمجاهدتها ، وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب ليس كل ما تهواه النفس يذم، وليس كل ما يتزين به للناس يكره ، وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه أو على وجه الرياء في باب الدين . فإن الإنسان يجب أن يرى جميلاً . وذلك حظ للنفس لا يلام فيه . ولهذا يسرح شعره وينظر في المرآة ويسوي عمامته ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يذم . **عن عائشة قالت :** كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب ، فخرج يريدهم ، وفي الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته وشعره **فقلت :** يا رسول الله ، وأنت تفعل ذلك ؟ **قال :** نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال .

عن خالد بن معدان قال : ((**كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل**)) [1]. **وعن ابن جريج :** مشط عاج يتمشط به . **قال ابن سعد : وأخبرنا قبيصة بن عقبة قال :** حدثنا سفيان عن ربيع بن صبيح عن يزيد

---

[1] **القرطبي :** (٧ / ١٩٨) .

الرقاشي عن أنس بن مالك قال : ((**كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرح لحيته بالماء**)) [1]أخبرنا يزيد بن هارون حدثنا عباد بن منصور عن عكرمة **عن ابن عباس قال** : كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين . **وقد اختلف في ترك الطيبات والإعراض عن اللذات ، فقال قوم** : ليس ذلك من القربات ، والفعل والترك يستوي في المباحات . **وقال آخرون** : ليس قربة في ذاته ، وإنما هو سبيل إلى الزهد في الدنيا ، وقصر الأمل فيها ، وترك التكلف لأجلها ، وذلك مندوب إليه ، والمندوب قربة . **وقال آخرون** : **ونقل عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله** : لو شئنا لاتخذنا صلاءً وصلائق وصناباً ولكني سمعت الله تعالى يذم أقواماً فقال : ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ** ﴾ **(الأحقاف: ٢٠)** .

قوله تعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ **(٣٤)** أي : وقت مؤقت . فإذا جاء أجلهم ، أي : الوقت المعلوم عند الله عز وجل . لا يستأخرون عنه ساعة ولا أقل من ساعة ، إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات . وأجل الموت هو وقت الموت ، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله . وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له . وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة . وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه ، لا من حيث إنه ليس مقدوراً تأخيره .

قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ **(٣٥)** أخبر أنه يرسل إليهم الرسل منهم لتكون إجابتهم أقرب . والقصص إتباع الحديث بعضه بعضاً . قوله تعالى

---

[1] **صحيح** . أخرجه ابن سعد (١ / ٢ / ١٧٠) والصحيحة (٧٢٠) .

: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٣٧) المعنى أي ظلم أشنع من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بآياته . أي ما كتب لهم من رزق وعمر وعمل . **وقيل** : الكتاب اللوح المحفوظ . **ذكر الحسن بن علي الحلواني قال** : أملى علي **علي بن المديني قال : سألت عبد الرحمن بن مهدي عن القدر فقال لي** : كل شيء بقدر ، والطاعة والمعصية بقدر ، **وقد أعظم الفرية من قال** : إن المعاصي ليست بقدر . **قال علي وقال لي عبد الرحمن بن مهدي** : العلم والقدر والكتاب سواء . ثم عرضت كلام عبد الرحمن بن مهدي على يحيى بن سعيد **فقال** : لم يبق بعد هذا قليل ولا كثير . **عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال** : قوم يعملون أعمالاً لا بد لهم من أن يعملوها . وحتى ليست غاية ، بل هي ابتداء خبر عنهم.

قوله تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨) أي مع أمم ، ففي بمعنى مع . وهذا لا يمتنع ؛ **لأن قولك** : زيد في القوم ، **أي مع القوم وقيل** : هي على بابها . أي ادخلوا في جملتهم . والقائل **قيل** : هو الله عز وجل ، أي قال الله ادخلوا . **وقيل** : هو مالك خازن النار.

قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦) أي بين النار والجنة ــ لأنه جرى ذكرهما ــ حاجز، أي سور.

****

٨- سورة الأنفال



﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنفال: ١ - ٣

٨ ـ سورة الأنفال

قوله تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (١) **أمر بالتقوى والإصلاح ، أي كونوا مجتمعين على أمر الله في الدعاء** : اللهم أصلح ذات البين ، أي الحال التي يقع بها الاجتماع . فدل هذا على التصريح بأنه شجر بينهم خلاف . وتقدم معنى التقوى ، أي اتقوا الله في أقوالكم وأفعالكم .

قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (٢) **قال العلماء** : هذه الآية تحريض على إلزام طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به من قسمة تلك الغنيمة . **والوجل** : الخوف . قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ (٣) أي الذي استوى في الإيمان ظاهرهم وباطنهم . ودل هذا على أن لكل حق حقيقة ، وقد قال عليه السلام لحارثة : ((**إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك**))[1]**وسأل رجل الحسن فقال** : يا أبا سعيد، أمؤمن أنت ؟ **فقال له** : الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا به مؤمن . قوله تعالى : ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾ (٥) أي الأنفال ثابتة لك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق . أي مثل إخراجك ربك من بيتك بالحق . **والمعنى** : امض لأمرك في الغنائم ونفل من شئت وإن كرهوا ، لأن بعض الصحابة قال لرسول الله ﷺ حين جعل لكل من أتى بأسير شيئاً ، **قال** : يبقى أكثر الناس بغير شيء . **قال سعيد بن مسعدة** : المعنى أولئك هم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بيتك بالحق . **قال : وقال بعض العلماء** : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .

---

[1] **تفسير** ابن كثير : (٣ / ٥٥٣) .

قوله تعالى : ﴿ **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** ﴾ (٦) **مجادلتهم** : قولهم لما ندبهم إلى العير وفات العير وأمرهم بالقتال ولم يكن معهم كبير أهبة شق ذلك عليهم ، **وقالوا** : لو أخبرتنا بالقتال لأخذنا العدة ومعنى في الحق أي في القتال . بعد ما تبين لهم أنك لا تأمر بشيء إلا بإذن الله . **وقيل** : بعد ما تبين لهم أن الله وعدهم إما الظفر بالعير أو بأهل مكة وإذ فات العير فلا بد من أهل مكة والظفر بهم . فمعنى الكلام الإنكار لمجادلتهم قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٧) **الشوكة** : السلاح . **والشوك** : انبت الذي له حد . ومنه رجل شائك السلاح ، أي حديد السلاح . **ثم يقلب فيقال** : شاكي السلاح . أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب . قوله تعالى : ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ (٨) أي يظهر دين الإسلام ويعزه . وإبطاله إعدامه ، كما أن إحقاق الحق إظهاره . قوله تعالى : ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ (٩) **الاستغاثة** : طلب الغوث والنصر . **غوث الرجل قال** : واغوثاه . والاسم الغوث والغواث والغواث واستغاثني فلان فأغثته ، **والاسم** : الغياث . **عن عمر بن الخطاب** ﷺ **قال** : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، **فجعل يهتف بربه** : اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم ائتني ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض . فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، **وقال** : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى :﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ (٩) فأمده الله بالملائكة .

قوله تعالى : ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ (١١) **قيل** : أمنة من العدو . وأمنة مفعول من أجله أو مصدر ، **يقال** : أمن أمنة وأمنا وأمانا ، كلها سواء . والنعاس حالة الآمن الذي لا يخاف . وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها ، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم ، ولكن الله ربط جأشهم .

قال ابن أبي نجيح : كان المطر قبل النعاس . **وحكى الزجاج** : أن الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه ، وبقي المؤمنون لا ماء لهم ، فوجست نفوسهم وعطشوا وأجنبوا وصلوا كذلك ، **فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم** : نزعم أنا أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء . فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية فشربوا وتطهروا وسقوا الظهر وتلبدت السبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال . قوله تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ (١٢) العامل في إذ ، يثبت أي يثبت به الأقدام ذلك الوقت . **وقيل** : العامل ليربط أي وليربط إذ يوحي **والمعنى** : بأني معكم ، أي بالنصر والمعونة . قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (١٣) **الشقاق** : أن يصير كل واحد في شق .

قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (١٤) **قال الزجاج** : ذلكم رفع بإضمار الأمر أو القصة ، أي الأمر ذلك فذوقوه . ويجوز أن يكون في موضع نصب بذوقوا ، **كقولك** : زيداً فاضربه . ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين . وأن في موضع رفع عطف على ذلكم . **قال الفراء** : ويجوز أن يكون في موضع نصب بمعنى وبأن للكافرين . **قال** : ويجوز أن يضمر ، **قال**

الزجاج : لو جاز إضمار واعلموا لجاز زيد منطلق وعمراً جالساً ، بل كان يجوز في الابتداء زيداً منطلقاً ، لأن المخبر معلم ، وهذا لا يقوله أحد من النحويين .

قوله **تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ﴾ (١٥) الزحف الدنو قليلاً قليلاً . وأصله الاندفاع على الآلية ، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفاً . **والتزاحف** : التداني والتقارب ، **يقال** : زحف إلى العدو زحفاً . وازدحف القوم ، أي مشى بعضهم إلى بعض . ومنه زحاف الشعر ، وهو أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر . **يقول** : إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم ولا تعطوهم أدباركم . حرم الله ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار . **قال ابن عطية** : والأدبار جمع دبر . والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة ؛ لأنها بشعة على الفار ، ذامة له .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ (١٦) **قال** : ويجوز الفرار من أكثر من ضعفهم ، وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً ، فإن بلغ اثني عشر ألفاً لم يحل لهم الفرار وإن زاد عدد المشركين على الضعف ، لقول رسول الله ﷺ : ((**ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة**)) [1]فإن أكثر أهل العلم خصصوا هذا العدد بهذا الحديث من عموم الآية.

قوله تعالى : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (١٧) أي يوم بدر روي أن أصحاب رسول الله ﷺ لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل : **قتلت كذا** ، فعلت كذا ، فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك . فنزلت الآية إعلاماً

---

[1] **جامع المسانيد** : (٢ / ٢٦٤) .

بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الأشياء ، وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده . وهذه الآية ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم . **فقيل** : المعنى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم . **وقيل** : ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم . **واختلف العلماء في هذا الرمي على أربعة أقوال** : **لأول** : أن هذا الرمي إنما كان في حصب رسول الله ﷺ يوم حنين ، رواه ابن وهب عن مالك . **قال مالك** : ولم يبق في ذلك اليوم أحد إلا وقد أصابه ذلك .

الثاني : أن هذا كان يوم أحد حين رمى أبي بن خلف بالحربة في عنقه ، فكر أبي منهزماً . **فقال له المشركون** : والله ما بك من بأس . **فقال** : والله لو بصق علي لقتلني . **أليس قد قال** : بل أنا أقتله . وكان قد أوعد أبي رسول الله ﷺ بالقتل بمكة ، **فقال له رسول الله** ﷺ : بل أنا أقتلك فمات عدو الله من ضربة رسول الله ﷺ في مرجعه إلى مكة ، بموضع يقال له سرف . **قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب** : لما كان يوم أحد أقبل أبي مقنعاً في **الحديد على فرسه يقول** : لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله . **قال موسى بن عقبة قال : سعيد بن المسيب** : فاعترض له رجال من المؤمنين ، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا طريقه ، فاستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله ﷺ ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة البيضة والدرع ، فطعنه بحربته فوقع أبي عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم . **قال سعيد** : فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال : **ففي ذلك نزل** : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

الثالث : أن المراد السهم الذي رمى به رسول الله ﷺ في حصن خيبر ، فسار في الهواء حتى أصاب ابن أبي الحقيق وهو على فراشه . وهذا أيضاً فاسد وخيبر وفتحها أبعد من أحد بكثير . والصحيح في صورة قتل ابن أبي الحقيق غير هذا . **الرابع** : أنها كانت يوم بدر ، قاله ابن إسحاق . وهو أصح ؛ لأن

السورة بدرية ، **وذلك أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ** : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة .

قوله تعالى : **﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨) المعنى** : أن الله عز وجل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يتشتتوا ويتفرق جمعهم فيضعفوا . **والكيد** : المكر . قوله تعالى : **﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩)** شرط وجوابه . **وفيه ثلاثة أقوال** : يكون خطاباً للكفار ؛ لأنهم استفتحوا فقالوا : **اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه** . وكان هذا القول منهم وقت خروجهم لنصرة العير . **وقيل** : قاله أبو جهل وقت القتال . **وقال النضر بن الحارث** : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . وهو ممن قتل ببدر . **والاستفتاح** : طب النصر أي : قد جاءكم الفتح ولكنه كان للمسلمين عليكم . **أي** : فقد جاءكم ما بان من الأمر، وانكشف لكم الحق . قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٢٠)** الخطاب للمؤمنين المصدقين . أفردهم بالخطاب دون المنافقين إجلالاً لهم. جدد الله عليهم الأمر بطاعة الله والرسول ، ونهاهم عن التولي عنه . هذا قول الجمهور . **وقالت فرقة** : الخطاب بهذه الآية إنما هو للمنافقين . **والمعنى** : يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم فقط . قوله تعالى : **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (٢١)** أي كاليهود أو المنافقين أو المشركين . وهو من سماع الأذن . **وهم لا يسمعون** : أي لا يتدبرون ما سمعوا ، ولا يفكرون فيه ، فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق . نهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم . **فدلت الآية على أن قول المؤمن** : سمعت وأطعت ، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله . فإذا قصر في الأوامر فلم يأتها ، واعتمد النواهي فاقتحمها فأي سمع عنده وأي

طاعة ! وإنما يكون حينئذ بمنزلة المنافق الذي يظهر الإيمان ، ويسر الكفر ، وذلك هو المراد بقوله : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١) يعني بذلك المنافقين ، أو اليهود أو المشركين .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٢٣) **قيل** : الحجج والبراهين ، إسماع تفهم . ولكن سبق علمه بشقاوتهم "ولو أسمعهم" أي لو أفهمهم لما آمنوا بعد علمه الأزلي بكفرهم . **وقيل** : المعنى لأسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا إحياءهم ، لأنهم طلبوا إحياء قصي بن كلاب وغيره ليشهدوا بنبوة محمد ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين بلا خلاف . **والاستجابة : الإجابة : و"يحييكم"** أصله يحييكم ، حذفت الضمة من الياء لثقلها . ولا يجوز الإدغام . **قال أبو عبيدة** : معنى استجيبوا أجيبوا ، ولكن عرف الكلام أن يتعدى استجاب بلام ، ويتعدى أجاب دون لام . قال الله تعالى : **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف:٣١) والمعنى** : استجيبوا لما يحييكم إذا دعاكم .

وقيل : اللام بمعنى إلى ، أي إلى ما يحييكم ، أي يحيي دينكم ويعلمكم . **وقي** : أي إلى ما يحيي به قلوبكم فتوحدوه ، وهذا إحياء مستعار ، لأنه من موت الكفر والجهل . **وقال مجاهد والجمهور** : المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ، ففيه الحياة الأبدية ، والنعمة السرمدية ، **وقيل** : المراد بقوله لما يحييكم الجهاد ، فإنه سبب الحياة في الظاهر ، لأن العدو إذا لم يغز غزا ، وفي غزوه الموت ، والموت في الجهاد الحياة الأبدية ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) **قيل** : إنه يقتضي النص منه على خلقه تعالى الكفر والإيمان فيحول بين

المرء الكفار وبين الإيمان الذي أمره به ، فلا يكتسبه إذا لم يقدره عليه بل أقدره على ضده وهو الكفر . وهكذا المؤمن يحول بينه وبين الكفر . **فبان بهذا النص أنه تعالى خالق لجميع اكتساب العباد خيرها وشرها . وهذا معنى قوله عليه** السلام : ((**لا ، ومقلب القلوب**)) [1]**وكان فعل الله تعالى ذلك عدلاً فيمن أضله وخذله ، إذ لم يمنعهم حقاً وجب عليه فتزول صفة العدل** ، وإنما منعكم ما كان له أن يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم .

قال السدي : يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن إلا بإذنه، ولا يكفر أيضاً إلا بإذنه ، أي بمشيئته . والقلب موضع الفكر . وهو بيد الله ، متى شاء حال بين العبد وبينه بمرض أو آفة كيلا يعقل . أي بادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكنوا منها بزوال العقل .

وقال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع . وفي التنزيل : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ **(ق:٣٧)** أي : **عقل** . **وقيل** : يحول بينه وبينه بالموت ، فلا يمكنه استدراك ما فات . **وقيل** : خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً ، ويبدل عدوهم من الأمن خوفاً . **قيل** : المعنى يقلب الأمور من حال إلى حال ، وهذا جامع ، واختيار الطبري أن يكون ذلك إخباراً من الله عز وجل بأنه أملك لقلوب العباد منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (٢٦) نزلت في المهاجرين ، يعني وصف حالهم قبل الهجرة وفي ابتداء الإسلام . "**وأيدكم** **قواكم** . "**بنصره**" أي : **بعونه** . **وقيل** : بالأنصار . **وقيل** : بالملائكة يوم بدر .

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (ح / ٦٦٢٨) ومالك في (النذور ، ح / ١٥) .

روي أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بني قريظة بالذبح . **قال أبو لبابة** : والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله ، فنزلت هذه الآية . فلما نزلت شد نفسه إلى سارية من سواري المسجد ، **وقال** : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت ، أو يتوب الله علي . **وعن عكرمة قال** : لما كان شأن قريظة بعث النبي ﷺ علياً رضي الله عنه فيمن كان عنده من الناس ، فلما انتهى إليهم وقعوا في رسول ﷺ ، وجاء جبريل عليه السلام على فرس أبلق فقالت عائشة رضي الله عنها : فلكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليهما السلام ، **فقلت** : هذا دحية يا رسول الله ؟ **فقال** : هذا جبريل عليه السلام . **قال** : يا رسول الله ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم؟ **فقال رسول الله ﷺ** : فكيف لي بحصنهم ؟ **فقال جبريل** : فإني أدخل فرسي هذا عليهم . فركب رسول الله ﷺ فرساً معرورى ، فلما رآه علي رضي الله عنه **قال** : يا رسول الله ، لا عليك ألا تأتيهم ، فإنهم يشتمونك . **فقال** : كلا إنها ستكون تحية . فأتاهم النبي ﷺ **فقال** : يا أخوة القردة والخنازير ، **فقالوا** : يا أبا القاسم ، ما كنت فحاشاً ! فقالوا : لا ننزل على حكم محمد، ولكنا ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فنزل . فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم . **فقال رسول الله ﷺ : بذلك طرقني الملك سحراً فنزل فيهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٢٧) . نزلت في أبي لبابة ، **أشار إلى بني قريظة حين قالوا** : ننزل على حكم سعد بن معاذ ، لا تفعلوا فإنه الذبح وأشار إلى حلقه . **وقيل** : نزلت الآية في أنهم كانوا يسمعون الشيء من النبي ﷺ فيلقونه إلى المشركين ويفشونه . **وقيل** : المعنى بغلول الغنائم . ونسبتها إلى الله ؛ لأنه هو الذي أمر بقسمتها . وإلى الرسول ﷺ ؛ لأنه المؤدي عن الله عز وجل والقيم بها ، **والخيانة** : الغدر وإخفاء الشيء ، ومنه : **﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر:١٩)** قوله تعالى : **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ**

وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) كان لأبي لبابة أموال وأولاد في بني قريظة ، وهو الذي حمله على ملاينتهم ، فهذا إشارة إلى ذلك .

قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٠) المكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون . نزلت في النضر بن الحارث ، كان خرج إلى الحيرة في التجارة فاشترى أحاديث كليلة ودمنة ، وكسرى وقيصر ، فلما قص رسول الله ﷺ أخبار من مضى ، **قال النضر** : لو شئت لقلت مثل هذا وكان هذا وقاحة وكذبا .

وقيل : إنهم توهموا أنهم يأتون بمثله ، كما توهمت سحرة موسى ، ثم راموا ذلك فعجزوا عنه **وقالوا عناداً** : إن هذا إلا أساطير الأولين . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢) أمطر في العذاب . ومطر في الرحمة ، **عن أبي عبيدة** : **لما قال أبو جهل** : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، الآية ، نزلت : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ . (٣٣) **قال ابن عباس** : لم يعذب أهل قرية حتى يخرج النبي ﷺ منها والمؤمنون ويلحقوا بحيث أمروا . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، **قال ابن عباس** : **كانوا يقولون في الطواف** : غفرانك . والاستغفار وإن وقع من الفجار يدفع به ضرب من الشرور والإضرار . **وقيل** : إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم . أي وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين ، فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر وغيره .

وقيل : إن الاستغفار هنا يراد به الإسلام . **وقيل** : وهم يستغفرون أي في أصلابهم من يستغفر الله . **وقيل** : معنى يستغفرون لو استغفروا . أي لو استغفروا لم يعذبوا . استدعاهم إلى الاستغفار ، **وقال المدائني عن بعض العلماء قال** : كان رجل من العرب في زمن النبي ﷺ مسرفاً على نفسه ، لم يكن يتحرج

فلما أن توفي النبي ﷺ لبس الصوف ورجع عما كان عليه ، وأظهر الدين والنسك . **فقيل له** : لو فعلت هذا والنبي ﷺ حي لفرح بك . **قال** : كان لي أمانان ، فمضى واحد وبقي الآخر ، **قال الله تبارك وتعالى** : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، فهذا أمان .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ** ﴾ (٣٨) أمر النبي ﷺ أن يقول للكفار هذا المعنى ، وسواء قاله بهذه العبارة أو غيرها . قوله تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٤١) الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي . **وسمى الشرع الواصل من الكفار إلينا من الأموال باسمين** : غنيمة وفيئاً . فالشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وإيجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة . ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفاً . **والفيء** : مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع ، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف . كخراج الأرضين وجزية الجماجم وخمس الغنائم . **قيل** : الفيء عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الأموال بغير قهر . والمعنى متقارب . هذه الآية ناسخة لأول السورة ، عند الجمهور .

وقد ادعى ابن عبد البر الإجماع على أن هذه الآية نزلت بعد قوله : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (١) وأن أربعة أخماس الغنيمة مقسومة على الغانمين ، على ما يأتي بيانه .

قوله تعالى : ﴿ **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٤٢) أي أنزلنا

إذ أنتم على هذه الصفة . **أو يكون المعنى** : واذكروا إذ أنتم . **والعدوة** : جانب الوادي . وقرئ بضم العين وكسرها ، فعلى لاضم يكون الجمع عدى ، وعلى الكسر عدى ، مثل لحية ولحىً ، وفرية وفرى . **والدنيا** : تأنيث الأدنى . **والقصوى** : تأنيث الأقصى . من دنا يدنو ، وقصا يقصو . **ويقال** : القصيا . والأصل الواو، وهي لغة أهل الحجاز قصوى . فالدنيا كانت مما يلي المدينة ، والقصوى مما يلي مكة .

أي : إذ أنت نزول بشفير الوادي بالجانب الأدنى إلى المدينة، وعدوكم بالجانب الأقصى . **وقيل** : هي الإبل التي كانت تحمل أمتعتهم ، وكانت في موضع يأمنون عليها توفيقاً من الله عز وجل لهم ، فذكرهم نعمه عليهم . **الركب** : ابتداء أسفل منكم ظرف في موضع الخبر . أي مكاناً أسفل منكم .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ** ﴾ (٤٤) هذا في اليقظة . **ويجوز حمل الأولى على اليقظة أيضاً إذا قلت** : المنام موضع النوم ، وهو العين ، فتكون الأولى على هذا خاصة بالنبي ﷺ ، وهذه للجميع . **قال ابن مسعود : قلت لإنسان كان بجانبي يوم بدر : أتراهم سبعين فقال** : هم نحو المائة . فأسرنا رجلاً فقلنا : كم كنتم ؟ فقال : كنا ألفاً . قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (٤٥) أي **جماعة** "فاثبتوا" أمر بالثبات عند قتال الكفار ، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم ، فالتقى الأمر والنهي على سواء .

وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له . قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (٤٦) هذا استمرار على الوصية لهم ، والأخذ على أيديهم في اختلافهم في أمر بدر وتنازعهم . قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٥٥) أي من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه . ثم

وصفهم فقال : ﴿ **الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ** ﴾ (٥٦) أي لا يخافون الانتقام . ومن في قوله منهم للتبعيض ، لأن العهد إنما كان قوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (٥٨) أي غشا ونقضاً للعهد . وهذه الآية نزلت في بني قريظة وبني النضير . **قال ابن عطية** : والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن أمر بني قريظة انقضى عند قوله فشرد بهم من خلفهم ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية بأمره فيما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة ، فتترتب فيهم هذه الآية وبنو قريظة لم يكونوا في حد من تخاف خيانته ، وإنما كانت خيانتهم ظاهرة مشهورة.

قال ابن العربي : فإن قيل كيف يجوز نقض العهد مع خوف الخيانة ، والخوف ظن لا يقين معه ، فكيف يسقط يقين العهد مع ظن الخيانة . قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ** ﴾ (٥٩) أي من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة . **ثم استأنف فقال** : إنهم لا يعجزون ، أي في الدنيا حتى يظفرك الله بهم .

وقيل : يعني في الآخرة . **قال أبو عبيد** : وإنما **يجوز على أن يكون المعنى** : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون . قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ (٦٠) **أمر الله ــ سبحانه ــ** المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى . فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب ، كما فعل رسول الله ﷺ. ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ . وكلما تعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك . **قال ابن عباس** : **القوة** : هاهنا السلاح والقسي . قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ**

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦١) إنما قال لها لأن السلم مؤنثة . ويجوز أن يكون التأنيث للفعلة . والجنوح الميل . **يقول** : **إن مالوا ــ يعني الذين نبذ إليهم عهدهم ــ** إلى المسالمة ، أي الصلح ، فمل إليها . **وجنح الرجل إلى الآخر** : مال إليه ، ومنه قيل للأضلاع جوانح ، لأنها مالت على الحشوة . **وجنحت الإبل** : إذا مالت أعناقها في السير .

قول الله تعالى : **﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾** (٦٢) أي بأن يظهروا لك السلم ، ويبطنوا الغدر والخيانة فاجنح فما عليك من نياتهم الفاسدة . قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾** (٦٥) أي حثهم وحضهم .

يقال : حارض على الأمر وواظب وواصب وأكب بمعنى واحد . **والحارض** : الذي قد قارب الهلاك ، ومنه قوله عز وجل : **﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (يوسف:٨٥)** أي تذوب غماً ، **فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾** (٦٥) لفظ خبر ، ضمنه وعد بشرط لأن معناه إن يصبر منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وعشرون وثلاثون وأربعون كل واحد منها اسم موضوع على صورة الجمع لهذا العدد .

ويجري هذا الاسم مجرى فلسطين ، **فإن قال قائل** : لم كسر أول عشرين وفتح أول ثلاثين وما بعده إلى الثمانين إلا ستين ؟ **فالجواب عند سيبويه** : أن عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد ، فكسر أول عشرين كما كسر اثنان . **والدليل على هذا قولهم** : ستون وتسعون ، كما قيل : ستة وتسعة . قوله تعالى : **﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ**

يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) جمع أسير ، مثل قتيل وقتلى وجريح وجرحى . **ويقال في جمع أسير أيضاً** : أسارى (**بضم الهمزة**) وأسارى (**بفتحها**) وليست بالعالية . وكانوا يشدون الأسير بالقد وهو الإسار ، فسمي كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيراً . **قال أبو عمرو بن العلاء** : الأسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون ، والأسارى هم الموثقون ربطاً .

وحكى أبو حاتم : أنه سمع هذا من العرب . هذه الآية نزلت يوم بدر ، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ **والمعنى** : ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون النبي ﷺ أسرى قبل الإثخان .

قوله تعالى : **﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (٦٨) في أنه لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون . واختلف الناس في كتاب الله السابق على أقوال ، أصحها ما سبق من إحلال الغنائم ، فإنها كانت محرمة على من قبلنا . فلما كان يوم بدر ، أسرع الناس إلى الغنائم فأنزل الله عز وجل : **﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (٦٨) أي بتحليل الغنائم. قول الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** (٧٠) **قيل** : **الخطاب** للنبي ﷺ وأصحابه . **وقيل** : له وحده . **وقال ابن عباس** ﷺ : الأسرى في هذه الآية عباس وأصحابه . **قالوا للنبي** ﷺ : آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله ، لننصحن لك على قومك ، فنزلت هذه الآية . **قال ابن العربي** : لما أسر من أسر من المشركين تكلم قوم منهم بالإسلام ولم يمضوا فيه عزيمة ولا اعترفوا به اعترافاً جازما . ويشبه أنهم أرادوا أن يقربوا من المسلمين ولا يبعدوا من المشركين . **قال علماؤنا** : إن تكلم الكافر بالإيمان في قلبه وبلسانه ولم يمض فيه عزيمة لم يكن مؤمناً . وإذا وجد مثل ذلك من المؤمن كان كافراً ، إلا ما كان من الوسوسة التي لا يقدر على دفعها فإن الله قد عفا عنها وأسقطها .

٩- سورة التوبة

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة: ١ - ٣

٩ـ سورة التوبة

قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) **الأذان** : الإعلام لغةً من غير خلاف . **قيل** : العامل فيه مخزي . ولا يصح عمل أذان ، لأنه قد وصف فخرج عن حكم الفعل . واختلف العلماء في الحج الأكبر ، **فقيل** : يوم عرفة . **عن أبي هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق** ﷺ **فيمن يؤذن يوم النحر بمنى :** لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . ويوم الحج الأكبر يوم النحر . **وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس** : الحج الأصغر . فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه النبي ﷺ مشرك . **قال ابن أبي أوفى** : يوم النحر يوم الحج الأكبر ، يهراق فيه الدم ، ويوضع فيه الشعر ، ويلقى فيه التفث ، وتحل فيه الحرم . وهذا مذهب مالك ، لأن يوم النحر فيه الحج كله ، لأن الوقوف إنما هو في ليلته ، والرمي والنحر والحلق والطواف في صبيحته .

قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) **المعنى** : أن الله بريء من المشركين إلا من المعاهدين في مدة عهدهم . **وقيل** : الاستثناء منقطع ، أي أن الله بريء منهم ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد فأتموا إليهم عهدهم . **وقوله : ثم لم ينقصوكم** : يدل على أنه كان من أهل العهد من خاس بعهده ومنهم من ثبت على الوفاء ، فأذن الله سبحانه لنبيه ﷺ في نقض عهد من خاس ، وأمر بالوفاء لمن بقي على عهده إلى مدته . قوله تعالى : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) أي خرج . وسلخت الشهر إذا صرت في أواخر أيامه ، تسلخه سلخاً وسلوخاً بمعنى خرجت منه . والأصل أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله ، وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة ، من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة . وهذا بين في هذا المعنى ، غير أن الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين ، فلا سبيل إلى إلغائهما . **قال أبو بكر الصديق** ﷺ : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . **وقال ابن عباس** : رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه . **وقال ابن العربي** : فانتظم القرآن والسنة واطردا . ولا خلاف بين المسلمين أن من ترك الصلاة وسائر الفرائض مستحلاً كفر ، ومن ترك السنن متهاوناً فسق ، ومن ترك النوافل لم يخرج ، إلا أن يجحد فضلها فيكفر ، لأنه يصير راداً على الرسول عليه السلام ما جاء به وأخبر عنه . **واختلفوا فيمن ترك الصلاة من غير جحد لها ولا استحلال ، فروى يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت ابن وهب يقول : قال مالك** : من آمن بالله وصدق المرسلين وأبى أن يصلي قتل ، وبه قال أبو ثور وجميع أصحاب الشافعي .

وهو قول حماد بن زيد ومكحول ووكيع . **وقال أبو حنيفة** : يسجن ويضرب ولا يقتل ، وهو قول ابن شهاب وبه يقول داود بن علي . ومن حجتهم قوله ﷺ : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**))[1] قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾** (٦) أي من الذين أمرتك بقتالهم . **استجارك** : أي سأل جوارك ، أي أمانك

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري في (المناقب ، ح / ٣٥١٨) ومسلم في (الإيمان ، ح / ٣٢ ــ ٣٣) .

وذمامك ، فأعطه إياه ليسمع القرآن ، أي يفهم أحكامه وأوامره ونواهيه . فإن قبل أمراً فحسن ، وإن أبى فرده إلى مأمنه . وهذا ما لا خلاف فيه ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٧) كيف هنا للتعجب ، **كما تقول** : كيف يسبقني فلان ، أي لا ينبغي أن يسبقني . وعهد اسم يكون . وفي الآية إضمار ، أي كيف يكون للمشركين عهد مع إضمار الغدر .

قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (٨) أعاد التعجب من أن يكون لهم عهد مع خبث أعمالهم ، أي كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة . **يقال** : ظهرت على فلان أي غلبته ، وظهرت البيت علوته ومنه : ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً** ﴾ **(الكهف:٩٧)** أي يعلو عليه .

قال تعالى : ﴿ **لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾ (١٠) أي المجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد . قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (١١) أي عن الشرك والتزموا أحكام الإسلام . **قال ابن عباس** : حرمت هذه دماء أهل القبلة . **وقال ابن زيد** : افترض الله الصلاة والزكاة وأبى أن يفرق بينهما ، وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . **وقال ابن مسعود** : أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له .

قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ** ﴾ (١٢) النكث النقض ، وأصله في ما فتل ثم حل . فهي في الأيمان والعهود مستعارة . استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين ، إذ هو كافر . والطعن أن ينسب إليه

ما لا يليق به ، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين ، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه . **قال ابن المنذر** : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ القتل . وممن قال ذلك مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي . والذمي إذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور من مذهب مالك ، **لقوله : وإن نكثوا أيمانهم : فأمر بقتلهم وقتالهم . وهو مذهب الشافعي رحمه الله . وقال أبو حنيفة في هذا** : إنه يستتاب ، وإن مجرد الطعن لا ينقض به العهد إلا مع وجود النكث ؛ **لأن الله عز وجل إنما أمر بقتلهم بشرطين** : أحدهما نقضهم العهد ، **والثاني** : طعنهم في الدين ، **قلنا** : إن عملوا بما يخالف العهد انتقض عهدهم ، وذكر الأمرين لا يقتضي توقف قتاله على وجودهما، فإن النكث يبيح لهم ذلك بانفراده عقلاً وشرعا ، **وتقدير الآية عندنا** : فإن نكثوا عهدهم حل قتالهم ، وإن لم ينكثوا بل طعنوا في الدين مع الوفاء بالعهد قتالهم . أكثر العلماء على أن من سب النبي ﷺ من أهل الذمة ، أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل فإن لم نعطه الذمة أو العهد على هذا . **إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا** : لا يقتل ، ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر . **والحجة عليه قوله تعالى** : وإن نكثوا . قوله تعالى : **﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)** توبيخ وفيه معنى التحضيض . نزلت في كفار مكة كما ذكرنا آنفاً . وهموا **بإخراج الرسول** : أي كان منهم سبب الخروج فأضيف الإخراج إليهم .

وقيل : أخرجوا الرسول عليه السلام من المدينة لقتال أهل مكة للنكث الذي كان منهم ، عن الحسن . **وقيل** : بدءوكم بالقتال يوم بدر ؛ لأن النبي ﷺ خرج للعير ولما أحرزوا غيرهم كان يمكنهم الانصراف ، فأبوا إلا الوصول إلى بدر وشرب الخمر بها ، كما تقدم . قوله تعالى : **﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ**

وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) **التقدير** : إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . **ويذهب غيظ قلوبهم** : دليل على أن غيظهم كان قد اشتد . **وقال مجاهد** : يعني خزاعة خلفاء رسول الله ﷺ . **عن مجاهد** : فإن قريشاً أعانت بني بكر عليهم ، وكانت خزاعة حلفاء النبي ﷺ . فأنشد رجل من بني بكر هجاء رسول الله ﷺ ، **فقال له بعض خزاعة** : لئن أعدته لأكسرن فمك ، فأعاده فكسر فاه وثار بينهم قتال ، فقتلوا من الخزاعيين أقواماً ، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في نفر إلى النبي ﷺ في نفر إلى النبي ﷺ وأخبره به ، فدخل منزل ميمونة ، **وقال** : اسكبوا إلي ماء فجعل يغتسل وهو **يقول** : لا نصرت إن لم أنصر بني كعب . ثم أمر رسول الله ﷺ بالتجهز والخروج إلى مكة فكان الفتح .

قوله تعالى : **﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** (١٥) القراءة بالرفع على الاستئناف ؛ لأنه ليس من جنس الأول . ولهذا لم يقل ويتب بالجزم ، لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله جل وعز . وهو موجب لهم العذاب والخزي ، وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم ونظيره : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الشورى: ٢٤)**.

قوله تعالى : **﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** (١٦) خروج من شيء إلى شيء . **ومعنى الكلام** : أم حسبتم أن تتركوا من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذي يستحق به الثواب والعقاب

قوله تعالى : **﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾** (١٧) الجملة من أن يعمروا في موضع رفع اسم كان . شاهدين على الحال . واختلف العلماء في

تأويل هذه الآية ، **فقيل** : أراد ليس لهم الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع عن المسجد الحرام ، وكانت أمور البيت كالسدانة والسقاية والرفادة إلى المشركين ، فبين أنهم ليسوا أهلاً لذلك ، بل أهله المؤمنون . **وقيل** : إن العباس لما أسر **وعير بالكفر وقطيعة الرحم قال** : تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا . **فقال علي** : ألكم محاسن ؟ **قال** : نعم ، إنا لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ، ونسقي الحاج ، ونفك العاني . فنزلت هذه الآية رداً عليه . فيجب إذاً على المسلمين تولي أحكام المساجد ومنع المشركين من دخوله .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ (١٨) دليل على أن الشهادة لعمار المساجد بالإيمان صحيحة ، لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها . **وقد قال بعض السلف** : إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن .

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ((**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**)) [1] قال الله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ (١٨) قوله تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (١٩) **التقدير في العربية** : أجعلتم أصحاب سقاية الحاج ، أو أهل سقاية الحاج ، مثل من آمن بالله وجاهد في سبيله .

ويصح أن يقدر الحذف في من آمن أي أجعلتم عمل سقي الحاج كعمل من آمن . **وقيل** : التقدير كإيمان من آمن . والسقاية مصدر كالسعاية والحماية . فجعل

---

[1] **ضعيف** . ابن ماجة (ح / ٢٣٤٩) وابن ماجة (ح / ٨٠٢) .

الاسم بموضع المصدر إذ علم معناه ، مثل إنما السخاء حاتم ، وإنما الشعر زهير . وعمارة المسجد الحرام مثل : ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ (**يوسف**:٨٢) والحاج اسم جنس الحجاج **وعمارة المسجد الحرام** : معاهدته والقيام بمصالحه . وظاهر هذه الآية أنها مبطلة قول من افتخر من المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كما ذكره السدي ، **قال** : افتخر عباس بالسقاية ، وشيبة بالعمارة ، وعلي بالإسلام والجهاد ، فصدق الله علياً وكذبهما ، وأخبر أن العمارة لا تكون بالكفر، وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة. وهذا بين لا غبار عليه. **ويقال** : **إن المشركين سألوا اليهود وقالوا** : نحن سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام ، أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه ؟ فقالت لهم اليهود عناداً لرسول الله ﷺ : أنتم أفضل .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ (١٤) المراد أنهم قدروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي ، فخاطبهم على ما قدروه في أنفسهم وإن كان التقدير خطأ ، كقوله تعالى : ﴿ **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً** ﴾ (**الفرقان**:٢٤) ، **وقيل** : أعظم درجة من كل ذي درجة، أي لهم المزية والمرتبة العلية .

قوله تعالى :﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾ (٢١) أي يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم **والنعيم** : لين العيش ورغده . قوله تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٢٢) الخلود الإقامة ، وظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافةً ، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين . وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذي كانوا بمكة

وغيرها من بلاد العرب ، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والأخوة فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر . **كما يقال** : استجاب بمعنى أجاب . أي لا تطيعوهم ولا تخصوهم . وخص الله سبحانه الآباء والأخوة إذ لا قرابة أقرب منها . فنفى الموالاة بينهم كما نفاها بين الناس بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ **(المائدة:٥١)** ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان .

قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾ **(٢٥)** لما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف النصري من بني نصر بن مالك ، وكانت الرياسة في جميع العسكر إليه، وساق مع الكفار أموالهم ومواشيهم ونساءهم وأولادهم ، وزعم أن ذلك يحمي به نفوسهم وتشتد في القتال عند ذلك شوكتهم . وكانوا ثمانية آلاف في قول الحسن ومجاهد . **وقيل** : أربعة آلاف من هوازن وثقيف . وعلى هوازن مالك بن عوف ، وعلى ثقيف كنانة بن عبد، فنزلوا بأوطاس .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي عيناً، فأتاه وأخبره بما شاهد منهم ، فعزم رسول الله ﷺ على قصدهم ، واستعار من صفوان بن أمية بن خلف الجمحي دروعاً . **قيل** : مائة درع . **وقيل** : أربعمائة درع . واستسلف من ربيعة المخزومي ثلاثين ألفاً أو أربعين ألفاً، فلما قدم قضاه إياها . ثم قال له النبي ﷺ :((**بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الوفاء والحمد**)) [1]

وخرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً من المسلمين ، منهم عشرة آلاف صحبوه من المدينة ، وألفان من مسلمة الفتح وهم الطلقاء إلى من انضاف إليه

---

[1] **صحيح** : الجامع (ح/ ٢٣٤٩) .

من الأعراب ، من سليم وبني كلاب وعبس وذبيان . واستعمل على مكة عتاب بن أسيد . وفي مخرجه هذا رأى جهال الأعراب شجرة خضراء ، وكان لهم في الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات أنواط ، ويخرج إليها الكفار يوماً معلوماً في السنة يعظمونها ، **فقالوا** : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال عليه السلام : ((**الله أكبر قلتم ـ الذي نفسي بيده ـ كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**)) . فنهض رسول الله ﷺ حتى أتى وادي حنين ، وهو من أودية تهامة ، وكانت هوزان قد كمنت في جنبتي الوادي وذلك في غبش الصبح فحملت على المسلمين حملة رجل واحد ، فانهزم جمهور المسلمين ولم يلو أحد على أحد ، وثبت رسول الله ﷺ وثبت معه أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد **ـ وهو أيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بحنين ـ** وربيعة بن الحارث ، والفضل بن عباس.

قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾(٢٦) أي أنزل عليهم ما يسكنهم ويذهب خوفهم ، حتى اجترءوا على قتال المشركين بعد أن ولوا .

قوله تعالى : "ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء" : أي على من انهزم فيهديه إلى الإسلام . كمالك بن عوف النصري رئيس حنين ومن أسلم معه من قومه . ولما قسم رسول الله ﷺ غنائم بالجعرانة ، أتاه وفد هوازن مسلمين راغبين في العطف عليهم والإحسان إليهم ، **وقالوا** : يا رسول الله ، إنك خير الناس وأبر الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا .

فقال لهم : إني قد كنت استأنيت بكم وقد وقعت المقاسم وعندي من ترون وإن خير القول أصدقه فاختاروا إما ذراريكم وإما أموالكم . **فقالوا** : لا نعدل بالأنساب شيئاً . **فقام خطيباً وقال** : هؤلاء جاؤوا مسلمين وقد خيرناهم فلم

يعدلوا بالأنساب فرضوا برد الذرية وما كان لي ولبني عبد المطلب وبن هاشم فهو لهم . **وقال المهاجرون والأنصار** : أما ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في قومهما من أن يردوا عليهم شيئاً مما وقع لهم في سهامهم. وامتنع العباس بن مرداس السلمي كذلك ، وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأقرع وعيينة قومهما . **فأبت بنو سليم وقالوا** : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : ((**من ضن منكم بما في يديه فإنا نعوضه منه**)) [1]فرد عليهم رسول الله ﷺ نساءهم وأولادهم، وعوض من لم تطب نفسه بترك نصيبه أعواضاً رضوا بها .

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٢٨) اختلف العلماء في معنى وصف المشرك بالنجس ، **فقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما** : لأنه جنب ، إذ غسله من الجنابة ليس بغسل . **وقال ابن عباس وغيره** : بل معنى الشرك هو الذي نجسه . **قال الحسن البصري** : من صافح مشركاً فليتوضأ . والمذهب كله على إيجاب الغسل على الكافر إذا أسلم ، **إلا ابن عبد الحكم فإنه قال** : ليس بواجب ؛ لأن الإسلام يهدم ما كان قبله

قول الله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ (٢٩) لما حرم الله تعالى على الكفار أن يقربوا المسجد الحرام ، وجد المسلمون في أنفسهم بما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها ، قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً**

---

[1] **القرطبي** : (٨ / ١٠٢) .

فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨) ثم أحل في هذه الآية الجزية وكانت لم تؤخذ قبل ذلك، فجعلها عوضاً مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم فقال الله عز وجل : **﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾** (٢٩) فأمر سبحانه وتعالى بمقاتلة جميع الكفار لأوصافهم على هذا الوصف ، وخص أهل الكتاب بالذكر إكراماً لكتابهم ، ولكونهم عالمين بالتوحيد والرسل والشرائع والملل ، وخصوصاً ذكر محمد ﷺ وملته وأمته . فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة ، فنبه على محلهم ثم جعل للقتال غاية ، وهي إعطاء الجزية بدلاً عن القتل .

قوله تعالى : **﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** (٣١) الأحبار جمع حبر ، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه . ومنه ثوب محبر أي جمع الزينة . **وقد قيل في واحد الأحبار** : حبر بكسر الحاء والمفسرون على فتحها . وأهل اللغة على كسرها . قال يونس : لم أسمعه إلا بكسر الحاء ، **والدليل على ذلك انهم قالوا** : مداد حبر يريدون مداد عالم، ثم كثر الاستعمال حتى قالوا للمداد حبر .

قوله تعالى : **﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾** (٣٢) أي دلالته وحججه على توحيده . جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان . **وقيل** : المعنى نور الإسلام ، أي أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم .

قول الله تعالى : **﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾** (٣٣) يريد محمداً ﷺ . **"بالهدى" أي بالفرقان**

"**ودين الحق ليظهره على الدين كله** " أي بالحجة والبراهين . وقد أظهره على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منها .

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (٣٤) الأحبار علماء اليهود . والرهبان مجتهدوا النصارى في العبادة . **بالباطل قيل** : إنهم كانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضاً باسم الكنائس والبيع وغير ذلك ، مما يوهمونهم أن النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله تعالى ، وهم خلال ذلك يحجبون تلك الأموال ، كالذي ذكره سلمان الفارسي عن الراهب الذي استخرج كنزه .

وقيل : كانوا يأخذون من غلاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع . **وقيل** : كانوا يرتشون في الأحكام ، كما يفعله اليوم كثير من الولاة والحكام . **وقول الله تعالى : بالباطل يجمع ذلك كله . ويصدون عن سبيل الله** : أي يمنعون أهل دينهم عن الدخول في دين الإسلام ، واتباع محمد ﷺ .

قول الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ (٣٥) يوم ظرف ، والتقدير يعذبون يوم يحمى . **ولا يصح أن يكون على تقدير** : فبشرهم يوم يحمى عليها، لأن البشارة لا تكون حينئذ . **يقال** : أحميت الحديدة في النار ، أي أوقدت عليها ، **ويقال** : أحميته ، **ولا يقال** : أحميت عليه . وهاهنا قال عليها ، لأنه جعل على من صلة معنى الإحماء ومعنى الإحماء الإيقاد . أي يوقد عليها فتكوى .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣٦) إن عدة الشهور جمع شهر . **فإذا قال الرجل لأخيه** : لا أكلمك

الشهور، وحلف على ذلك فلا يكلمه حولاً ، قاله بعض العلماء . **وقيل** : لا يكلمه أبداً . **قال ابن العربي** : وأرى إن لم تكن له نية أن يقتضي ذلك ثلاثة أشهر ، لأنه أقل الجمع الذي يقتضيه صيغة فعول في جمع فعل . قول الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (٣٧) **قال الجوهري** : النسيء فعيل بمعنى مفعول ، **من قولك** : نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته . ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل . ورجل ناسئ وقوم نسأة ، مثل فاسق وفسقة . **قال الطبري** : النسيء بالهمزة معناه الزيادة ، **يقال** : نسأ ينسأ إذا زاد . **قال** : ولا يكون بترك الهمز إلا من النسيان ، كما قال تعالى : ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (٦٧) .

قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (٣٩). **قال ابن العربي** : ومن محققات الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل . فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء ، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه ، **كقوله** : إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا ، كما ورد في هذه الآية . فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا .

قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٤٠) **يقول** : تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك . عاتبهم الله بعد انصراف نبيه عليه السلام من تبوك . **قال النقاش** : هذه أول آية نزلت

من سورة براءة . **والمعنى** : إن تركتم نصره فالله يتكفل به ، إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة . **وقيل** : فقد نصره الله بصاحبه في الغار بتأنيسه له وحمله على عنقه ، وبوفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله . قوله تعالى : **﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾** (٤٣) **قيل** : هو افتتاح كلام ، كما تقول أصلحك الله وأعزك ورحمك ! كان كذا وكذا .

وقيل : المعنى عفا الله عنك ما كان من ذنبك في أن أذنت لهم . قوله تعالى : **﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾** (٤٤) أي في القعود ولا في الخروج ، بل إذا أمرت بشيء ابتدروه ، فكان الاستئذان في ذلك الوقت من علامات النفاق لغير عذر .

قول الله تعالى : **﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾** (٤٦) أي لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف . **فثبطهم** : أي حبسهم عنك وخذلهم؛ **لأنهم قالوا** : إن لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرضنا على المؤمنين . قوله تعالى : **﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾** (٤٧) هو تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقيل عنهم . **والخبال** : الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف . وهذا استثناء منقطع ، أي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال ، **وقيل** : المعنى لا يزودوكم فيما يترددون فيه من الرأي إلا خبالاً ، فلا يكون الاستثناء منقطعاً .

قوله تعالى : **﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾** (٤٨) أي لقد طلبوا الإفساد والخبال من قبل أن يظهر أمرهم ، وينزل الوحي بما أسروا وبما سيفعلونه . **وقال ابن جريج** : أراد اثني عشر رجلاً من المنافقين ، وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي

ﷺ . قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ (٤٩) من أذن يأذن .

قوله تعالى : ﴿ **إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ (٥٠) شرط ومجازاة ، **والحسنة** : الغنيمة والظفر . **والمصيبة** : الانهزام .

ومعنى قولهم : أخذنا أمرنا من قبل أي احتطنا لأنفسنا وأخذنا بالجزم فلم نخرج إلى القتال . **ويتولوا** : أي عن الإيمان . قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (٥١) **قيل** : في اللوح المحفوظ . **وقيل** : ما أخبرنا به في كتاب من أنا إما أن نظفر فيكون الظفر حسنى لنا ، وإما أن نقتل فتكون الشهادة أعظم حسنى لنا . والمعنى كل شيء بقضاء وقدر .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ** ﴾ (٥٢) والتربص الانتظار . **يقال** : تربص بالطعام أي انتظر به إلى حين الغلاء . والحسنى تأنيث الأحسن . وواحد الحسنيين حسنى ، والجمع الحسنى ، ولا يجوز أن ينطق به إلا معرفاً . **لا يقال** : رأيت امرأة حسنى . والمراد بالحسنيين الغنيمة والشهادة .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ (٥٤) **المعنى** : وما منعهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ الكوفيون أن يقبل منهم بالياء لأن النفقات والإنفاق واحد .

قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** ﴾ (٥٨) أي يطعن عليك عن قتادة ، **والحسن** : يعيبك . **وقال مجاهد** : أي يزورك ويسألك . **قال الجوهري** : اللمز العيب ،

وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، وقد لمزه يلمزه ويلمزه وقرئ بهما ، ومنهم من يلمزك في الصدقات . ورجل لماز ولمزة أي عياب . **ويقال أيضاً** : لمزه يلمزه إذا دفعه وضربه . والهمز مثل اللمز . والهامز والهماز العياب ، والهمزة مثله **يقال** : رجل همزة وامرأة همزة أيضاً . وهمزه أي دفعه وضربه . قوله تعالى : **﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾** (٦٠) خص الله سبحانه بعض الناس بالأموال دون بعض نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه إلى من لا مال له ، نيابة عنه سبحانه فيما ضمنه بقوله : **﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (هود:٦)** .

قوله تعالى : **﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾** (٦٣) يعني المنافقين .

قوله تعالى : **﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾** (٦٤) **قال السدي : قال بعض المنافقين** : والله وددت لو أني قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فنزلت الآية **قال الحسن** : كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته . **قال ابن عباس** : أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلاً ، ثم نسخ تلك الأسماء من القرآن رأفة منه ورحمة ، لأن أولادهم كانوا مسلمين والناس يعير بعضهم بعضاً .

فعلى هذا قد أنجز الله وعده بإظهاره ذلك إذ قال : إن الله مخرج ما تحذرون . وقيل : إخراج الله أنه عرف نبيه عليه السلام أحوالهم وأسماءهم لا أنها نزلت في القرآن ، ولقد قال الله تعالى : **﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٠)** وهو نوع إلهام . وكان من المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب محمد عليهﷺ ولا بصدقه . وكان

فيهم من يعرف صدقه ويعاند . قوله تعالى : ﴿ **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾ (٦٦) على جهة التوبيخ ، **كأنه يقول** : لا تفعلوا ما لا ينفع ، ثم حكم عليهم بالكفر وعدم الاعتذار من الذنب . واعتذر بمعنى أعذر ، أي صار ذا عذر . قوله تعالى : ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (٦٧) وقبض أيديهم عبارة عن ترك الجهاد ، وفيما يجب عليهم من حق . والنسيان : الترك هنا ، أي تركوا ما أمرهم الله به فتركهم في الشك . **وقيل** : إنهم تركوا أمره حتى صار كالمنسي فصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه .

وقال قتادة : نسيهم أي من الخير ، فأما من الشر فلم ينسهم . **والفسق** : الخروج عن الطاعة والدين . قوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ (٦٨) **يقال** : وعد الله بالخير وعداً . ووعد بالشر وعيداً . قوله تعالى : ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (٦٩) **قيل** : أي : أنتم كالذين من قبلكم، فالكاف في محل رفع لأنه خبر ابتداء محذوف . ولم ينصرف أشد لأنه أفعل صفة . والأصل فيه أشدد، أي كانوا أشد منكم قوة فلم يتهيأ لهم ولا أمكنهم رفع عذاب الله عز وجل .

قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (٧٠) أي خبر الذين من قبلهم . **قيل** : أتت أصحاب المؤتفكات رسلهم ، فعلى هذا رسولهم لوط وحده ، ولكنه بعث في كل قرية رسولاً ، وكانت ثلاث قريات ، **وقيل** : أربع .

١٠- سورة يونس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤ ﴾ يونس: ١ - ٤

١٠ ـ سورة يونس

قوله تعالى : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) **وعن ابن عباس قال** : معنى الر أنا الله أرى . **قال مجاهد وقتادة** : أراد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة ، فإن تلك إشارة إلى غائب مؤنث . وقيل : تلك بمعنى هذه ، أي هذه آيات الكتاب الحكيم . قول الله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) استفهام معناه التقرير والتوبيخ . **عن ابن عباس : أن الكفار قالوا لما بعث محمد** : إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً . **وقالوا** : ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب ، فنزلت الآية .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) **قال مجاهد** : يقضيه ويقدره وحده . **قال ابن عباس** : لا يشركه في تدبير خلقه أحد . **وقيل** : يبعث بالأمر. **وقيل** : ينزل به . **وقيل** : يأمر به ويمضيه ، والمعنى متقارب . فجبريل للوحي ، وميكائيل للقطر ، وإسرافيل للصور ، وعزرائيل للقبض . وحقيقته تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبه ، واشتقاقه من الدبر .

قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٤) معنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى جزائه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) أي : مضيئة ، ولم يؤنث لأنه مصدر ، أو ذات ضياء ، والقمر نورا ، أي منيراً ، أو ذا نور ، فالضياء ما يضيء الأشياء ، والنور ما يبين

فيخفى ؛ لأنه من النار من أصل واحد . والضياء جمع ضوء ، كالسياط والحياض جمع سوط وحوض . و تفصيل الآيات تبيينها ليستدل بها على قدرته تعالى ، لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما ولا إيجاب ، فيكون هذا لهم دليلاً على أن ذلك بإرادة مريد .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ** ﴾ (٧) يرجون يخافون ، **قال بعض العلماء** : لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد ، كقوله تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** ﴾ **(نوح:١٣)** قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (٩) أي صدقوا . **قيل** : يهديهم ربهم بإيمانهم إلى مكان تجري من تحتهم الأنهار . **وقال أبو روق** : يهديهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة . **وقال عطية** : يهديهم يثيبهم ويجزيهم . **وقال مجاهد** : يهديهم ربهم بالنور على الصراط إلى الجنة ، يجعل لهم نوراً يمشون به . قوله تعالى : ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١٠) **دعواهم** : أي دعاؤهم ، والدعوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو ، أي دعاؤهم في الجنة أن يقولوا سبحانك اللهم ، **وقيل** : إذا أرادوا أن يسألوا شيئاً أخرجوا السؤال بلفظ التسبيح ويختمون بالحمد .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (١١) **قيل** : معناه ولو عجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا ، لأنهم خلقوا في الدنيا خلقاً ضعيفاً ، وليس هم كذا يوم القيامة ، لأنهم يوم القيامة يخلقون للبقاء . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١٢) **قيل** : المراد بالإنسان هنا الكافر ، **قيل** : هو أبو حذيفة

بن المغيرة المشرك تصيبه البأساء والشدة والجهد . قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ (١٣) يعني الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكناهم وهذه الآية ترد على أهل الضلال القائلين بخلق الهدى والإيمان . **وقيل** : معنى ما كانوا ليؤمنوا أي جازاهم على كفرهم بأن طبع على قلوبهم ، **ويدل على هذا أنه قال** : كذلك نجزي القوم المجرمين .

قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ (١٤) **قيل** : يعاملكم معاملة المختبر إظهاراً للعدل . **وقيل** : النظر راجع إلى الرسل ، أي لينظر رسلنا ، وأولياؤنا كيف أعمالكم . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ (١٥) يعني لا يخافون يوم البعث والحساب ولا يرجون الثواب . **قال قتادة** : يعني مشركي أهل مكة .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ (١٦) أي لو شاء الله ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به ، **يقال** : دريت الشيء وأدراني الله به ، ودريته ودريت به . وفي الدراية معنى الختل ، ومنه دريت الرجل أي ختلته، ولهذا لا يطلق الداري في حق الله تعالى وأيضاً عدم فيه التوقيف .

قوله تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (١٨) يريد الأصنام . **وقيل** : المعنى أي يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يميز ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فيكذبون ، وهل يتهيأ لكم أن تنبئوه بما لا يعلم ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي**

آياتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (٢١) **قيل** : رخاء بعد شدة ، وخصب بعد جدب . قوله تعالى : **﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** (٢٢) . أي : يحملكم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك. **وقال الكلبي** : يحفظكم في السير. والآية تتضمن تعديد النعم فيما هي الحال بسبيله من ركوب الناس الدواب والبحر . قوله تعالى : **﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** (٢٣) أي خلصهم وأنقذهم .

والبغي : الفساد والشرك ، من بغى الجرح إذا فسد ، وأصله الطلب ، أي يطلبون بالاستعلاء بالفساد . قول الله تعالى : **﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (٢٤) معنى الآية التشبيه والتمثيل ، أي صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها كماء ، أي مثل ماء ، فالكاف في موضع رفع.

قوله تعالى : **﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** (٢٥) **لما ذكر وصف هذه الدار وهي دار الدنيا وصف الآخرة فقال** : إن الله لا يدعوكم إلى جمع الدنيا بل يدعوكم إلى الطاعة لتصيروا إلى دار السلام ، أي إلى الجنة . **قال قتادة والحسن** : السلام هو الله ، ودار الجنة ، وسميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات . ومن أسمائه سبحانه السلام . قوله تعالى : **﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** (٢٦) **روي من حديث أنس**

قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى وزيادة قال : للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم .

قوله تعالى : ﴿ **فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ (٣٢) أي هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق ، لا ما أشركتم معه ، **قال علماؤنا** : حكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والباطل منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله تعالى ، وكذلك هو الأمر في نظائرها ، وهي مسائل الأصول التي الحق فيها طرف واحد ؛ لأن الكلام فيها إنما هو في تعديد وجود ذات كيف هي ، **وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها** : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ **(المائدة:٤٨)** .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ (٣٦) يريد الرؤساء منهم ، أي ما يتبعون إلا حدساً وتخريصاً في أنها آلهة وأنها تشفع ، ولا حجة معهم . وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليداً .

قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ** ﴾ (٤٠) **قيل** : المراد أهل مكة ، أي ومنهم من يؤمن به في المستقبل وإن طال تكذيبه ، لعلمه تعالى السابق فيهم أنهم من السعادة . قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ** ﴾ (٤٢) يريد بظواهرهم ، وقلوبهم لا تعي شيئاً مما يقوله من الحق ويتلوه من القرآن ، **ولهذا قال** : أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ، أي : لا تسمع .



١١- سورة هود

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ
ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ
﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ
صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ هود: ١ - ٥

١١ ـ سورة هود

مكية في قول الحسن وعكرمة ، وأسند أبو محمد الدارمي في مسنده عن كعب قال : **قال رسول الله ﷺ** : ((**اقرؤوا سورة هود يوم الجمعة**))[1] عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة **قال** : **قالوا** : يا رسول الله نراك قد شبت **! قال** : ((**شيبتني هود وأخواتها**)). [2] **قال أبو عبد الله** : فالفزع يورث الشيب وذلك أن الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد ، وتحت كل شعره منبع ، ومنه يعرق فإذا انتشفت الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وأبيض ، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه ، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض ، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده ، فالنفس تذهل بوعيد الله وأهوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل ، وينشف ماءها ذلك الوعيد والهول الذي جاء به ، فمنه تشيب . وسورة (**هود**) فلما ذكر الأمم ، وما حل بهم من عاجل بأس الله تعالى ، فأهل اليقين إذا تلوها تراءى على قلوبهم من ملكه وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه ، فلو ماتوا من الفزع لحق لهم ، ولكن الله تبارك وتعالى اسمه يلطف بهم في تلك الأحايين حتى يقرؤوا كلامه . وأما أخواتها فما أشبهها من السور، مثل (**الحاقة**) و(**سأل سائل**) و(**إذا الشمس كورت**) و (**القارعة**) ، ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه فتذهل منه النفوس ، وتشيب منه الرؤوس .

قوله تعالى : " الر ". **تقدم القول فيه** . " **كتب** " **بمعنى هذا كتاب** . " **أحكمت آياته** " **في موضع رفع نعت لكتاب . وأحسن ما قيل في معنى** " **أحكمت آياته** " **قول قتادة** : أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل . والإحكام منع القول من الفساد ، أي نظمت نظماً محكماً لا يلحقها تناقض ولا خلل . **قال ابن عباس**

---

(1) **أخرجه** الدارمي (٢ / ٤٥٤) والمشكاة (٢١٧٤) .

(2) **صحيح** . أخرجه الطبراني (١٧ / ٢٨٧) والصحيحة (٢ / ٦٧٨ ، ٦٧٩) .

: أي لم ينسخها كتاب ، بخلاف التوراة والإنجيل . **وعلى هذا فالمعنى** : أحكم بعض آياته بأن جعل ناسخاً غير منسوخ . **قوله** : ثم فصلت ، بالوعد والوعيد والثواب والعقاب . **وقال قتادة** : أحكمها الله من الباطل ، ثم فصلها بالحلال والحرام . **قال مجاهد** : أحكمت جملة ، ثم بينت بذكر آية آية بجميع ما يحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها . **وقيل** : جمعت في اللوح المحفوظ ، ثم فصلت في التنزيل .

قوله تعالى : أن لا تعبدوا إلا الله ، **قال الكسائي والفراء** : أي بألا ، أي أحكمت ثم فصلت بألا تعبدوا إلا الله . **قال الزجاج** : لئلا ، أي أحكمت ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله . **قيل** : أمر رسوله أن يقول للناس ألا تعبدوا إلا الله . **ومعنى** : إنني لكم منه ، أي من الله . **ونذير** : أي مخوف من عذابه وسطوته لمن عصاه " **وبشير** " بالرضوان والجنة لمن أطاعه . **وقيل** : هو من قول الله أولاً وآخراً ، أي لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير ، أي الله نذير لكم من عبادة غيره ، كما قال : **﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** (آل عمران:٢٨) قوله تعالى : **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾** (٣) **أي ارجعوا إليه بالطاعة والعبادة . قال الفراء** : (**ثم**) هنا بمعنى الواو ، أي وتوبوا إليه ؛ لأن الاستغفار هو التوبة ، والتوبة هي الاستغفار . **وقيل** : استغفروه من سالف ذنوبكم ، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم . **قال بعض الصالحين** : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين . **قيل** : إنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب ، والتوبة هي السبب إليها ، فالمغفرة أول في المطلوب وآخر في السبب . ويحتمل أن يكون المعنى استغفروه من الصغائر ، وتوبوا إليه من الكبائر . " **يمتعكم متاعا حسنا** " هذه ثمرة الاستغفار والتوبة ، أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق

ورغد العيش ، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم . **وقيل** : يمتعكم يعمركم ، وأصل الإمتاع الإطالة ، ومنه أمتع الله بك ومتع . **وقال سهل بن عبد الله** : المتاع الحسن ترك الخلق والإقبال على الحق . **وقيل** : هو القناعة بالموجود ، وترك الحزن على المفقود . " **إلى أجل مسمى** " **قيل** : هو الموت . **وقيل** : القيامة .

وقيل : دخول الجنة . والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه وأمر مخوف ، مما يكون في القبر وغيره من أهوال القيامة وكربها ، والأول أظهر ، لقوله في هذه السورة : **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾** (٥٢) وهذا ينقطع بالموت وهو الأجل المسمى .

قال مقاتل : فأبوا فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فابتلوا بالقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة والقذر الجيف والكلاب . " **ويؤت كل ذي فضل فضله** " أي يؤت كل ذي عمل من الأعمال الصالحات جزاء عمله ، **وقيل** : ويؤت كل من فضلت حسناته على **سيئاته (فضله)** أي الجنة ، وهي فضل الله، فالكناية في **قوله** : **(فضله)** ترجع إلى الله تعالى . **قال مجاهد** : هو ما يحتسبه الإنسان من كلام يقوله بلسانه ، أو عمل يعمله بيده أو رجله ، أو ما تطوع به من ماله فهو فضل الله ، يؤتيه ذلك إذا آمن ، ولا يتقبله منه إن كان كافراً . **ومعنى** : وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ، أي يوم القيامة ، وهو كبير لما فيه من الأهوال .

وقيل : اليوم الكبير هو يوم بدر وغيره : **و** " **تولوا** " يجوز أن يكون ماضياً ، **ويكون المعنى** : وإن تولوا فقل لهم إني أخاف عليكم . **ويجوز أن يكون مستقبلاً حذفت منه إحدى التاءين والمعنى** : قل لهم إن تتولوا فإني أخاف عليكم. قوله تعالى : **﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** (٤) أي بعد الموت ، **وهو على كل شيء قدير** : من ثواب وعقاب . قوله تعالى : **﴿ ألا**

إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٥) أخبر عن معاداة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين ، ويظنون أنه تخفى على الله أحوالهم . " **يثنون صدورهم** " أي يطوونها على عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف ، **قال ابن عباس** : يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ، ويظهرون خلافه .

نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنطق ، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ، وينطوي له بقبله على ما يسوء . **وقال الحسن** : يثنونها على ما فيها من الكفر . **وقيل** : نزلت في بعض المنافقين ، كان إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره وظهره ، وطأطأ رأسه وغطى وجه لكيلا يراه النبي ﷺ فيدعوه إلى الإيمان .

قيل : قال المنافقون : إذا غلقنا أبوابنا، واستغشينا ثيابنا ، وثنينا صدورنا على عداوة محمد فمن يعلم بنا ؟ فنزلت الآية . **وقيل** : إن قوماً من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء ، فبين الله تعالى أن التنسك ما اشتملت عليه قلوبهم من معتقد ، وأظهروه من قول وعمل . قوله تعالى : **﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾** (٦) (**ما**) نفي و (**من**) زائدة و (**دابة**) في موضع رفع ، **التقدير** : وما دابة . " **إلا على الله رزقها** " (**على**) بمعنى (**من**) ، **أي من الله رزقها** ، **يدل عليه قول مجاهد** : كل ما جاؤها من رزق فمن الله . **وقيل** : (**على الله**) أي فضلاً لا وجوباً .

وقيل : وعداً منه حقاً . وقد تقدم بيان هذا المعنى في (**النساء**) وأنه سبحانه لا يجب عليه شيء . **قيل : هي عامة في كل دابة** : ولك دابة لم ترزق رزقاً تعيش به فقد رزقت روحها ، **ووجه النظم بما قبل** : أنه سبحانه أخبر برزق الجميع ، وأنه لا يغفل عن تربيته فكيف تخفى عليه أحوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم؟! والدابة كل حيوان يدب والرزق حقيقته ما يتغذى به الحي ، ويكون

فيه بقاء روحه ونماء جسده . ولا يجوز أن يكون الرزق بمعنى الملك ؛ لأن البهائم ترزق وليس يصح وصفها بأنها مالكة لعلفها ، **وهكذا الأطفال ترزق اللبن ولا يقال** : إن اللبن الذي في الثدي ملك للطفل . وقال تعالى : ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ **(الذريات:٢٢)** وليس لنا في السماء ملك ؛ ولأن الرزق لو كان ملكاً لكان إذا أكل الإنسان من ملك غيره أن يكون قد أكل من رزق غيره ، وذلك محال ؛ لأن العبد لا يأكل إلا رزق نفسه .

وقيل لبعضهم : من أين تأكل ؟ **فقال** : الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين ، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق . **وقيل لأبي أسيد** : من أين تأكل ؟ **فقال** : سبحان الله والله أكبر! إن الله يرزق الكلب أفلا يرزق أبا سيد! . **وقيل لحاتم الأصم** : من أين تأكل ؟ **فقال** : من عند الله ، **فقيل له** : الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء ؟ **فقال** : كأن ما له إلا السماء ! يا هذا الأرض له والسماء له فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ** ﴾ (٩) الإنسان اسم شائع للجنس في جميع الكفار . **ويقال** : إن الإنسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت . **وقيل** : في عبد الله بن أبي أمية المخزومي .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ** ﴾(١٠) أي صحة ورخاء وسعة في الرزق . قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ (١١) يعني المؤمنين ، مدحهم بالصبر على الشدائد . وهو في موضع نصب . **قال الأخفش** : هو استثناء ليس من الأول ، أي لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالتي النعمة والمحنة .

قوله تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ (١٢) أي : فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك

عن بعض ما أنت عليه . **وقيل : إنهم لما قالوا** : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، هم أن يدع سب آلهتهم فنزلت هذه الآية . قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (١٣) (أم) بمعنى بل ، أي قد أزحت علتهم وإشكالهم في نبوتك بهذا القرآن ، وحجتهم به ، **فإن قالوا** : افتريته ــ **أي اختلقته** ــ فليأتوا بمثله مفترى بزعمهم .

قوله تعالى : ﴿ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (١٤) أي في المعاوضة ولم تتهيأ لهم فقد قامت عليهم الحجة ، إذ هم اللسن البلغاء ، وأصحاب الألسن الفصحاء . **والمعنى** : فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المعاونة ، ولا تهيأت لكم المعاوضة ، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله .

قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ** ﴾ (١٥) اختلف العلماء في تأويل هذه الآية ، **فقيل** : نزلت في الكفار . **وقيل** : المراد بالآية المؤمنون ، أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئاً في الدنيا ، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا .

قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١٦) إشارة إلى التخليد، والمؤمن لا يخلد ، لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ **(النساء:٤٨)** قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُون** ﴾**(١٩) قيل** : هو ابتداء خطاب من الله تعالى ، أي هم الذين يصدقون أنفسهم وغيرهم عن الإيمان والطاعة . قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ**

السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٠) أي فائتين من عذاب الله . **وقال ابن عباس** : لم يعجزوني أن آمر الأرض فتنخسف بهم . قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** (٢٣) **(الذين)** اسم **(إن)** و **(آمنوا)** صلة ، أي صدقوا . **"وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم "** عطف على الصلة .

قال ابن عباس : أخبتوا أنابوا. **قال الحسن** : الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب ، وأصل الإخبات الاستواء ، من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة : فالإخبات الخشوع والاطمئنان ، أو الإنابة إلى الله عز وجل المستمرة ذلك على استواء . قوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾** (٢٥) ذكر سبحانه قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ﷺ تنبيهاً له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم .

قوله تعالى : **﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾** (٧٩) روي أن قوم لوط خطبوا بناته فردهم ، وكانت سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً ، **فذلك قوله تعالى** : قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وبعد ألا تكون هذه الخاصية . فوجه الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلق ، ولا هن قصدنا ، ولا لنا عادة نطلب ذلك .

قوله تعالى : **﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾** (٩١) أي ما نفهم ، لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور ، وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله . **وقيل** : قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه ، واحتقاراً لكلامه ، **يقال** : فقه يفقه إذا فهم فقهاً ، **وحكى الكسائي** : فقه فقهاً وفقهاً إذا صار فقيهاً . قوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾** (١١٠) **الكلمة** : أن الله عز وجل حكم أن يؤخرهم إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح ، ولولا ذلك لقضي بينهم أجلهم.

١٢ ـ سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ يوسف: ١ ـ ٥

♣ ١٢ـ سـورة يوسف♣

قوله تعالى : (آلر) اسم السورة ، أي هذه السورة المسماة : **﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** يعني بالكتاب المبين ، أي المبين حلاله وحرامه ، وحـدوده وأحكامـه وهداه وبركته . **وقيل** : أي هذه تلك الآيات التي كنتم توعدون بها في التـوراة . قوله تعالى : **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ﴾** (٢) **يجـوز أن يكـون المعنى** : إنا أنزلنا القرآن عربياً . أي لكي تعلموا معانيه ، وتفهموا مـا فيـه ، وبعض العرب يأتي بأن مع (**لعل**) تشبيهاً بعسى . واللام فـي (**لعـل**) زائـدة للتوكيد . **وقيل** : **لعلكم تعقلون** : أي لتكونوا على رجاء من تدبره ، فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب ، ولا إلى الله عز وجل . **وقيل** : **معنى أنزلنـاه** : أي أنزلنا خبر يوسف .

قال النحاس : وهذا أشبه بالمعنى ، لأنه يروى أن اليهود ، **قالوا** : سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر ؟ وعن خبر يوسف ، فأنزل الله عز وجـل هـذا بمكة موافقاً لما في التوراة ، وفيه زيادة ليست عندهم . فكان هذا للنبي ﷺ ــ **إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب** ــ بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميت على ما يأتي فيه . قوله تعالى : **﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِـنَ الْغَـافِلِينَ﴾** (٣) **التقدير** : قصصنا أحسن القصص . وأصل القصص تتبع الشيء ، ومنـه قولـه تعالى : **﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِـهِ عَـنْ جُنُـبٍ وَهُـمْ لا يَـشْعُرُونَ﴾** (**القصص:١١**) أي تتبعي أثره ، فالقاص يتبع الآثار فيخبر بها . والحسن يعـود إلى القصص لا إلى القصة . **يقال** : فلان حسن الاقتصاص للحـديث أي جيـد السياقة له .

قوله تعالى : **﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾** (**يوسف:٤**) أي اذكر لهم حين قال يوسف .

قول الله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ (٥) أي يحتالوا في هلاكك ؛ لأن تأويلها ظاهر ، فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ . والرؤيا حالة شريفة ، ومنزلة رفيعة ، قال ﷺ : ((**لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو ترى له**))[1] قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٦) **قيل** : (**وكذلك**) أي كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك ، ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا . **قال مقاتل** : بالسجود لك . **قال الحسن** : بالنبوة . والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى وأصله من جبيت الشيء أي حصلته ، ومنه جبيت الماء في الحوض . وهذا ثناء الله تعالى على يوسف عليه السلام ، وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى ، من التمكين في الأرض ، وتعليم تأويل الأحاديث ، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا . **قال عبد الله بن شداد بن الهاد** : كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة ، وذلك منتهى الرؤيا . وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام ، وهي معجزة له ، فإنه لم يلحقه فيها خطأ . وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها وكان نبينا ﷺ نحو ذلك ، وكان الصديق ﷺ من أعبر الناس لها ، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم ، والطبع والإحسان ، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا .

قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ** ﴾ (٧) يعني من سأل عن حديثهم . وقرأ أهل مكة (آية) على التوحيد ، واختار أبو عبيد (آيات) على الجمع ، **قال** : لأنها خير كثير . **قال النحاس** : و (آية) هنا قراءة حسنة أي : لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خبروا به ، لأنهم سألوا النبي

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (٩ / ٤٠ ، فتح) والصحيحة (ح / ٤٧٤) .

ﷺ وهو بمكة ، **فقالوا** : أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر ، فبكى عليه حتى عمي ؟ **ـ ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ، ولا من يعرف خبر الأنبياء ، وإنما وجه اليهود إليهم من المدينة يسألونه عن هـذا ـ** فأنزل الله عز وجل سورة (يوسف) جملة واحدة ، فيها كل ما في التـوراة مـن خبر وزيادة ، فكان ذلك آية للنبي ﷺ ، بمنزلة إحياء عيسى ابـن مـريم عليـه السلام الميت . (**آيات**) موعظة .

وقيل : عبرة . **قال الثعلبي في تفسيره** : لما بلغت الرؤيا أخوة يوسف حسدوه ، **وقال ابن زيد** : كانوا أنبياء ، **وقالوا** : ما يرضى أن يسجد له إخواته حتى يسجد له أبواه ! فبغوا بالعداوة .

قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ (٨) العصبة ما بين الواحد إلى العشرة ، **وقيل** : إلى الخمسة عشر . **وقيل** : ما بين الأربعين إلى العشرة ، ولا واحد لها من لفظهـا كـالنفر والرهط .

قوله تعالى : ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ** ﴾ (٩) في الكلام حذف ، **أي قال قائل مـنهم** : (**اقتلـوا يوسف**) ليكون أحسم لمادة الأمر . **قال النحاس** : إلا أنه في الآية حسن كثيـر ، لأنه يتعدى إلى مفعولين ، أحدهما بحرف ، فإذا حذفت الحرف تعدى الفعل إليـه **والقائل قيل** : هو شمعون .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ (١٠) القائل هو يهوذا ، وهو أكبر ولد يعقوب **وقيل** : روبيل ، وهو ابن خالته ، وهو الذي قال : (**فلن أبرح الأرض**) الآيـة . **وقيل** : شمعون . والسيارة الجمع الذي يسيرون في الطريق للسفر ، وإنما قـال القائل هذا حتى لا يحتاجوا إلى حمله إلى موضع بعيد ويحصل المقصود ، فـإن من التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد ، وكان هذا وجهاً في التدبير حتى

لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم ، فربما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يطلع على قصدهم . وفي هذا ما يدل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أولاً ولا آخراً لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم ، بل كانوا مسلمين ، فارتكبوا معصية ثم تابوا . **وقيل** : كانوا أنبياء ، ولا يستحيل في العقل زلة نبي ، فكانت هذه زلة منهم ، وهذا يرده أن الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدمناه .

وقيل : ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبأهم الله ، وهذا أشبه ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ** ﴾ (١١) **قيل للحسن : أيحسد المؤمن ؟ قال** : ما أنساك ببني يعقوب ! **ولهذا قيل** : الأب جلاب والأخ سلاب ، فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال .

وقالوا ليعقوب : "يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف" وقيل : لما تفاوضوا وافترقوا على رأي المتكلم الثاني عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول وفيه دليل على أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى .

قوله تعالى : ﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (١٢) أي إلى الصحراء . والمعنى : نستبق في العدو إلى غاية بعينها ، وكذا (**يرتع**) بإسكان العين ، إلا أنه ليوسف وحده ﷺ . و (**يرتع**) بكسر العين من رعي الغنم ، أي ليتدرب بذلك ويترجل ، فمرة يرتع ، ومرة يلعب لصغره .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُون** ﴾(١٣) أخبر عن حزنه لغيبته . " **وأخاف أن يأكله الذئب** " وذلك أنه رأى في منامه أن الذئب شد على يوسف ، فلذلك خافه عليه . **قيل** : إنه رأى في منامه كأنه على ذروة جبل ، وكأن يوسف في بطن الوادي ، فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته تريد أكله ، فدرأ عنه واحد ، ثم انشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام ، فكانت العشرة أخوته ، لما تمالئوا على قتله ، والذي دافع عنه أخوه الأكبر يهوذا ، وتواريه في الأرض هو مقامه في الجب ثلاثة أيام

قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ** ﴾ (١٤) أي جماعة نرى الذئب ثم لا نرده عنه . **وقيل** : "**لخاسرون**" لجاهلون بحقه . **وقيل** : **لعاجزون** .

قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾(١٥) إن يعقوب عليه السلام لما أرسله معهم أخذ عليهم ميثاقاً غليظاً ليحفظنه ، **وسلمه إلى روبيل وقال** : يا روبيل ! إنه صغير ، وتعلم يا بني شفقتي عليه ، فإن جاع فأطعمه ، وإن عطش فاسقه ، وإن أعيا فاحمله ثم عجل برده إلي . **قال** : فأخذوا يحملونه على أكتافهم لا يضعه واحد إلاَّ رفعه آخر ، ويعقوب يشيعهم ميلا ثم رجع ، فلما انقطع بصر أبيهم عنهم رماه الذي كان يحمله إلى الأرض حتى كاد ينكسر ، فالتجأ إلى آخر فوجد عند كل واحد منهم أشد مما عند الآخر من الغيظ والعسف ، فاستغاث بروبيل . وقال : " **أنت أكبر إخوتي ، والخليفة من بعد والدي عليَّ ، وأقرب الأخوة إلي فارحمني وارحم ضعفي** " **فلطمه لطمة شديدة ، وقال** : لا قرابة بيني وبينك ، فادع الأحد عشر كوكباً فلتنجك منا ، فعلم أن حقدهم من أجل رؤياه ، فتعلق بأخيه يهوذا ، **وقال** : يا أخي ! ارحم ضعفي وعجزي وحداثة سني ، وارحم قلب أبيك يعقوب ، **فما أسرع ما تناسيتم وصيته ونقضتم عهده ، فرق قلب يهوذا فقال** : والله لا يصلون إليك أبداً ما دمت حياً ، **ثم قال** : يا أخوتاه ! إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الخطايا ، فردوا هذا الصبي إلى أبيه ، ونعاهده ألا يحدث والده بشيء مما جرى أبداً ، **فقال له أخوته** : والله ما تريد إلا أن تكون لك المكانة عند يعقوب ، والله لئن لم تدعه لنقتلنك معه ، **قال** : فإن أبيتم إلا ذلك فها هنا هذا الجب الموحش القفر ، الذي هو مأوى الحيات والهوام فألقوه فيه ، فإن أصيب بشيء من ذلك فهو المراد ، وقد استرحتم من دمه ، إن انفلت على أيدي سيارة يذهبون به إلى أرض فهو المراد ، فأجمع رأيهم على ذلك .

١٣- سورة الرعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الرعد: ١ - ٣

١٣ـ سورة الرعد

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٢) لما بين تعالى أن القرآن حق ، بين أن من أنزله قادر على الكمال ، فانظروا في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته .

وقوله : "**بغير عمد ترونها**" ، **قولان** : **أحدهما** : أنها مرفوعة بغير عمد ترونها ، قاله قتادة وإياس بن معاوية وغيرهما . **الثاني** : لها عمد ، ولكنا لا نراه ، **قال ابن عباس : لها عمد على جبل قاف، ويمكن أن يقال على هذا القول** : العمد قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض ، وهي غير مرئية لنا، ذكره الزجاج . **وقال ابن عباس أيضاً** : هي توحيد المؤمن . أعمدت السماء حين كادت تنفطر من كفر الكافر ، والعمد جميع عمود . **قوله تعالى** : "**وسخر الشمس والقمر**" ، أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده ، وكل مخلوق مذلل للخالق . كل يجري لأجل مسمى ، أي إلى وقت معلوم ، وهو فناء الدنيا ، وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس ، ويخسف القمر ، وتنكدر النجوم ، وتنتثر الكواكب . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) لما بين آيات السماوات بين آيات الأرض ، أي : بسط الأرض طولاً وعرضاً . وجعل فيها رواسي ، أي جبالاً ثوابت ، واحدها راسية ؛ لأن الأرض ترسو بها أي : تثبت ، والإرساء الثبوت .

قوله تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) في الكلام حذف ، **المعنى** : وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات ، كما قال : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (النحل:٨١) والمعنى : وتقيكم البرد ، ثم حذف لعلم السامع . **والمتجاورات** : المدن وما كان عامراً ، وغير متجاورات الصحارى وما كان غير عامر . **وقيل : متجاورات** : أي قرى متدانيات ، ترابها واحد ، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات ، ثم تتفاوت في الثمار والتمر ، فيكون البعض حلواً ، والبعض حامضاً ، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغير والكبر واللون والمطعم ، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد ، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته ، والإرشاد لمن ضل عن معرفته ، **فإنه نبه سبحانه بقوله** : يسقى بماء واحد ، على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته ، وأنه مقدور بقدراته ، وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع ، إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف . ووجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع ، فمن تربة عذبة ، ومن تربة سبخة مع تجاورهما ، وهذا أيضاً من دلالات كما قدرته ، جل وعز تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . ذهبت الكفرة **ـ لعنهم الله ـ** إلى أن كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع ، وادعوا ذلك في الثمار الخارجة من الأشجار ، وقد أقروا بحدوثها ، وأنكروا محدثها ، وأنكروا الأعراض .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (٥) أي إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين فأعجب منه تكذيبهم بالبعث ، والله تعالى لا يتعجب ، ولا يجوز عليه التعجب ، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه ، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون . **وقيل المعنى : أي** : إن عجبت يا محمد من إنكارهم الإعادة مع إقرارهم بأني خالق السماوات والأرض والثمار المختلفة من الأرض الواحدة

فقولهم عجب يعجب منه الخلق ؛ لأن الإعادة في معنى الابتداء . **وقيل :** الآية في منكري الصانع ، أي إن تعجب من إنكارهم الصانع مع الأدلة الواضحة بأن المتغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب، ونظم الآية يدل على الأول والثاني لقوله : ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (٥) قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (٦) أي لفرط إنكارهم وتكذيبهم يطلبون العذاب ، قيل هو قولهم : ﴿ **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ **(الأنفال:٣٢)** .

قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ (٨) أي من ذكر وأنثى ، صبيح وقبيح ، صالح وطالح . **واختلف العلماء في تأويل قوله :** وما تغيض الأرحام وما تزداد ، **فقال قتادة :** المعنى ما تسقط قبل التسعة الأشهر ، وما تزداد فوق التسعة .

قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾ (٩) أي هو عالم بما غاب عن الخلق ، وبما شهدوه . فالغيب مصدر الغائب . والشهادة مصدر بمعنى الشاهد، فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب ، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق ، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد ، فأما أهل الطب الذي يستدلون بالإمارات والعلامات فإن قطعوا بذلك فهو كفر، وإن قالوا إنها تجربة تركوا وما هم عليه ، ولم يقدح ذلك في الممدوح ، فإن العادة يجوز انكسارها ، والعلم لا يجوز تبدله . قوله تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾ (١٠) **إسرار القول :** ما حدث به المرء نفسه والجهر ما حدث به غيره ، والمراد بذلك أن الله سبحانه يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر، كما يعلم ما جهر به من خير وشر . **و (منكم)** يحتمل أن يتعلق

(**بسواء) على معنى** : يستوي منكم ، **كقولك** : مررت بزيد . ويجوز أن يكون **على تقدير** : سر من أسر منكم وجهر من جهر منكم . **ويجوز أن يكون التقدير : ذو سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، كما تقول : عدل زيد وعمرو أي ذوا عدل . وقيل** : (**سواء**) أي مستو ، فلا يحتاج إلى تقدير حذف مضاف

قوله تعالى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾ (١١) أي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار ، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار . **وقال** : (**معقبات**) والملائكة ذكران لأنه جمع معقبة ، **يقال** : ملك معقب ، وملائكة معقبة ، ثم معقبات جمع الجمع . وقيل للملائكة معقبة على لفظ الملائكة . **وقيل** : أنث لكثرة ذلك منهم ، نحو نسابة وعلامة ورواية ، والتعقب العود بعد البدء .

قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** ﴾ (١٢) أي بالمطر . (**والسحاب**) جمع ، والواحدة سحابة ، وسحب وسحائب في الجمع أيضاً . والمراد بالآية بيان كمال قدرته ، وأن تأخير العقوبة ليس عن عجز ، أي يريكم البرق في السماء خوفاً للمسافر ، فإنه يخاف أذاه لما يناله من المطر والهول والصواعق . قوله تعالى : ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴾ (١٤) أي لله دعوة الصدق . **قال الحسن** : إن الله هو الحق ، فدعاؤه دعوة الحق . **وقيل** : إن الإخلاص في الدعاء هو دعوة الحق ، قاله بعض المتأخرين .

وقيل : دعوة الحق دعاؤه عند الخوف ، فإنه لا يدعى فيه إلا إياه ، كما قال : ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** ﴾ (**الإسراء:٦٧**) .

قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ**

بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ (١٥) قال الحسن وقتادة وغيرهما : المؤمن يسجد طوعاً ، والكافر يسجد كرهاً بالسيف . **وعن قتادة أيضاً** : يسجد الكافر كارهاً حين لا ينفعه الإيمان . **قال القشيري : وفي الآية مسلكان : أحدهما** : أنها عامة والمراد بها التخصيص ، فالمؤمن يسجد طوعاً ، وبعض الكفار يسجدون إكراهاً وخوفاً كالمنافقين ، فالآية محمولة على هؤلاء ، **وقيل : على هذا القول** : الآية في المؤمنين ، منهم من يسجد طوعاً لا يثقل عليه السجود ، ومنهم من يثقل عليه ، لأن التزام التكليف مشقة ، ولكنهم يتحملون المشقة إخلاصاً وإيماناً ، إلى أن يألفوا الحق ويمرنوا عليه .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١٦)** أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن **يقول للمشركين** : قل من رب السماوات والأرض، ثم أمره أن يقول لهم : هو الله إلزاماً للحجة إن لم يقولوا ذلك ، وجهلوا من هو .

قوله تعالى : ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾ (١٧)** ضرب مثلاً للحق والباطل ، فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء ، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية ، وتدفعه الرياح ، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل ، على ما نبينه . قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (٢٠)** هذا من صفة ذوي الألباب ، أي إنما يتذكر أولو الألباب الموفون بعهد الله . والعهد اسم للجنس ، أي بجميع عهود الله ، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض ، وتجنب جميع المعاصي .

١٤- سورة إبراهيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ١ - ٤

١٤ ـ سورة إبراهيم

قوله تعالى : ﴿ **اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ (٢) أي ملكاً وعبيداً واختراعاً وخلقاً . قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ** ﴾ (٣) أي يختارونها على الآخرة ، والكافرون يفعلون ذلك وكل من آثر الدنيا وزهرتها ، واستحب البقاء في نعيمها على النعيم في الآخرة وصد عن سبيل الله ـ أي صرف الناس عنه وهو دين الله ، الذي جاءت به الرسل ، فهو داخل في هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (٤) أي : قبلك يا محمد ، إلا بلسان قومه ، أي بلغتهم ، ليبينوا لهم أمر دينهم ، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة ، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية ؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (سبأ:٢٨) .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ (٥) أي بحجتنا وبراهيننا أي بالمعجزات الدالة على صدقه . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ (٧) **قيل** : هو من قول موسى لقومه . **وقيل** : هو من قول الله ، أي واذكر يا محمد إذ قال ربك كذا . وتأذن وأذن بمعنى أعلم ، مثل أوعد وتوعد ، روي معنى ذلك عن الحسن وغيره . قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ (٨) أي لا يلحقه بذلك نقص ، بل هو الغني . **الحميد** : أي

المحمود . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٩) النبأ الخبر، والجمع الأنباء ، **قال : ألم يأتيك والأنباء تنمي ثم قيل** : هو من قول موسى . **وقيل** : من قول الله ، أي واذكر يا محمد إذ قال ربك كذا . **وقيل** : هو ابتداء خطاب من الله تعالى . وخبر قوم نوح وعاد وثمود مشهور قصه الله في كتابه . قول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (١٠) استفهام معناه الإنكار ، أي لا شك في الله ، أي في توحيده ، قاله قتادة . **وقيل** : في طاعته .

ويحتمل وجهاً . أفي قدرة الله شك ؟! لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها . قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (١٥) أي واستنصروا ، أي أذن للرسل في الاستفتاح على قومهم ، والدعاء بهلاكهم ، قاله ابن عباس وغيره ، **قال ابن زيد** : استفتحت الأمم بالدعاء كما قالت قريش : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال:٣٢) .

قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (١٦) أي من وراء ذلك الكافر جهنم ، أي من بعد هلاكه. ووراء بمعنى بعد . قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٨) **المعنى** : أعمالهم محبطة غير مقبولة . **والرماد** : ما بقي بعد احتراق الشيء ، فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف . والعصف شدة الريح ، وإنما كان ذلك لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٢١) أي برزوا من قبورهم ، يعني يوم القيامة . والبروز الظهور . والبراز المكان الواسع لظهوره ، ومنه امرأة برزة أي تظهر للناس ، فمعنى ، برزوا : ظهروا من قبورهم .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٢) . **قال الحسن** : يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً.

ومعنى : لما قضي الأمر : أي حصل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، على ما يأتي بيانه في ـ مريم ـ عليها السلام .

قول الله تعالى : ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ (٢٣) أي في جنات لأن دخلت لا يتعدى ، كما لا يتعدى نقيضه وهو خرجت ، ولا يقاس عليه ، قاله المهدوي . ولما أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة أيضاً .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢٤) لما ذكر تعالى مثل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، ذكر مثل أقوال المؤمنين وغيرها ، ثم فسر **ذلك المثل فقال : كلمة طيبة** : الثمر ، فحذف لدلالة الكلام عليه . **قال ابن عباس** : الكلمة الطيبة لا إله إلا الله والشجرة الطيبة المؤمن .

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (٢٦) الكلمة الخبيثة كلمة الكفر . **وقيل** : الكافر نفسه . والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل كما في حديث أنس ، وهو قول ابن عباس ومجاهد

وغيرهما ، **وعن ابن عباس أيضاً** : أنها شجرة لم تخلق على الأرض . **وقيل** : هي شجرة الثوم ، عن ابن عباس أيضاً . **وقيل** : الكمأة والطحلبة . **وقيل** : الكشوت ، وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الأرض . قوله تعالى : **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾** (٣٠) أي أصناماً عبدوها .

قوله تعالى : **﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾** (٣٢) أي أبدعها واخترعها على غير مثال سبق . قوله تعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾** (٣٥) يعني مكة . قوله تعالى : **﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** (٣٦) لما كانت سبباً للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازاً ، فإن الأصنام جمادات لا تفعل . فمن تبعني ، في التوحيد . فإنه مني ، أي من أهل ديني . ومن عصاني ، أي أصر على الشرك . **روى البخاري عن ابن عباس** : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاه فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل ، **فقالت** : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، **فقالت له** : الله أمرك بهذا ؟ **قال** : نعم . **قالت** : إذا لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه **فقال** : **﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**

وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ **أو قال يتلبط** ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ، رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، ثم جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليه ، فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، **قال ابن عباس :** قال النبي ﷺ : ((**فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه ! تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : ((يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال : لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينا معيناً ، قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله))** [1] .

قول الله تعالى : **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨)** أي : ليس يخفى عليك شيء من أحوالنا .

****

---

[1] **صحيح** . أخرجه البخاري (٣ / ١٤٧ ، فتح) وعبد الرزاق (٩١٠٧) .

١٥- سورة الحجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ الحجر: ١ - ٧

١٥ ـ سورة الحجر

قوله تعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) صفة له ، أي رب شيء يود الكافر . **وقال : ربما يود** : وهي إنما تكون لما وقع ؛ لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان . **وخرج الطبراني أبو القاسم من حديث جابر بن عبد الله قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**إن ناساً من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار ــ ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾**. **قال الحسن** : إذا رأى المشركون المسلمين وقد دخلوا الجنة ومأواهم في النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين . **وقال الضحاك** : هذا التمني إنما هو عند المعاينة في الدنيا حين تبين لهم الهدى من الضلالة . **وقيل** : في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين وذلك الكافرين .

قوله تعالى : **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) تهديد لهم . ويلههم الأمل** : أي يشغلهم عن الطاعة . **يقال** : ألهاه عن كذا أي شغله . ولهي هو عن الشيء يلهى . **فسوف يعلمون** : إذا رأوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا . وهذه الآية منسوخة بالسيف . **الثانية** : **في مسند البزار عن أنس قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا**))[1]وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ، ولم يفارقه داء ولا نجع فيه دواء ، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء . **وحقيقة الأمل** : الحرص على الدنيا والانكباب عليها ، والحب لها والإعراض عن الآخرة . وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد** ،

---

[1] **المیزان** : (٩١٩٨) .

ويهلك آخرها بالبخل والأمل)) [1] **ويروى عن أبي الدرداء ﷺ أنه قام على درج مسجد دمشق فقال** : يا أهل دمشق ، ألا تسمعون من أخ لكم ناصح ، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيدا ، فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غرورا . هذه عاد قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً ، فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين ! . وصدق ﷺ ! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ، ويعقب التشاغل والتقاعس ، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى . وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان ، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل ، ويحيل على المبادرة ، ويحث على المسابقة .

قوله تعالى : **﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾** (٨) **ومعنى** : إلا بالحق ن إلا بالقرآن . وقيل بالرسالة ، عن مجاهد . **وقال الحسن** : إلا بالعذاب إن لم يؤمنوا . **وما كانوا إذا منظرين** : أي لو تنزلت الملائكة بإهلاكهم لما أمهلوا ولا قبلت لهم توبة . **وقيل** : المعنى لو تنزلت الملائكة تشهد لك فكفروا بعد ذلك لمن ينظروا

قوله تعالى : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** (٩) يعني القرآن . **وإنا له لحافظون** : من أن يزاد فيه أو ينقص منه . **قال قتادة وثابت البناني** : حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً أو تنقص منه حقاً ، فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً . **قال الحسين بن فهم : سمعت يحيى بن أكثم يقول : كان للمأمون ــ وهو أمير إذ ذاك ــ** مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، **قال** : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، **قال** : فلما تقوض **المجلس دعاء المأمون فقال له** : إسرائيلي ؟ **قال** : نعم . **قال له** : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ، ووعده . **فقال** : ديني ودين آبائي !

---

[1] **الترغيب** : (٤ / ٢٤١) .

وانصرف . **قال** : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً ، **قال** : فتكلم على الفقه فأحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون ، **وقال** : ألست صاحبنا بالأمس ؟ **قال له** : بلى . **قال** : فما كان سبب إسلامك ؟ **قال** : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت تراني حسن الخط ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي . **قال يحيى بن أكثم** : فحججت تلك السنة **فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي** : مصداق هذا في كتاب الله عز وجل . **قال** : **قلت** : في أي موضع ؟ **قال** : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ **(المائدة:٤٤)** فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (٩) حفظه الله عز وجل علينا فلم يضع . **وقيل** : وإنا له لحافظون ، أي لمحمد ﷺ من أن يتقول علينا أو نتقول عليه . أو : إنا له لحافظون ، من أن يكاد أو يقتل . و**المعنى** : ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً ، فحذف والشيع جمع شيعة وهي الأمة ، أي في أممهم ، قاله ابن عباس وقتادة . **وقال الحسن** : في فرقهم . **والشيعة** : الفرقة والطائفة من الناس المتآلفة المتفقة الكلمة فكأن الشيع الفرق

****

١٦- سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا
دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ النحل: ١ - ٥

١٦ ـ سورة النحل

لما فنزلت : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (١) فوثب رسول الله ﷺ والمسلمون وخافوا فنزلت : ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فاطمأنوا ، فقال النبي ﷺ : ((**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه : السبابة والتي تليها . يقول : أن كادت لتسبقني فسبقتها**)) **وقال ابن عباس** : كان بعث ﷺ من أشراط الساعة ، وأن جبريل لما مر بأهل السماوات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا الله أكبر ، قد قامت الساعة .
قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (٣) أي للزوال والفناء . **وقيل** : بالحق ، أي للدلالة على قدرته ، وأن له أن يتعبد العباد بالطاعة وأن يحيي الخلق بعد الموت .

قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾ (٤) لما ذكر الدليل على توحيده ذكر بعده الإنسان ومناكدته وتعدي طوره . والإنسان اسم للجنس . وروي أن المراد به أبي بن خلف الجمحي ، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم ، **فقال : أترى يحيي الله هذا بعد ما قد رم** . وفي هذا أيضاً نزل : ﴿ **وَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾ (يس:٧٧) أي خلق الإنسان من ماء يخرج من بين الصلب والترائب ، فنقله أطواراً إلى أن ولد ونشأ بحيث يخاصم في الأمور . فمعنى الكلام التعجيب من الإنسان : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ (يس:٧٨) **هو خصيم** : أي مخاصم ، كالنسيب بمعنى المناسب . أي يخاصم الله عز وجل في قدرته . **ومبين** : أي ظاهر الخصومة . **وقيل** : يبين عن نفسه الخصومة بالباطل . **والمبين** : هو المفصح عما في ضميره بمنطقه . قوله تعالى : ﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ (٥) لما ذكر الإنسان ذكر ما من به عليه **والأنعام** : الإبل والبقر والغنم . **وأكثر ما يقال** : نعم وأنعام للإبل ، ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفردة . قوله تعالى : ﴿ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ**

تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧) الأثقال أثقال الناس من متاع وطعام وغيره ، وهو ما يثقل الإنسان حمله . وقيل : المراد أبدانهم، يدل على ذلك قوله تعالى : **﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾(الزلزلة:٢)** والبلد مكة في قول عكرمة . **وقيل** : هو محمول على العموم في كل بلد مسلكه على الطهر **وشق الأنفس** : مشقتها وغاية جهدها . **والشق أيضاً بالكسر النصف ، يقال** : أخذت شق الشاة وشقة الشاة . وقد يكون المراد من الآية هذا المعنى ، أي لم تكونوا بالغيه إلا بنقص من القوة وذهاب شق منها ، أي لم تكونوا تبلغوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب النصف الآخر. والشق أيضاً الناحية من الجبل .

قوله تعالى : **﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (٨)** سميت الخيل خيلا لاختيالها في المشية . وواحد الخيل خائل ، كضائن واحد ضين . وقيل لا واحد له . لما أفرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل على أنها لم تدخل تحت لفظ الأنعام .

وقيل : دخلت ولكن أفردها بالذكر لما يتعلق بها من الركوب ، فإنه يكثر في الخيل والبغال والحمير . **قال العلماء** : ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب وذللها لنا وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى لنا ، وما ملكه الإنسان وجاز له تسخيره من الحيوان فكراؤه له جائز بإجماع أهل العلم ، لا اختلاف بينهم في ذلك . وحكم كراء الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه .

قوله تعالى : **﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩)** أي على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان . **والسبيل** : الإسلام ، أي على الله بيانه بالرسل والحجج والبراهين . **وقصد السبيل** : استعانة الطريق .

يقال : طريق قاصد أي يؤدي إلى المطلوب . ومنها جائر ، أي ومن السبيل جائر ، أي عادل عن الحق فلا يهتدي به . قوله تعالى : **﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾**

(١١) أنبت الغلام نبتت عانته . ونبت الشجر غرسه ، **يقال** : نبت أجلك بين عينيك . ونبت الصبي تنبيتاً ربيته . والمنبت موضع النبات ، **يقال** : ما أحسن نابتة بني فلان ، أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم . ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار . وإن بني فلان لنابتة شر . والنوابت من الأحداث الأغمار والنبيت حي من اليمن . والينبوت شجر ، كله عن الجوهري . **والزيتون : جمع زيتونة .**

ويقال للشجرة نفسها : زيتونة ، وللثمرة زيتونة . قوله تعالى : **﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾** (١٤) تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره ، وهذه نعمة من نعم الله علينا، فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا. وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده.

وسماه هنا لحماً واللحوم عند مالك ثلاثة أجناس : فلحم ذوات الأربع جنس ، ولحم ذوات الريش جنس ، ولحم ذوات الماء جنس فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلاً ، ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلاً وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك يجوز متفاضلاً .

وقال أبو حنيفة : اللحوم كلها أصناف مختلفة كأصولها ، فلحم البقر صنف، ولحم الغنم صنف ، ولحم الإبل صنف ، وكذلك الوحش مختلف ، وكذلك الطير وكذلك السمك ، وهو أحد قولي الشافعي .

والقول الآخر أن الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه . والقول الأول هو المشهور من مذهبه عند أصحابه . ودليلنا هو أن الله تعالى فرق بين أسماء الأنعام في حياتها فقال : **﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ (الأنعام:١٤٣)** .

****

١٧- ســـورة الإسراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ الإسراء:

١٧ ـ سورة الإسراء

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ (٥٨) أي مخربوها . **قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا : قال مقاتل** : أما الصالحة فبالموت ، وأما الطالحة فبالعذاب . **وقال ابن مسعود** : إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم . **فقيل** : المعنى وإن من قرية ظالمة ، يقوي ذلك قوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص:٥٩) أي فليتق المشركون، فإنه ما من قرية كافرة إلا سيحل بها العذاب .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ (٥٩) في الكلام حذف **والتقدير** : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم . قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهما . فأخر الله تعالى العذاب عن كفار قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن وفيهم من يولد مؤمناً.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾ (٦٠) **قال ابن عباس** : الناس هنا أهل مكة ، وإحاطته بهم إهلاكه إياهم أي : أن الله سيهلكهم . وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح . **وقيل** : معنى أحاط بالناس أي أحاطت قدرته بهم ، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ، قاله مجاهد وابن أبي نجيح . **وقال الكلبي** : المعنى أحاط علمه بالناس ، **وقيل** : المراد عصمته من الناس أن يقتلوه حتى يبلغ رسالة ربه ، أي وما أرسلناك عليهم حفيظاً ، بل عليك التبليغ، فبلغ بجدك فإنها نعصمك منهم ونحفظك، فلا تهبهم ، وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة

فقدرتنا محيطة بالكل . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾ (٦١) **المعنى** : اذكر بتمادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة إبليس حين عصى ربه وأبى السجود ، وقال ما قال ، وهو ما أخبر الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾ (٦١) أي من طين . وهذا استفهام إنكار .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾ (٦٥) **قال ابن عباس** : هم المؤمنون . **وكفى بربك وكيلا** : أي عاصما من القبول من إبليس ، وحافظا من كيده وسوء مكره .

قوله تعالى : ﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾ (٦٦) الإزجاء : السوق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ** ﴾ **(النور:٤٣)** والبحر الماء الكثير عذبا كان أو ملحا ، وقد غلب هذا الاسم على الملح . وهذه الآية توقي على آلاء الله وفضله عند عباده أي ربكم الذي أنعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا به شيئاً . قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** ﴾ (٦٧) الضر لفظ يعم خوف الغرق والإمساك عن الجري . وأهوال حالاته اضطرابه وتموجه . **والمعنى في هذه الآية** : أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة ، وأن لها فضلاً ، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام ، فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل . قوله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً** ﴾ (٦٨) بين أنه قادر على هلاكهم في البر وإن سلموا من البحر .

والخسف : أن تنهار الأرض بالشيء ، **يقال** : بئر خسيف إذا انهدم أصلها . وعين **خاسف** : أي غارت حدقتها في الرأس . وعين من الماء خاسفة أي غار ماؤها . وخسفت الشمس أي غابت عن الأرض . **وقال أبو عمرو** : والخسيف البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة ، والجمع خسف . **وجانب البر** : ناحية الأرض ، وسماه جانباً لأنه يصير بعد الخسف جانباً . وأيضاً فإن البحر جانب والبر جانب . **وقيل** : إنهم كانوا على ساحل البحر ، وساحله جانب البر ، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر ، فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر . قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (٧٠) لما ذكر من الترهيب ما ذكر بني النعمة عليهم أيضاً . كرمنا تضعيف كرم ، أي جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا . وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال . وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره . وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس ، وهذا الله يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم ، لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة . قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ (٧١) .

روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾ **قال** : ((**يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد ، فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل منكم مثل هذا.**

****



١٨- سورة الكهف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ
﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ
ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

الكهف: ١ - ٥

١٨ ـ ســورة الكهف

قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ (١)

ذكره ابن إسحاق : أن قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود وقالوا لها : سلاهم عن محمد وصفاً لهم صفته وأخـراهم بقولـه ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، **وقالا لهم** : إنكم أهل التوارة وقد جئناكم لتخبرونا عن صـاحبنا هذا **فقالت لهما أحبار يهود** : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهـن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتيـة ذهبوا في الدهر الأول ، وما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجب . وسله عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وما كان نبؤه . وسأله عـن الروح ، وما هي ، فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإني نبي ، وإن لم يفعل فهو رجـل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . **فأقبل النضير بن الحارث وعقبة بن أبـي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا** : يا معشر قريش قد جئناكم بفـصل مـا بينكم وبين محمد ـ ﷺ وقد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فـروا فيـه رأيكـم . **فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا** : يا محمد ، أخبرنا عن فتنة ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافاً قـد بلـغ مـشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ **قال فقال لهم رسول الله ﷺ** : أخبـركم بما سألتم عنه غداً ، ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، فمكث رسـول الله ﷺ فيمـا يزعمون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريـل ، **حتى أرجف أهل مكة وقالوا** : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، وقد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث

الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاقبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف والروح ، **قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل** : لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا ، فقال له جبريل : **﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ (مريم:٦٤)** فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده ، وذكر نبوة رسوله ﷺ لما أنكروا عليه من ذلك فقال : **﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾** (١) يعني محمداً ، إنك رسول مني ، أي تحقيق لما سألوا عنه .

قوله تعالى : **﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴾** (٣) أي دار الخلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال .

قوله تعالى : **﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ (٤) يعني قريشاً في قولهم :** آنا نعبد الملائكة وهي بنات الله . **ما لهم به من علم ولا لآبائهم** : الذين أعظموا فراهم وعيب دينهم .

قوله تعالى : **﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾** (٥) أي لقولهم إن الملائكة بنات الله . قوله تعالى : **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾** (٦) لحزنه عليه حين فاته ما كان يرجوه منهم ، أي لا تفعل .

قوله تعالى : **﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾** (٨) أي الأرض ، وإن ما عليها لفان وزائل ، وإن المرجع إلى فأجزي كلا بعلمه ، فلا تأسى ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها .

وقال ابن هشام : الصعيد وجه الأرض ، وجمعه صعد . قوله تعالى : **﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴾**(١٣) أي بصدق الخبر ، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . قوله تعالى : **﴿ وَرَبَطْنَا**

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ (١٤) أي لم يشركوا بي أشركتم بي ما ليس لكم به علم

قال ابن هشام : والشطط الغلو وجاوزة الحق .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ (١٦ ــ ١٧).

قال ابن هشام : تزاور تميل ، وهو من الزور .

قوله تعالى : ذلك من آيات الله : أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم . قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ (١٨)

قال ابن هشام : الوصيد الباب .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ (٢١) أهل السلطان والملك منهم .

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٢٢) يعني أحبار اليهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم .

****

١٩- سـورة مريـم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾ مريم: ١ - ٥

١٩ ـ سورة مريم

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً** ﴾ (٤) **يقال** : وهن يهن وهنا إذا ضعف فهو واهن . **وقال أبو زيد : يقال** : وهن يهن ووهن يوهن . وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه ، وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقط سائر قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن منه . ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام ، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصد إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً** ﴾(٥) و" **الموالي** " هنا الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب . والعرب تسمي بني العم الموالي . **قالت طائفة** : إنما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته أن يضيع الدين ، فطلب ولياً يقوم بالدين بعده ، حكى هذا القول الزجاج ، وعليه فلم يسل من يرث ماله ، لأن الأنبياء لا تورث . وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية ، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ((**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**)) [1] .

قوله تعالى : ﴿ **يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾ (٦) أي هب لي من لدنك الولي الذي هذه حاله وصفته، لأن الأولياء منهم من لا يرث ، **فقال : هب لي الذي يكون وارثي ، قاله أبو عبيد ، ورد قراءة الجزم ، قال** : لأن معناه إن وهبت ورث ، وكيف يخبر الله عز جل بهذا وهو أعلم به منه ؟! **قال النحاس** : وهذا حجة متقصاة ، لأن جواب الأمر عند النحويين فيه معنى الشرط

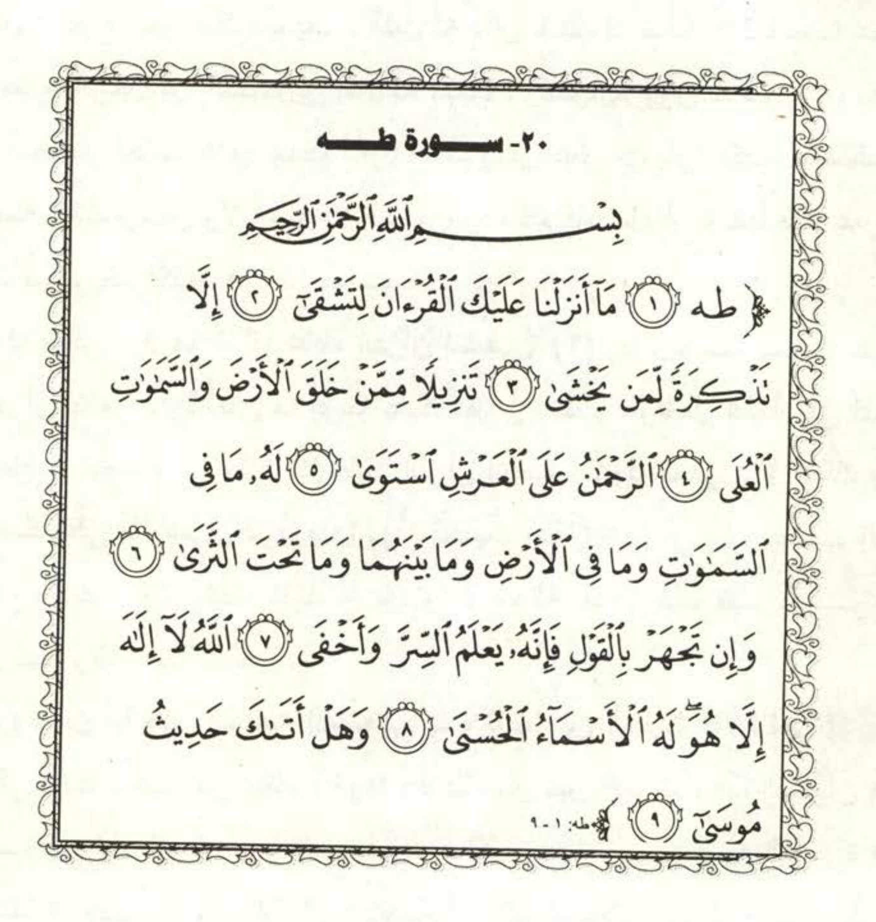
[1] **صحيح** . أخرجه أحمد (٣ / ٩٤) والتمهيد (٨ / ١٧٥) .

والمجازاة ، **تقول** : أطع الله يدخلك الجنة ، أي إن تطعه يدخلك الجنة . قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً** ﴾ (٨) ليس على معنى الإنكار لما أخبر الله تعالى به، بل على سبيل التعجب من قدرة الله تعالى أن يخرج ولداً من امرأة عاقر وشيخ كبير . **وقد بلغت من الكبر عتيا** : يعني النهاية في الكبر واليبس والجفاف ، ومثله العسي ، **قال الأصمعي** : عسا الشيء يعس عسواً وعساء ممدود أي يبس وصلب ، **وقد عسا الشيخ يعسو عسيا ولى وكبر مثل عتا** ، **يقال** : عتا الشيخ يعتو عتياً وعتياً كبر وولى ، وعتوت يا فلان تعتو عتواً وعتياً .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً** ﴾ (١٠) طلب آية على حملها بعد بشارة الملائكة إياه ، وبعد قوله تعالى : ﴿ **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً** ﴾ (٩) زيادة طمأنينة ، أي تمم النعمة بأن تجعل لي آية ، وتكون تلك الآية زيادة نعمة وكرامة . **وقيل** : طلب آية تدله على أن البشرى منه بيحيى لا من الشيطان ، لأن إبليس أوهمه ذلك . قوله تعالى : ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً** ﴾ (١١) أي أشرف عليهم من المصلى . والمحراب أرفع المواضع ، وأشرف المجالس ، وكانوا يتخذون المحاريب فيما ارتفع من الأرض دليله محراب داود عليه السلام على ما يأتي. واختلف الناس في اشتقاقه ، **فقالت فرقة** : هو مأخوذ من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات . **وقالت فرقة** : هو مأخوذ من الحرب ـ **بفتح الراء** ـ كأن ملازمه يلقى منه حرباً وتعباً ونصباً . هذه الآية تدل على أن ارتفاع إمامهم على المأمومين كان مشروعاً عندهم في صلاتهم . وقد اختلف في هذه المسألة فقهاء الأمصار ، فأجاز ذلك الإمام أحمد وغيره متمسكاً بقصة المنبر . ومنع مالك ذلك في الارتفاع الكثير دون اليسير ، وعلل أصحابه المنع بخوف الكبر على الإمام . قوله تعالى : ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾ (١٢)

وقيل : العلم به ، والحفظ له والعمل به ، وهو الالتزام لأوامره ، والكف عن نواهيه ، قاله زيد بن أسلم ، وقد تقدم في **ـ البقرة ـ** . وآتيناه الحكم صبيا ، **قيل** : الأحكام والمعرفة بها . **وروى معمر** : أن الصبيان ، **قالوا ليحيى** : اذهب بنا نلعب ، **فقال** : ما للعب خلقت . **فأنزل الله تعالى** : وآتيناه الحكم صبيا .

قوله تعالى : **﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وكَانَ تَقِيّاً ﴾** (١٣) **وروي عن ابن عباس أنه قال : والله ما أدري ما الحنان ؟ وقال جمهور المفسرين** : الحنان الشفقة والرحمة والمحبة ، وهو فعل من أفعال النفس . **وفي معنى الحنان عن ابن عباس قولان : أحدهما : قال** : تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة . والقول الآخر ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك . وأصله من حنين الناقة على ولدها . **ويقال** : حنانك وحنانيك ، **قيل** : هما لغتان بمعنى واحد **حنانيك** : تثنية الحنان . قوله تعالى : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ﴾** (١٦) والانتباذ الاعتزال والانفراد . واختلف الناس لم انتبذت **فقال السدي** : انتبذت لتطهر من حيض أو نفاس . **وقال غيره** : لتعبد الله ، وهذا حسن . وذلك أن مريم عليها السلام كانت وقفاً على سدانة المعبد وخدمته والعبادة فيه ، فتنحت من الناس لذلك ، ودخلت في المسجد إلى جانب المحراب في شرقية لتخلو للعبادة ، فدخل عليها جبريل عليه السلام . **وقوله** : مكانا شرقيا ، أي مكاناً من جانب الشرق . والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس . والشرق بفتح الراء الشمس . وإنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث تطلع الأنوار ، وكانت الجهات الشرقية من كل شيء أفضل من سواها ، حكاه الطبري . وحكى عن ابن عباس أنه قال : إني لأعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة ، **لقول الله عز وجل** : إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة ، **وقالوا** : لو كان شيء من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريم عيسى عليه السلام فيه .



٢٠- سورة طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا
تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ
ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾
وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ
مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ ﴾ طه: ١ - ٩

٢٠ ـ سورة طه

نزلت قبل إسلام عمر ﷺ . روى الدار قطني في سننه عن أنس بن مالك ﷺ **قال** : خرج عمر متقلداً بسيف ، **فقيل له** : إن ختنك قد صبوا فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب ، وكانوا يقرؤون ــ **طه** ــ . **فقال** : أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرؤه ــ وكان عمر ﷺ يقرأ الكتب ــ **فقالت له أخته** : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ فقام عمر ﷺ وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ ــ طه ــ .

قوله تعالى : ﴿ **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ (٢) وقرىء ما نزل عليك القرآن لتشقى . والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن للشقاء . وأصل الشقاء في اللغة العناء والتعب ، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب . كقوله تعالى : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً** ﴾ (٦) أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة .

وروي أن أبا جهل ــ لعنه الله تعالى ــ والنضر بن الحارث قالا للنبي ﷺ : إنك شقي لأنك تركت دين آبائك ، فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز ، والسبب في درك كل سعادة ، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها . وعلى الأقوال المتقدمة أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه ، **فقال له جبريل** : أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً ، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتنهك نفسك في العبادة ، وتذيقها المشقة الفادحة ، وما بعثت إلا بالحنفية السمحة .

قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾ (٣) **قال أبو إسحاق الزجاج** : هو بدل من " **تشقى** " أي ما أنزلناه إلا تذكرة . أي أنزلناه لتذكر به تذكرة ، أو على المفعول من أجله ، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به ، ما أنزلناه إلا للتذكرة .

وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، **مجازة** : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، ولئلا تشقى . قوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾(٥) والذي ذهب إليه الشيخ أبو الحسن وغيره أنه مستو على عرشه بغير حد ولا كيف ، كما يكون استواء المخلوقين . **وقال ابن عباس** : يريد خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة .

قوله تعالى : ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ (٦) يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى . **وقال محمد بن كعب** : يعني الأرض السابعة .

قال ابن عباس : الأرض على نون ، والنون على البحر ، وأن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش ، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ **(لقمان:١٦)** والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ، وما يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى .

وقال وهب بن منبه : على وجه الأرض سبعة أبحر ، والأرضون سبع ، بين كل أرضين بحر ، فالبحر الأسفل مطبق على شفير جهنم ، ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده لأحرقت جهنم كل ما عليها . **قال** : وجهنم على متن الريح ، ومتن الريح على حجاب من الظلمة لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ، وذلك الحجاب على الثرى وإلى الثرى انتهى علم الخلائق .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ (٧) **قال ابن عباس** : السر ما حدث به الإنسان غيره في خفاء ، وأخفى منه ما أضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره .

وعنه أيضاً : السر حديث نفسك، وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن ، أنت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ، ولا تعلم ما تسر به غداً ،

والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسره غداً ، والمعنى : الله يعلم السر وأخفى من السر . قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ (٨) وحد نفسه سبحانه ، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا المشركين إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فكبر ذلك عليهم ، فلما سمعه أبو جهل يذكر الرحمن .

قال للوليد بن المغيرة : محمد ينهانا أن ندعو مع الله إلهاً آخر وهو يدعو الله والرحمن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾ **(الإسراء:١١٠)** .

قوله تعالى : ﴿ **إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً** ﴾ (١٠) **قال ابن عباس وغيره** : هذا حين قضى الأجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر ، وكان قد أخطأ الطريق ، وكان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً ، يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه ، لئلا يروا امرأته ، فأخطأ الرفقة ـ **لما سبق في علم الله تعالى** ـ وكانت ليلة مظلمة .

قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً** ﴾ (١٢) واختلف العلماء في السبب الذي من أجله أمر بخلع النعلين . والخلع النزع . والنعل ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض . **فقيل** : أمر بطرح النعلين ، لأنها نجسة إذ هي من جلد غير مذكىً ، قاله كعب وعكرمة وقتادة . **وقيل** : أمر بذلك لينال بركة الوادي المقدس ، وتمس قدماه تربة الوادي قاله علي بن أبي طالب ؓ .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (١٤) **قيل** : المعنى ، أي : حافظ بعد التوحيد على الصلاة . وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة إذ هي تضرع إلى الله تعالى ، وقيام بين يديه ، وعلى هذا فالصلاة هي الذكر . قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا**

تَسْعَى﴾ (١٥) **يكون التقدير** : إن الساعة آتية أكاد آتي بها ، ودل " **آتية** " على آتي بها ، ثم **قال** : " **أخفيها** " على الابتداء . وهذا معنى صحيح ، لأن الله عز وجل قد أخفى الساعة التي هي القيامة ، والساعة التي يموت فيه الإنسان ليكون الإنسان يعمل ، والأمر عنده مبهم ، فلا يؤخر التوبة .

قوله تعالى : **﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾**(١٧) **قيل** : كان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحيا ، لأنه **قال** : فاستمع لما يوحى ، ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه ، فأراه في العصى وفي نفسه ما أراه لذلك ويجوز أن يكون ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه ، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد ، وبرهاناً يلقى به قومه **ومقصود السؤال تقرير الأمر حتى يقول موسى** : هي عصاي ليثبت الحجة عليه بعدما اعترف وإلا فقد علم الله ما هي في الأزل .

وقال ابن الجوهري : وفي بعض الآثار أن الله تعالى عتب على موسى إضافة العصا إلى نفسه في ذلك الموطن ، فقيل له : ألقها لترى منها العجب فتعلم أنه لا ملك لك عليها ولا تنضاف إليك . قوله تعالى : **﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾** (١٨) أي أتحامل عليها في المشي والوقوف ، ومنه الاتكاء .

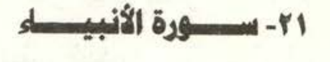
"**وأهش بها** " أي أخبط بها الورق ، أي أضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي تناوله فتأكله . قوله تعالى : **﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾** (٢٠) موسى فقلب الله أوصافها وأعراضها .

وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتان لها فماً ، وصارت حية تسعى أي تنتقل ، وتمشي وتلتقم الحجارة ، فلما رآها موسى عليه السلام رأى عبرة فـ : **﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠)** فقال الله له : **﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾** (٢١) وذلك أنه أوجس في نفسه خيفة .

قوله تعالى : ﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى** ﴾ (٢٢) يجوز في غير القرآن ضم بفتح الميم وكسرها لالتقاء الساكنين ، والفتح أجود لخفته ، والكسر على الأصل . ويجوز الضم على الإتباع . ويد أصلها يدي على فعل ، يدل على ذلك أيد . وتصغيرها يديه . والجناح العضد ، قاله مجاهد . و " **تخرج بيضاء من غير سوء** " من غير برص نوراً ساطعاً يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً . **عن ابن عباس وغيره** : فخرجت نوراً مخالفة للونه .

قوله تعالى : ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي** ﴾ (٢٧) يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي أطفأها في فيه وهو طفل . **قال ابن عباس** : كانت في لسانه رتة . وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمة ، **وأخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لآسية** : هذا عدوي فهات الذباحين . **فقالت آسية** : على رسلك فإنه صبي لا يفرق بين الأشياء . ثم أتت بطستين فجعلت في أحدهما جمراً وفي الآخر جوهراً ، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها في فيه على لسانه ، فكانت تلك الرتة . وروي أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ . **ولما دعاه قال** : إلى أي رب تدعوني ؟ **قال** : إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها . **وعن بعضهم** : إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة . ثم اختلف هل زالت تلك الرتة ، **فقيل** : زالت بدليل قوله : ﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾ (٣٦) قوله تعالى : ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ (٣٩) **قال مقاتل مؤمن آل فرعون** : هو الذي صنع التابوت ونجره وكان اسمه حزقيل وكان التابوت من جميز . وكذا قوله : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ (العنكبوت:١٢) يأخذه عدو لي وعدو له ، **يعني** : فرعون.

٢١- سورة الأنبياء



﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ ﴾ الأنبياء: ١ - ٤

٢١- سورة الأنبياء

قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) **قال عبد الله بن مسعود** : الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول ، وهن من تلادي ، يريد من قدم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد . وروي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً ، فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة ، **فقال الذي كان يبني الجدار** : ماذا نزل اليوم من القرآن ؟ **فقال الآخر : نزل** : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) فنفض يده من البنيان ، **وقال** : والله لا بنيت أبداً وقد اقترب الحساب . **اقترب** : أي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم . قيل : الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ، يدل على ذلك ما بعد من الآيات ، ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله ، وطابت نفسه بالتوبة ، ولم يركن إلى الدنيا ، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب ، والموت لا محالة آت ، وموت كل إنسان قيام ساعته ، والقيامة أيضاً قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى .

قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) أي ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث ، يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي ﷺ ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة ، وآية بعد آية ، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت ، لا أن القرآن مخلوق . **وقيل** : الذكر ما يذكرهم به النبي ﷺ ويعظهم به . قوله تعالى : ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) أي ساهيةً قلوبهم ، معرضةً عن ذكر الله ، متشاغلةً عن التأمل والتفهم ، **من قول العرب** : لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ألهى لهياً ولهياناً . **وقال الكسائي** : ويجوز أن يكون المعنى ، إلا استمعوه لاهية قلوبهم .

وأسروا النجوى الذين ظلموا : أي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب ، ثم بين من هم **فقال** : الذين ظلموا ، أي الذين أشركوا . قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (٤) أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض . وفي مصاحف أهل الكوفة قال ربي أي قال محمد ربي يعلم القول ، أي هو عالم بما تناجيتم به . قوله تعالى : ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾ (٥) **قال الزجاج** : أي قالوا الذي يأتي به أضغاث أحلام . **وقال غيره** : أي قالوا هو أخلاط كالأحلام المختلطة ، أي أهاويل رآها في المنام . قوله تعالى : ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٦) **قال ابن عباس** : يريد قوم صالح وقوم فرعون . **أهلكناها** : يريد كان في علمنا هلاكها . **أفهم يؤمنون** : يريد يصدقون أي فما آمنوا بالآيات فاستأصلوا ، فلو رأى هؤلاء ما اقترحوا لما آمنوا ، لما سبق من القضاء بأنهم لا يؤمنون أيضاً ، وإنما تأخر عقابهم لعلمنا بأن في أصلابهم من يؤمن . قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (٧) **هذا رد عليهم في قولهم** : هل هذا إلا بشر مثلكم ، وتأنيس لنبيه ﷺ ، أي لم يرسل قبلك إلا رجالاً . فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، يريد أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبي ﷺ ، قاله سفيان . وسماهم أهل الذكر ؛ لأنهم كانوا يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب . وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في أمر محمد ﷺ .

وقال ابن زيد : أراد بالذكر القرآن ، أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ، **قال جابر الجعفي : لما نزلت هذه الآية قال علي** رضي الله عنه : نحن أهل الذكر وقد ثبت بالتواتر أن الرسل كانوا من البشر ، فالمعنى لا تبدؤوا بالإنكار وبقولكم ينبغي أن يكون الرسول من الملائكة ، بل ناظروا المؤمنين ليبينوا لكم جواز أن يكون الرسول من البشر . والملك لا يسمى رجلاً ، لأن الرجل يقع على ما له ضد من لفظه ، **تقول** : رجل وامرأة ، ورجل وصبي .

قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** ﴾ (٨) الضمير في " **جعلناهم** " للأنبياء ، أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب . **وقيل** : لم يقل أجساداً ، لأنه أراد وما جلعنا كل واحد منهم جسداً . **والجسد** : البدن ، **تقول منه** : تجسد كما تقول من الجسم تجسم . **والجسد أيضاً** : الزعفران أو نحوه من الصبغ ، وهو الدم أيضاً .
قوله تعالى : ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ** ﴾ (١١) يريد مدائن كانت باليمن . **وقال أهل التفسير والأخبار** : إنه أراد أهل حضور وكان بعث إليهم نبي اسمه شعيب بن ذي مهدم ، وقبر شعيب هذا باليمن **بجبل يقال له** : ضنن كثير الثلج ، وليس بشعيب صاحب مدين ، لأن قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام ، وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام ، وأنهم قتلوا نبيهم وقتل أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان ، وكانت حضور بأرض الحجاز من ناحية الشام ، فأوحى الله إلى أرميا أن ائت بختنصر فأعلمه أني قد سلطته على أرض العرب وأني منتقم بك منهم ، وأوحى الله إلى أرميا أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق ، كي لا تصيبه النقمة والبلاء معهم ، فإني مستخرج من صلبه نبياً في آخر الزمان اسمه محمد، فحمل معداً وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانة ، ثم إن بختنصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان ـ **وهو أول من اتخذ المكامن فيما ذكروا** ـ ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر ، ولم يترك بحضور أثراً ، ثم انصرف راجعاً إلى السواد .
قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ** ﴾ (١٢) أي رأوا عذابنا **يقال** : أحسست منه ضعفاً . **وقال الأخفش : أحسوا** : خافوا وتوقعوا . إذا هم منها يركضون ، أي يهربون ويفرون . والركض العدو بشدة الوطء . والركض تحريك الرجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** ﴾

(ص:٤٢) وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل ، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض . قوله تعالى : ﴿ **لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾ (١٣) أي لا تفروا . **وقيل** : إن الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء بهم ، **وقالت** : لا تركضوا . **وارجعوا إلى ما أترفتم فيه** : أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم ، والمترف المتنعم ، **يقال** : أترف على فلان أي وسع عليه في معاشه . وإنما أترفهم الله عز وجل كما قال : ﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ** ﴾ (المؤمنون:٣٣) .

قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾(١٤) **لما قالت لهم الملائكة** : لا تركضوا ، ونادت يا لثارات الأنبياء ! ولم يروا شخصاً يكلمهم عرفوا أن الله عز وجل هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم ، **فعند ذلك قالوا** : ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ (١٤) فاعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف . قول الله تعالى : ﴿ **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ** ﴾ (١٥) أي لم يزالوا يقولون : ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾(١٤) حتى جعلناهم حصيدا ، أي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل ، قاله مجاهد . **وقال الحسن** : أي بالعذاب . **خامدين** : أي ميتين . والخمود الهمود كخمود النار إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار ، كما يقال لمن مات قد طفيء تشبيهاً بانطفاء النار . قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾ (١٦) أي عبثاً وباطل أ، بل للتنبيه على أن لها خالقاً قادراً يجب امتثال أمره ، أنه يجازي المسيء والمحسن ، أي ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضاً ، ويكفر بعضهم ، ويخالف بعضهم ما أمر به ثم يموتوا ولا يجاوزوا ، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح . وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة .

قوله تعالى : ﴿ **لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾(١٧) ما اعتقد قوم أن **له ولداً قال** : لو أردنا أن نتخذ لهوا ، واللهو المرأة بلغة اليمن ، قاله قتادة . قوله تعالى : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾(١٨) القذف الرمي ، أي نرمي بالحق على الباطل . **فيدمغه** : أي يقهره ويهلكه . وأصل الدمغ شج الرأي حتى يبلغ الدماغ ، ومنه الدامغة . والحق هنا القرآن ، والباطل الشيطان في قول مجاهد ، **قال** : وكل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان . **وقيل** : الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره . **وقيل** : أراد بالحق الحجة ، وبالباطل شبههم . **وقيل** : الحق المواعظ ، **والباطل** : المعاصي ، والمعنى متقارب . والقرآن يتضمن الحجة والموعظة . **فإذا هو زاهق** : أي هالك وتالف ، قاله قتادة . **ولكم الويل** : أي العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما لا يجوز وصفه . **وقال ابن عباس** : الويل واد في جهنم . قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ (١٩) أي ملكاً وخلقاً فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه . قوله تعالى : ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ (٢٣) قاصمة للقدرية وغيرهم . **قال ابن جريج** : المعنى لا يسأله الخلق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم لأنهم عبيد . بين بهذا أن من يسأل غداً عن أعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للإلهية . **وقيل** : لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون . قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ﴾ (٣٢) أي محفوظاً من أن يقع ويسقط على الأرض ، دليله قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ **(الحج:٦٥) قيل** : محفوظاً بالنجوم من الشياطين ، **وقيل** : محفوظاً من الهدم والنقض ، وعن أن يبلغه أحد بحيلة . **وقيل** : محفوظاً فلا يحتاج إلى عماد .

٢٢- سـورة الحج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ ﴾ الحج: ١ - ٣

٢٢ ـ سورة الحج

هي من أعاجيب السور ، نزلت ليلاً ونهاراً ، سفراً وحضراً ، مكياً ومدنياً ، سلمياً وحربياً ، ناسخاً ومنسوخاً ، محكماً ومتشابهاً ، مختلف العدد . **قال** : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ (١) **قال** : نزلت على النبي ﷺ وهو في مسير له ، **فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال** : أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم يقول الله عز وجل لآدم ﷺ يا آدم قم فابعث بعث أهل النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . فكبر ذلك على المسلمين ، فقال النبي ﷺ : ((**سددوا وقاربوا وأبشروا فو الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الحمار ، وإن معكم خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والإنس**)) [1] .

قول الله تعالى : ﴿**تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ (٢) الهاء في " **ترونها** " عائدة عند الجمهور على الزلزلة ، والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا . **وقالت فرقة** : الزلزلة في يوم القيامة . **قال المبرد** : " ما " بمعنى المصدر ، أي تذهل عن الإرضاع . **قال** : وهذا يدل على أن هذه الزلزلة في الدنيا ، إذ ليس بعد البعث حمل وإرضاع . إلا أن **يقال** : من ماتت حاملاً تبعث حاملاً فتضع حملها من هول ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك . **وتسمية الزلزلة بـ " شيء "** إما لأنها حاصلة متيقن وقوعها ، فيستسهل لذلك أن تسمى شيئاً وهي معدومة ، إذ اليقين يشبه الموجودات . وإما على المآل ، أي هي إذا وقعت شيء عظيم . وكأنه لم يطلق الاسم الآن ، بل المعنى أنها

---

[1] **متفق عليه** . أخرجه البخاري (٨ / ١٢٣ ، فتح الباري) ومسلم في (صفات المنافقين ، ح / ٧٨) .

إذا كانت فهي إذاً شيء عظيم ، ولذلك تذهل المراضع وتسكر الناس . قوله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**﴾ (٣) **قيل** : المراد النضر بن الحارث ، **قال** : إن الله عز وجل غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد تراباً .

قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ (٥) **المعنى** : يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة . **فإنا خلقناكم** : أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر ، يعني آدم عليه السلام ، من تراب . لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوماً ، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس ، كما في الأحاديث . وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام في الاستحقاق عند التنازع ، وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات ، وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف . **وقد قيل** : إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل . والنطفة ليست بشيء يقيناً ، ولا يتعلق بها حكم إذا ألقتها المرأة إذا لم تجتمع في الرحم ، فهو كما لو كانت في صلب الرجل ، فإذا طرحته علقة فقد تحققنا أن النطفة قد استقرت واجتمعت واستحالت إلى أول أحوال ما يتحقق به أنه ولد . وعلى هذا فيكون وضع العلقة فما فوقها من المضغة وضع حمل ، تبرأ به الرحم ، وتنقضي به العدة ، ويثبت به لها حكم أم الولد .

قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ** ﴾ (٨) أي نير بين الحجة . نزلت في النضر بن الحارث . **وقيل** :

في أبي جهل بن هشام ، قاله ابن عباس . والمعظم على أنها نزلت في النضر بن الحارث كالآية الأولى ، فهما في فريق واحد ، والتكرير للمبالغة في الذم ، **كما تقول للرجل تذمه وتوبخه : أنت فعلت هذا! ويجوز أن يكون التكرير لأنه وصفه في كل آية بزيادة ، فكأنه قال** : إن النضر بن الحارث يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، والنضر بن الحارث يجادل في الله من غير علم ومن غير هدىً وكتاب منير ، ليضل عن سبيل الله .

قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ (١١) هذه الآية خبر عن المنافقين . **قال ابن عباس** : يريد شيبة بن ربيعة كان قد أسلم قبل أن يظهر رسول الله ﷺ ، فلما أوحي إليه ارتد شيبة بن ربيعة . **قال المفسرون** : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي ﷺ فيسلمون ، فإن نالوا رخاء أقاموا، وإن نالتهم شدة ارتدوا . **وقيل** : نزلت في النضر بن الحارث . **وقال ابن زيد وغيره** : نزلت في المنافقين . **ومعنى " على حرف "** على شك ، قاله مجاهد وغيره . وحقيقته أنه على ضعف في عبادته ، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه . وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد . قوله تعالى : ﴿**يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾ (١٣) أي هذا الذي انقلب على وجهه يدعو من ضره أدنى من نفعه ، أي في الآخرة لأنه بعبادته دخل النار، ولم ير منه نفعاً أصلاً ، **ولكنه قال** : ضره أقرب من نفعه ترفيعاً للكلام . قول الله تعالى : ﴿**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**﴾ (١٥) **قال أبو جعفر النحاس : من أحسن ما قيل فيها** : أن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذي أوتيه . قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ**

أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧) أي بالله وبمحمد ﷺ . " **والذين هادوا** " اليهود ، وهم المنتسبون إلى ملة موسى عليه السلام . " **والصابئين** " هم قوم يعبدون النجوم . " **والنصارى** " **هم المنتسبون إلى ملة عيسى . " و المجوس " هم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلين** : نور وظلمة .

قوله تعالى : **﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾** (١٩) **نزلت في الذين برزوا يوم بدر** : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة . وبهذا الحديث ختم مسلم رحمه الله كتابه . **وقال ابن عباس** : نزلت هذه الآيات الثلاث على النبي ﷺ بالمدينة في ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر كافرين ، وسماهم ، كما ذكر أبو ذر . قوله تعالى : **﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾** (٢١) أي يضربون بها ويدفعون ، الواحدة مقمعة ، ومقمع أيضاً كالمحجن ، يضرب به على رأس الفيل . وقد قمعته إذا ضربته بها . وقمعته وأقمعته بمعنى ، أي قهرته وأذللته فانقمع . **قال ابن السكيت** : أقمعت الرجل عني إقماعاً إذا طلع عليك فرددته عنك . **وقيل** : المقامع المطارق ، وهي المرازب أيضاً .

قوله تعالى : **﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾** (٢٤) أي أرشدوا إلى ذلك . **قال ابن عباس** : يريد لا إله إلا الله والحمد لله . **وقيل** : القرآن ، **ثم قيل** : هذا في الدنيا ، هدوا إلى الشهادة ، وقراءة القرآن . **وهدوا إلى صراط الحميد** : أي إلى صراط الله . **وصراط الله** : دينه وهو الإسلام . **وقيل** : هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول ، وهو الحمد لله ؛ لأنهم يقولن غداً الحمد لله الذي هدانا لهذا ، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول . وقد هدوا في الجنة إلى صراط الله، إذ ليس في الجنة شيء من مخالفة أمر الله . قوله تعالى : **﴿ وَإِذْ**

بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢٦) أي واذكر إذ بوأنا لإبراهيم ، **يقال : بوأته منزلاً وبوأت له . وقيل : بوأنا لإبراهيم مكان البيت** : أي أريناه أصله لبنياه ، وكان قد درس بالطوفان وغيره ، فلما جاءت مدة إبراهيم عليه السلام أمره الله ببنيانه ، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثراً ، فبعث الله ريحاً فكشفت عن أساس آدم عليه السلام ، فرتب قواعده عليه ، حسبما تقدم بيانه في البقرة .

قوله تعالى : **﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾** (٢٧) لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت ، **وقيل له** : أذن في الناس بالحج ، **قال** : يا رب ! وما يبلغ صوتي ؟ **قال** : أذن وعلي الإبلاغ ، **فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح** : يا أيها الناس ! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار، فحجوا **فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء** : لبيك اللهم لبيك ! فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرة فمرة ، وإن أجاب مرتين فمرتين ، وجرت التلبية على ذلك ، قاله ابن عباس وابن جبير .

قوله تعالى : **﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾** (٢٩) أي ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من أمر الحج ، كالحلق ورمي الجمار وإزالة شعث ونحوه . **قال ابن عرفة** : أي ليزيلوا عنهم أدرانهم . **وقال الأزهري** : التفث الأخذ من الشارب وقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ، وهذا عند الخروج من الإحرام . قوله تعالى : **﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾** (٣٣) يعني البدن من الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك ، إذا لم يبعثها ربها هدياً ، فإذا بعثها فهو الأجل المسمى ، قاله ابن عباس . فإذا صارت بدناً فالمنافع فيها أيضاً ركوبها عند الحاجة ، وشرب لبنها بعد ري فصيلها .

****

٢٣- سورة المؤمنون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ٨

٢٣ ـ سورة المؤمنون

قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) في الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : ((**كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل ، وأنزل عليه يوما فمكثنا ساعةً فسري عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ـ ثم قال : أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ـ ثم قرأ : قد أفلح المؤمنون ، حتى ختم عشر آيات**))[1] قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢) **روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال** : كان النبي ﷺ ينظر إلى السماء في الصلاة ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ **فجعل رسول الله ﷺ ينظر حيث يسجد**)) .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٥) **قال ابن العربي** : من غريب القرآن أن هذه الآيات العشر عامة في الرجال والنساء ، كسائر ألفاظ القرآن التي هي محتملة لهم فإنها عامة فيهم ، إلا قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات ، بدليل قوله : ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (٦) وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخر كآيات الإحصان عموماً وخصوصاً وغير ذلك من الأدلة . **قلت** : وعلى هذا التأويل في الآية فلا يحل لامرأة أن يطأها من تملكه إجماعاً من العلماء ؛ لأنها غير داخلة في الآية ، ولكنها لو أعتقته بعد ملكها له جاز له أن يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور . **قال أبو عمر** : ولا يقول هذا أحد من فقهاء الأمصار لأن تملكها عندهم يبطل النكاح بينهما ، وليس ذلك بطلاق وإنما هو فسخ للنكاح ، وأنها لو أعتقته بعد ملكها له لم يراجعها إلا بنكاح

---
[1] **القرطبي** : (١٢ / ١٠٢) .

جديد ولو كانت في عدة منه . **قوله تعالى** : إلا على أزواجهم ، **قال الفراء** : أي من أزواجهم اللاتي أحل الله لهم لا يجاوزون . وهذا يقتضي تحريم الزنى وما قلناه من الاستمناء ونكاح المتعة ؛ لأن المتمتع بها لا تجري مجرى الزوجات ، لا ترث ولا تورث ، ولا يلحق به ولدها ، ولا يخرج من نكاحها بطلاق يستأنف لها ، وإنما يخرج بانقضاء المدة التي عقدت عليها وصارت كالمستأجرة . **قال ابن العربي** : إن قلنا إن نكاح المتعة جائز فهي زوجة إلى أجل ينطلق عليها اسم الزوجية .

وإن قلنا بالحق الذي أجمعت عليه الأمة من تحريم نكاح المتعة لما كانت زوجة فلم تدخل في الآية . **قلت** : وفائدة هذا الخلاف هل يجب الحد ولا يلحق الولد كالزنى الصريح أو يدفع الحد للشبهة ويلحق الولد ، قولان لأصحابنا وقد كان للمتعة في التحليل والتحريم أحوال ، فمن ذلك أنها كانت مباحة ثم حرمها رسول الله ﷺ زمن خيبر ثم حللها في غزاة الفتح ، ثم حرمها بعد ، قاله ابن خويز منداد من أصحابنا وغيره ، وإليه أشار ابن العربي .

قوله تعالى : ﴿ **فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ (٧) فسمى من نكح ما لا يحل عاديا ، وأوجب عليه الحد لعداونه ، واللائط عاد قرآنا ولغة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ** ﴾ **(الشعراء:١٦٦)** قول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ (٩) **صلاتهم** : بالإفراد ، وهذا الإفراد اسم جنس فهو في معنى الجميع . والمحافظة على الصلاة إقامتها والمبادرة إليها أوائل أوقاتها ، وإتمام ركوعها وسجودها .

قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ** ﴾ (١٠) أي من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهم الوارثون ، أي يرثون منازل أهل النار من الجنة . قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ** ﴾ (١٢) الإنسان هنا آدم عليه الصلاة والسلام قاله قتادة وغيره ، لأنه استل من الطين . **ويجيء الضمير في قوله : " ثم جعلناه** " عائداً على ابن آدم ، وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر ، فإن المعنى لا

يصلح إلا له . **وقيل** : المراد بالسلالة ابن آدم ، قاله ابن عباس وغيره . والسلالة على هذه صفوة الماء ، يعني المني . والسلالة فعالة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء ، **يقال** : سللت الشعر من العجين ، والسيف من الغمد فانسل قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ (١٤) اختلف الناس في الخلق الآخر، **فقال ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد** : هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً . **وعن ابن عباس** : خروجه إلى الدنيا .

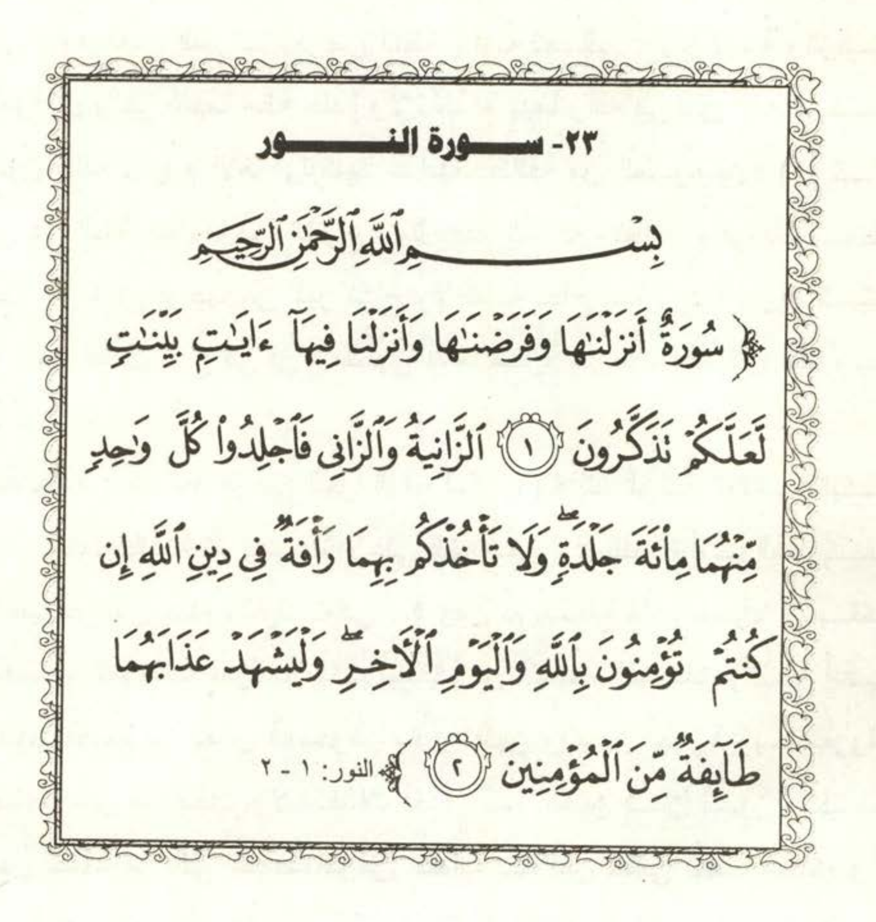
قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ** ﴾ (١٧) **قال بعض العلماء** : أي عن خلق السماء . **وقال أكثر المفسرين** : أي عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم فتهلكهم .

قلت : ويحتمل أن يكون المعنى : وما كنا عن الخلق غافلين ، أي في القيام بمصالحه وحفظه ، وهو معنى الحي القيوم ، وهذه الآية من نعم الله تعالى على خلقه ومما امتن به عليهم ومن أعظم المنن الماء الذي هو حياة الأبدان ونماء الحيوان .

والماء المنزل من السماء على قسمين : هذا الذي ذكر الله سبحانه وتعالى وأخبر بأنه استودعه في الأرض ، وجعله فيها مختزناً لسقي الناس يجدونه عند الحاجة إليه ، وهو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من الآبار ، **وروي عن ابن عباس وغيره أنه إنما أراد الأنهار الأربعة** : سيحان وجيحان ونيل مصر والفرات .

وقال مجاهد : ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء . وهذا ليس على إطلاقه ، وإلا فالأجاج ثابت في الأرض ، فيمكن أن يقيد قوله بالماء العذب ، ولا محالة أن الله تعالى قد جعل في الأرض ماء وأنزل من السماء ماء .

****



٢٣- سورة النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ
لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ
مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا
طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ١ - ٢

٢٤ ـ سورة النور

قوله تعالى : ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (١) أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة . والفرض القطع ، ومنه فرضة القوس . وفرائض الميراث وفرض النفقة . قوله تعالى : ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (٢) كان الزنى في اللغة معروفاً قبل الشرع ، مثل اسم السرقة والقتل . وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها . **وإن شئت قلت** : هو إدخال فرج في فرج مشتهىً طبعاً محرم شرعاً ، فإذا كان ذلك وجب الحد .

ومائة جلدة : هذا حد الزاني الحر البالغ البكر ، وكذلك الزانية البالغة البكر الحرة . وثبت بالسنة تغريب عام ، على الخلاف في ذلك . وأما المملوكات فالواجب خمسون جلدة ، لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **(النساء:٢٥)** وهذا في الأمة ، ثم العبد في معناها . وأما المحصن من الأحرار فعليه الرجم دون الجلد . **ومن العلماء من يقول** : يجلد مائة ثم يرجم .

ذكر الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى ، والزاني كان يكفي منهما ، فقيل : ذكرهما للتأكيد ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ **(المائدة:٣٨)** ويحتمل أن يكون

ذكرهما هنا لئلا يظن ظان أن الرجل لما كان هو الواطىء والمرأة محل ليست بواطئة ، فلا يجب عليها حد، فذكرها رفعاً لهذا الإشكال الذي أوقع جماعة من العلماء منهم الشافعي . **فقالوا** : لا كفارة على المرأة في الوطء في رمضان ، لأنه قال جامعت أهلي في نهار رمضان ، **فقال له النبي** ﷺ : كفر . فأمره بالكفارة، والمرأة ليست بمجامعة ولا واطئة . وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات ، وكن مجاهرات بذلك . **وقيل** : لأن الزنى في النساء أعر وهو لأجل الحبل أضر **وقيل** : لأن الشهوة في المرأة أكثر وعليها أغلب ، فصدرها تغليظاً لتردع شهوتها وإن كان قد ركب فيها حياء لكنها إذا زنت ذهب الحياء كله . وأيضاً فإن العار بالنساء ألحق إذ موضوعهن الحجب والصيانة فقدم ذكرهن تغليظاً واهتماماً . **قال الجمهور** : هي خاصة في البكرين ، واستدلوا على أنها غير عامة بخروج العبيد والإماء منها . نص الله سبحانه وتعالى على ما يجب على الزانيين إذا شهد بذلك عليهما ، على ما يأتي ، وأجمع العلماء على القول به . واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع المرأة في ثوب واحد ، **فقال إسحاق بن راهويه** : يضرب كل واحد منهما مائة جلدة . أجمع العلماء على أن الجلد بالسوط يجب . والسوط الذي يجب أن يجلد به يكون سوطاً بين سوطين ، لا شديداً ولا ليناً . **وروى مالك عن زيد بن أسلم** : أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط مكسور ، **فقال** : فوق هذا ، فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته ، **فقال** : دون هذا ، فأتي بسوط قد ركب به ولان . فأمر به رسول الله ﷺ فجلد . اختلف العلماء في تجريد المجلود في الزنى ، **فقال مالك وأبو حنيفة وغيرهما** : يجرد ، ويترك على المرأة ما يسترها دون ما يقيها الضرب . **وقال الأوزاعي** : الإمام مخير إن شاء جرد وإن شاء ترك . واختلف العلماء في كيفية ضرب الرجال والنساء ، **فقال مالك** : الرجل والمرأة في الحدود كلها سواء لا يقام واحد منهما ، ولا يجزي عنده إلا في الظهر . واختلفوا في المواضع التي تضرب من الإنسان في

الحدود ، **فقال مالك** : الحدود كلها لا تضرب إلا في الظهر ، وكذلك التعزير . **وقال الشافعي وأصحابه** : يتقى الوجه والفرج وتضرب سائر الأعضاء ، وروي عن علي . وأشار ابن عمر بالضرب إلى رجلي أمة جلدها في الزنى . **قال ابن عطية** : والإجماع في تسليم الوجه والعورة والمقاتل . واختلفوا في ضرب الرأس ، **فقال الجمهور** : يتقى الرأس . وقال أبو يوسف : يضرب الرأس . **وأتي عمر** ﷺ **برجل في حد فأتى بسوط بين سوطين وقال للضارب** : اضرب ولا يرى إبطك ، وأعط كل عضو حقه . **وأتى** ﷺ **بشارب فقال : لأبعثنك إلى رجل لا تأخذه فيك هوادة ، فبعثه إلى مطيع بن الأسود العدوي فقال** : إذا **أصبحت الغد فاضربه الحد ، فجاء عمر** ﷺ **وهو يضربه ضرباً شديداً فقال** : قتلت الرجل ! كم ضربته ؟ **فقال** : ستين ، **فقال** : أقص عنه بعشرين . **قال أبو عبيدة : ـ أقص عنه بعشرين ـ يقول** : اجعل شدة هذا الضرب الذي ضربته قصاصاً بالعشرين التي بقيت ولا تضربه العشرين وقد اختلف العلماء في أشد الحدود ضرباً ، **فقال مالك وأصحابه والليث بن سعد** : الضرب في الحدود كلها سواء ، ضرب غير مبرح ، ضرب بين ضربين . وهو قول الشافعي ﷺ . **وقال أبو حنيفة وأصحابه** : التعزير أشد الضرب ، وضرب الزنى أشد من الضرب في الخمر ، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف . **وقال الثوري** : ضرب الزنى أشد من ضرب القذف ، وضرب القذف أشد من ضرب الخمر . احتج مالك بورود التوقيف على عدد الجلدات ولم يرد في شيء منها تخفيف ولا تثقيل عمن يجب التسليم له . احتج أبو حنيفة بفعل عمر ، فإنه ضرب في التعزير ضرباً أشد منه في الزنى . احتج الثوري بأن الزنى لما كان أكثر عدداً في الجلدات استحال أن يكون القذف أبلغ في النكاية . وكذلك الخمر ؛ لأنه لم يثبت فيه الحد إلا بالاجتهاد وسبيل مسائل الاجتهاد لا يقوى قوة مسائل التوقيف . والحد الذي أوجب الله في الزنى والخمر والقذف وغير ذلك ينبغي أن يقام بين أيدي الحكام ، ولا يقيمه إلا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الإمام لذلك . **الآية**

٢٥ - سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ الفرقان: ١ – ٤.

٢٥- سورة الفرقان

قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً*الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (١ــ ٢) ﴾ **قال أبو جعفر : تبارك : تفاعل من البركة ، كما حدثنا أبو كريب ، قال** : ثنا عثمان بن سعيد ، **قال** : ثنا بشر بن عمارة ، **قال** : ثنا أبو روق عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، **قال : تبارك** : تفاعل من البركة ، **وهو كقول القائل** : تقدس ربنا ، فقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، **يقول** : الذي نزل الفصل بين الحق والباطل ، فصلا بعد فصل ، وسورة بعد سورة ، على عبده محمد ﷺ ، ليكون محمد لجميع الجن والإنس ، الذي بعثه الله إليهم داعيا إليه ، **نذيرا** : يعني منذرا ينذرهم عقابه ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحدوه ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان . ذكر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**بعثت إلى الأحمر والأسود**)) [1]

قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً (٤) ﴾ يقول تعالى ذكره : و قال هؤلاء الكافرون بالله ، الذين اتخذوا من دونه آلهة : ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد : ﴿ إِلاَّ إِفْكٌ ﴾ يعني : إلا كذب و بهتان : ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ اختلفه و تخرصه بقوله : ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ قوم آخرون ، **ذكر أنهم كانوا يقولون** : إنما يعلم محمد هذا الذي يجيئنا به اليهود ، فذل كقوله : ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ **يقول** : و أعان محمدا على هذا الإفك الذي افتراه يهود .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فقد أتى قائلوا هذه المقالة ، **يعني الذي قالوا** : إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، ظلما يعني بالظلم نسبتهم كلام الله و تنزيله ، إلى أنه إفك افتراه محمد ﷺ .

---

[1] **صحيح** : أخرجه مسلم في (المساجد ، ح / ٥٢١ / عبد الباقي) .

قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً(٧)** ﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله ﷺ فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم يظهر الكعبة ، وعرضوا عليه أشياء ، وسألوه الآيات .

وتأويل الكلام : وقال المشركون : ﴿ **مَالِ هَذَا الرَّسُولِ** ﴾ : يعنون محمدا ﷺ ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا : ﴿ **يَأْكُلُ الطَّعَامَ** ﴾ كما نأكل : ﴿ **وَيَمْشِي** ﴾ في أسواقنا كما نمشي : ﴿ **لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ** ﴾ : **يقول** : هلا أنزل إليه : ﴿ **مَلَكٌ** ﴾ إن كان صادقا من السماء : ﴿ **فَيَكُونَ مَعَهُ** ﴾ منذرا للناس ، مصدقا له على ما يقول أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش : ﴿ **أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ** ﴾ : **يقول** : أو يكون له بستان ، يأكل منها .

قال تعالى : ﴿**أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً(٨ ـ ١٠)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك** : هو مسحور ، فضلوا بذلك عن قصد السبيل ، وأخطئوا طريق الهدى و الرشاد ، فلا يستطيعون : **يقول** فلا يجيدون سبيلا إلى الحق ، إلا فيما بعثتك به ، و من الوجه الذي ضلوا عنه قوله تعالى : ﴿ **وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً** ﴾ مشيدة في الدنيا ، كل هذا قالته قريش ، و كانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قصرا .

قال تعالى : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً (١١)إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً(١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً (١٣)لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً**

(١١ ــ ١٤) ﴾ **قوله** : ﴿ **مُقَرَّنِينَ** ﴾ يعني مكتفين ، وقال عبيد بن عمير في قوله تعالى : ﴿ **دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً** ﴾ أي بالويل والحسرة والخيبة ، وقوله تعالى : ﴿ **لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً** ﴾ أي : لا تدعوا اليوم ويلاً واحداً ، وادعوا ويلاً كثيراً.

قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً (١٥ ــ ١٦)** ﴾ . **قال أبو حازم** : إذا كان يوم القيامة ، **قال المؤمنون** : ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً (٢١ ــ ٢٤)** ﴾.

قول الله تعالى : ﴿ **حِجْراً مَحْجُوراً** ﴾ **قال** : حراماً محرماً أن يبشر بما يبشر به المتقون . **قلت** : وقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ** ﴾ أي : يتعوذون من الملائكة ، وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول ﴿ **حِجْراً مَحْجُوراً** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً** ﴾ **قال عكرمة** : إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة ، فينصرف أهل النار إلى النار ، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قيلولتهم في الجنة ، وأطعموا كبد حوت فأشبعهم ذلك .

****

٢٦ - سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ الشعراء: ١ - ٧

٢٦- سورة الشعراء

قال تعالى : ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ(٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤ــ ٩) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ﴾ فقال بعضهم : معناه : فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية. و قال آخرون : بل معنى ذلك : فظلت سادتهم و كبراؤهم للآية خاضعين ، و يقول : الأعناق : هم الكبراء من الناس .

قال تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(١٤) قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥ ــ ١٥) ﴾ يقول تعالى ذكره " كلا " : أي لم يقتلك قوم فرعون : ﴿ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ﴾ يقول : فاذهب أنت و أخوك بآياتنا ، يعني بإعلامنا و حججنا التي أعطيناك عليهم وقوله : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ من قوم فرعون ما يقولون لكم ، و يجيبونكم به وقوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾ يقول : فأت أنت يا موسى و أخوك هاورن فرعون : ﴿ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، " إليك ب" : ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ (١٧) ﴾ وقال رسول رب العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقول : أرسلت رسالة ورسولا . قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه ، وهو : فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه، فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذي قتله من القبط ، وفعلت فعلتك

التي فعلت : يعني قتله النفس التي قتل من القبط . وإنما قيل : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) ﴾ ؛ لأنها مرة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا لمعنى . قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ(٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤ ــ ٢٨) ﴾ ، هذه الآيات الكريمة تخبر عن كفر فرعون وطغيانه وتمرده وجحوده.

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ(٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٥٤)إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٢ ــ ٥٤) ﴾ يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده و قومه ، ويقول لهم : ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ ﴾ ، يعني بهؤلاء : بني إسرائيل : ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ، يعني بالشرذمة ، الطائفة و العصبة الباقية من عصب جبيرة ، و شرذمة كل شيء بقيته القليلة ، وقيل : قليلون ؛ لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة ، فلما جمع جمع جماعتهم قيل : قليلون .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٥ ــ ٥٩) ﴾ ، عن أبي موسى قال : نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه ، فقال له رسول الله ﷺ : ((تعاهدنا)) فأتاه الأعرابي ، فقال له رسول الله ﷺ : ((ما حاجتك ؟)) قال : ناقة برحلها وأعنز يحتلبها أهلي ، فقال : ((أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل)) فقال له أصحابه : وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله ؟ قال : ((إن موسى عليه السلام لما أراد إن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق ، فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك عن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا

نخرج من مصر حتى ننقل ، **فقال لهم موسى** : فأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ **قالوا** : ما يعلمه إلا عجوز من بني إسرائيل ، **فأرسل إليها فقال** : دليني على قبر يوسف ؟ **فقالت** : والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي ، **فقال لها** : وما حكمك **قالت** : حكمي أن أكون معك في الجنة ، فكأنه ثقل عليه ذلك . **فقيل له** : أعطها حكمها ، **قال** : فانطلقت معهم إلى بحيرة مستنقع ماء ، **فقالت لهم** : أنضبوا هذا الماء ، فلما أنضبوه ، **قالت** : احفروا . فلما حفروا واستخرجوا قبر يوسف ، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار)) .

قال تعالى : ﴿ **فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** (٦٠ ــ ٦١) ﴾ **يقول تعالى ذكره : فلما تناظر الجمعان** : جمع موسى وهم بنو إسرائيل ، وجمع فرعون وهم القبط : ﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ أي : إنا لملحقون ، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤما بموسى .

وقول الله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** (٦٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم ، وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق .

قال السدي : ﴿ **فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ **يقول** : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقا ، في كل طريق سبط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، **فقال كل سبط** : قد قتل أصحابنا ، فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا .

****



٢٧ - سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ النمل: ١ - ٦

♣ ٢٧-سورة النمل♣

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٦ ـ ٧)﴾ ، **يقول تعالى ذكره** : وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه : ﴿ **مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾ **يقول** : من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضي من أخبارهم ، والحادث منها : ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَى**﴾ وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى : ﴿ **لِأَهْلِهِ** ﴾ وهو في مسيره من مدين إلى مصر ، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده : ﴿ **إِنِّي آنَسْتُ نَاراً** ﴾ : أي أبصرت نارا أو أحسستها ، فامكثوا مكانكم : ﴿ **سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ** ﴾ يعني من النار ، والهاء والألف من ذكر النار : ﴿ **أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ** ﴾ **بمعنى** : أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها .

قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(١٥ ـ ١٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً** ﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه : ﴿ **وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **يقول جل ثناؤه : وقال داود وسليمان** : الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرها هذا .

قال تعالى : ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً**

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٧ ـ ١٩) ﴾ كتب عمر بن عبد العزيز : إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه ، ولو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : ((كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة ، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع . قال : فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار ، فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ؟ والله لنفتضحن بداود فجاء داود عليه السلام ، فإذا الرجل قائم وسط الدار . فقال له داود : من أنت ؟ فقال : الذي لا يهاب الملوك ، ولا يمتنع من الحجاب . فقال داود: أنت إذا والله ملك الموت مرحبا بأمر الله ، فتزمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس ، فقال سليمان عليه السلام للطير : أظلي داود ، فظللت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال لها سليمان : اقبضي جناحا جناحا)) .[1]قال أبو هريرة : يا رسول الله كيف فعلت الطير ؟ فقبض رسول الله عليه الصلاة والسلام يده وغلبت عليه يومئذ المضرحية، قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾، عن أبي الصديق الناجي ، قال : خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم أنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠)لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٠

---

(1) إسناده جيد .

ـ ٢١) ﴾ . عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر . قال ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ يعني : نتف ريشه . أو ليأتيني بسلطان مبين .

قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ(٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٢٥)اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٢ ـ ٢٦) ﴾ قال قتادة : كانت أمها جنية ، وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت مملكة ، وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية . قوله تعالى : ﴿الْخَبْءَ﴾ أي: الماء . وخبأ السماوات والأرض ما جعل فيهما من أرزاق المطر من السماء والنبات من الأرض .

قال تعالى : ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ(٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٣٠) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣١)أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٢٧ ـ٣١) ﴾ قال ميمون بن مهران : كان رسول الله ﷺ يكتب : باسمك اللهم ، حتى نزلت هذه الآية ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . وقوله تعالى : ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ قال قتادة : يقول : لا تجبروا على ، وأتوني مسلمين .

****

٢٨ - سورة القصص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ القصص: ١ - ٦.

♣ ٢٨-سورة القصص ♣

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** (٤) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر ، وعلا أهلها وقهرهم ، حتى أقروا له بالعبودية . وقوله : ﴿ **وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً** ﴾ **يعني بالشيع : الفرق ، يقول** وجعل أهلها فرقاً متفرقين . **عن السدي ، قال** : كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه ، أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل ، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه ، **فقالوا له** : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ، يعنون بيت المقدس ، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت **وقال للقبط** : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجاً ، فأدخلوهم ، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة . فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم ، **فذلك حين يقول** : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً** ﴾ يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة .

قال تعالى : ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** (٧) **الْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** (٨) **قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** (٧ ــ ٩) ﴾ **عن معد يكرب ، قال : أتينا عبد الله فسألناه إن يقرأ علينا : طسم المائتين . فقال** : ما هي معي ؟ ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ **خباب بن الأرت : قال** فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا ﷺ .

قال تعالى : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)** ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغاً ، **فقال بعضهم** : الذي عنى جل ثناؤه أنه **أصبح منه فؤاد أم موسى فارغاً** : كل شيء سوى ذكر ابنها موسى . **وقال آخرون** : بل عنى أن فؤادها أصبح فارغاً من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقيه في اليم فقال : ﴿ **وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ **قال** : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله ﷻ : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً** ﴾ من وحينا الذي أوحيناه إليها . وقوله : ﴿ **إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ** ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عادت عليه الهاء في قوله : ﴿**بِهِ**﴾ **فقال بعضهم** : هي من ذكر موسى ، وعليه عادت . وقوله : ﴿ **لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا** ﴾ **يقول** : لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتنا وتوفيقنا للسكوت عنه . وقوله : ﴿ **لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **قول تعالى ذكره** : عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها ، وثبتناها للعهد الذي عهدنا إليها : ﴿ **لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ بوعد الله، الموقنين به .

قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)** ﴾ **قلت** : أي أنه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما . **قال مجاهد** : يعنى النبوة . قال تعالى : ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)** ﴾ **قال قتادة** : فوجد فيها رجلين يقتتلان ، أي : يتضاربان ويتنازعان ، هذا من شيعته ، أي : إسرائيل ، وهذا من عدوه ، أي : قبطي . فاستغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام ، فوجد موسى فرصة ، وهي غفلة الناس، فعمد إلى القبطي ، فوكزه موسى فقضى عليه .

قال تعالى : ﴿**خَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢١ ـ ٢٤)** ﴾ عن **عمر بن الخطاب** ﷺ : أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمة من الناس يسقون ، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان . **قال** : ما خطبكما ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم . **قال ابن عباس** : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيا فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه ، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة . **حدثني الحسين بن عمرو العنقزى حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود ، قال** : حثثت على جمل ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى ، فإذا هي شجرة خضراء ترف فأهوى إليها جملي ، وكان جائعا فأخذها جملي فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه انسلام ثم انصرفت.

قال تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٣ ـ ٣٥)** ﴾ **قلت : المعنى ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما ثم يبتدئ ، فيقول** : بآياتنا أنتما ، ومن اتبعكما الغالبون تقديره أنتما ، ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ فتعبدوه ، وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله رباً غيري ومعبوداً سواي : ﴿ **فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ** ﴾ **يقول** : فاعمل لي آجراً . وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به.

وقوله : ﴿ **لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** ﴾ **يقول** : أنظر إلى معبود موسى ، الذي يعبده ، ويدعو إلى عبادته : ﴿ **وَإِنِّي لأَظُنُّهُ** ﴾ فيما يقول من أن له معبوداً يعبده في السماء ، وأنه هو الذي يؤيده وينصره ، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .

قال تعالى : ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبطرت ، وأشرت ، وطغت ، فكفرت ربها . **وقيل** : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو في الأصل للمعيشة ، **كما يقال** : أسفهك رأيك فسفهته ، وأبطرك مالك فبطرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير.

وقول الله تعالى : ﴿ **وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ **يقول** : ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها ، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : قل يا **محمد لهؤلاء المشركين بالله** : أيها القوم أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل دائماً لا نهار إلى يوم القيامة يعقبه . والعرب تقول لكل ما كان متصلاً لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد .

٢٩ - سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ العنكبوت: ١ - ٦.

٢٩-سورة العنكبوت

قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥ ــ ٧)﴾ أي : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ من ثواب الدار الآخرة ، فإن الله سبحانه وتعالى سيوفيه له كاملاً من غير نقص ، بل سيزيد له في الأجر ، فقد جعل الله تعالى الحسنة بعشرة أمثالها ، ومع ذلك فإن الله تعالى غني عن الخلائق وهو سبحانه الذي يتوب عليهم ، ويضاعف لهم الحسنات .

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٨ ــ ٩) ﴾ **عن سماك بن حرب ، قال** : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد ، **قال : نزلت في أربع آيات فذكر قصته ، وقال : قالت أم سعد** : أليس الله قد آمرك بالبر ، **والله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال** : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها ، فنزلت : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ .[1]

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢)وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٢ ــ ١٣)﴾ عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به ثم ، قال : ((**إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة ، فيقول : وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ، ثم ينادي مناد ، فيقول : أين فلان بن فلان ، فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص**

---

(1) **صحيح** :- أنظر : الصحيح المسند (ص/ ١٥١) .

الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ، ثم يأمر المنادي فينادي : من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان ابن فلان فهلم ، فيقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدي الرحمن ، فيقول الرحمن : اقضوا عن عبدي ، فيقولون: كيف نقضي عنه ؟ فيقول : خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة ، وقد بقي من أصحاب الظلامات ، فيقول : اقضوا عن عبدى ، فيقولون : لم يبق له حسنة ، فيقول : خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه ، ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٤ ـ ١٥) ﴾ عن سلمة بن كهيل عن مجاهد ، قال : قال لي ابن** عمر : كم لبث نوح في **قومه ؟ قال : قلت : ألف سنة إلا خمسين عاما . قال :** فان الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا . **قلت** : لو قيل أن الضمير في قوله : **﴿ وَجَعَلْنَاهَا﴾** عائد لكان وجها .

قال تعالى : **﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٦ ـ ١٨) ﴾ قال ابن عباس** : وتصنعون إفكا ، أي : تنحتونها أصناما . قال قتادة في قوله : **﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ قال :** يعزي نبيه ﷺ ، وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول ، واعترض بهذا إلى قوله ، فما كان جواب قومه . **قلت** : أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام يحتج عليهم لإثبات المعاد ، لقوله بعد هذا كله : **﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ**

قَوْمِهِ ﴾ . قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢٢) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٢٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٩ ــ ٢٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : والذين كفروا حجج الله، وأنكروا أدلته ، وجحدوا لقاءه والورود عليه ، يوم تقوم الساعة : ﴿ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ﴾ **يقول تعالى ذكره** : أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب ، وأولئك لهم عذاب موجع . جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن : ((**أن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم السهو لهم**)).[1]

قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٤ ــ ٢٥) ﴾ **عن** سعيد بن جعدة بن هبيرة المخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب ، قالت : قال لي النبي ﷺ : ((**أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، فمن يدرى أين الطرفان. قالت: الله ورسوله أعلم، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد** ، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٩) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٦ ــ ٢٧) ﴾ **عن شهر بن حوشب ، قال** : لما

---

[1] **صحيح** : ذكره الألباني في " صحيح الجامع " (ح / ٥٢٤٤) .

جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجئته إذ جاء رجل فانتبذ الناس وعليه خميصة ، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، **فقال عبد الله** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها فتلفظهم أرضهم ، تقذرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم**)) .

قال تعالى : **﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٢٨ ــ ٣٠) ﴾** عن أم هانئ قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : **﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال** : يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه . **وقال مجاهد في معنى هذه الآية** : الصفير ولعب الحمام ، والجلاهق والسؤال في المجلس ، وحل أزرار القباء .

قال تعالى : **﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣١ ــ ٣٣) ﴾ الغابرين** : أي الهالكين ؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم . يقول تعالى ذكره : **﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً ﴾** من الملائكة : **﴿ سِيءَ بِهِمْ ﴾ يقول** : ساءته الملائكة بمجيئهم إليه ، وذلك أنهم تضيفوه ، فساؤوه بذلك.

٣٠- سورة الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى
وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ لقمان:
١-٦.

٣٠-سورة الـــروم

وأنزل الله تعالى : ﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ إلى قوله تعـالى : ﴿ وَعْـدَ اللَّـهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ . **قلــت** : ومن حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي عــن الزهري عن عبيد الله **بن عبد الله بن عباس** : أن رسول الله ﷺ ، **قــال** : لأبــي بكر في مناحبه : ﴿ **الم * غلبت الروم** ﴾ ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع مــا بين ثلاث إلى تسع .

قال تعالى : ﴿ **فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْـلُ وَمِــنْ بَعْـدُ وَيَوْمَئِـذٍ يَفْـرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الـرَّحِيمُ*وَعْـدَ اللَّـهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٤ ــ ٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكــره** : وعد الله جل ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهـم **قــال تعالى** : ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُـمْ غَـافِلُونَ (٧)**﴾ **يقول تعالى ذكره** : يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فــارس ظاهراً من حياتهم الدنيا ، وتدبير معايشهم فيها ، وما يصلحهم ، وهم عــن أمــر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون، لا يفكرون فيه .

وعن سعيد ، في قوله : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا** ﴾ **قـال** : تـسترق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ، ينبغـي لهــا أن تكـون فــي الأرض ، **قال** : ويرمون بالشهب ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شرر منــه ، **قال** : فيسقط فلا يعود أبداً ، **قال** : ويرمي بذاك الذي سمع إلى أوليائه من الإنــس **قال** : فيحملون عليه ألف كذبة ، **قال** : **فما رأيت الناس يقولون** : يكون كذا وكذا **قال** : فيجيء الصحيح منه كما يقولون ، الذي سمعوه من السماء ، ويعقبــه مــن الكذب الذي يخوضون فيه .

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْــهِ تُرْجَعُــونَ (١١) وَيَــوْمَ تَقُــومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِــنْ شُــرَكَائِهِمْ شُــفَعَاءُ وَكَــانُوا**

بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ*وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١١ ــ ١٦) ﴾ . قلت : المعنى في ذلك : ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى ، أي : كانت السوأى عاقبتهم ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون .

قال تعالى:﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥)** ﴾ **قال مجاهد** : ينعمون . قال تعالى : ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٧ ــ ١٩)** ﴾ .

عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ ، قال : ((**من قال حين يصبح : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون الآية بكمالها ، أدرك مافاته في يومه . ومن قالها حين يمسي أدرك مافاته في ليلته**)) .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٢ ــ ٢٣)** ﴾ **عن أبي موسى قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود ، وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن ، وبين ذلك**)) .[1]قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ**

---

(1) **صحيح** : ذكره الألباني في " صحيح الجامع " (ح / ١٧٥٩) .

يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٤ ــ ٢٥) ﴾ عن زيد بن ثابت ﷺ ، **قال** : أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ((**قل اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، يا حي يا قيوم أنم عيني واهدي ليلي**)) **فقلتها فذهب عني** . قال تعالى : **﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦ ــ ٢٧) ﴾** عن ابن عباس في قوله تعالى : **﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ يعني** : أيسر عليه . عن أبي هريرة ﷺ ، **قال : قال** رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : ((**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**)) .[1]

قال تعالى : **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٠ ــ ٣٢) ﴾ حدثنا ابن حميد حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس بن إسحاق عن بريد بن أبي مريم قال مر عمر** ﷺ **بمعاذ بن جبل ، فقال عمر** : ما قوام هذه الأمة ؟ **قال** : معاذ ثلاث ، وهن المنجيات الإخلاص ، وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصلاة

---

[1] **صحيح** : أخرجه البخاري في (التفسير ، ح / ٤٩٧٤) .

وهي الملة والطاعة وهي العصمة . **فقال عمر** : صدقت. **حدثني يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب عن أبي قلابة : أن عمر** ﷺ ، **قال لمعاذ** : ما قوام هذا الأمر فذكر نحوه .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا** قال ابن عباس : الربا رباءان : فربا لا يصح يعني ربا البيع ، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾. وإنما الثواب عند الله في الزكاة، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤١ ـ ٤٢)** ﴾ **قال عوف عن أبي قحذم** : وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها **حب يعني من بر** ، **أمثال النوى، مكتوب فيها** : هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ(٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (٥٨ ـ ٦٠)** ﴾، **يقول تعالى ذكره** : فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعك في الأرض حق : ﴿ **وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ** ﴾ **يقول** : ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد.

****

٣١- سورة لقمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ لقمان: ١-٦.

♣ ٣١- سـورة لقمان ♣

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٦ ـ ٧) ﴾ **حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال** : أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن ابن معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء **البكري** : أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ **فقال عبد الله بن مسعود** : الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات . حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء : أنه سأل ابن مسعود عن قول الله : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ **قال** : الغناء .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ *خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨ ـ ٩)** ﴾ **أي** : أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا سيوفيهم الله بصالح أعمالهم ، مقيمين في جنات النعيم .

قال تعالى : ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ومن حكمته أنه : ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ** ﴾ السبع ﴿ **بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ **قال ابن عباس** : لها عمد لا ترونها .

وقوله : ﴿ **وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ **يقول** : وجعل على ظهر الأرض رواسي ، وهي ثوابت الجبال : أن تميد بكم : ﴿ **أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ **يقول** : أن لا تضطرب بكم ، ولا تتحرك يمنة ولا يسرة ، ولكن تتسقر لكم. وقوله: ﴿ **وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ** ﴾ **يقول** : وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب . **وقيل** :

الدواب اسم لكل ما أكل وشرب ، وهو عندي لكل ما دب على الأرض . وقوله : **﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ يقول تعالى ذكره :** وأنزلنا من السماء مطراً ، فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج ، **يعني :** من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن النبتة .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) ﴾ قال ابن عباس :** كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ، **وقال سعيد بن المسيب :** كان لقمان من سودان مصر ، ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة ، **وعن عبد الرحمن بن حرملة ، قال :** جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله ، **فقال له سعيد بن المسيب :** لا تحزن من أجل أنك أسود ؛ فإنه كان من أخير الناس **ثلاثة من السودان :** بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر . **حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أبي الأشهب عن خالد الربعي ، قال :** كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ، **فقال له مولاه :** اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، **قال :** أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، **ثم قال :** اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، **فقال :** اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، **فقال له مولاه :** أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال لقمان : أنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا . **حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس ، قال :** كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين ، فأتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم ، **فقال له :** ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ **قال :** نعم . **قال :** فما بلغ بك ما أرى ؟ **قال :** صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني . **حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة ، قال :** كان لقمان نبيا .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٣ ـ ١٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وإن جاهداك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري مما لا تعلم أنه لي شريك ، ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً ، فلا تطعمها فيما أراداك عليه من الشرك بي : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ **يقول** : وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ **يقول** : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمداً ﷺ . وقوله : ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فإن إلي مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشر ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته . **عن سعيد بن وهب ، قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي ﷺ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال** : إني رسول الله ﷺ إليكم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تطيعوني لا آلوكم خيرا ، وأن المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظعن ، وخلود فلا موت .

قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ *يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ *وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٦ ـ ١٨) ﴾ عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ ، **قال** : ((**لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله**

للناس كائنا ما كان ، ثم قال : يا بني أقم الصلاة ، أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، أي : بحسب طاقتك وجهدك ، واصبر على ما أصابك علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر)) . قال أبو هريرة ، قال رسول الله ﷺ : ((**إن من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم))** .

قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٧ ــ ٢٨)** ﴾ **قال الربيع بن أنس** : إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك : ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ **يقول** : لو كان البحر مدادا لكلمات الله ، والأشجار كلها أقلاما لانكسرت الأقلام ، وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء ؛ لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ، إن ربنا كما يقول ، وفوق ما نقول.

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣١ ــ ٣٢)** ﴾ **قال ابن عباس** : الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها ، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها . وكذلك القمر . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾ **عن ابن عمر قال :** قال رسول الله ﷺ : ((**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير**)) . **وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال :** جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبريل ، والحاصل بين يدي رسول الله ﷺ واضعا كفيه على ركبتي النبي ﷺ ، **فقال :** يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال رسول الله ﷺ : ((**الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل ، وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإن محمدا عبده ورسوله . قال : فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت ، قال : يا رسول الله فحدثني ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره ، قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت . قال :** إذا فعلت ذلك فقد آمنت ، **قال : يا رسول الله حدثني ما الإحسان ؟ قال رسول الله** ﷺ **: الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك ، قال : يا رسول الله فحدثني متى الساعة ؟ قال رسول الله** ﷺ **: هي سبحان الله في خمس لا يعلمهن إلا الله : إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ولكن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك ؟ قال : أجل يا رسول الله فحدثني .** قال رسول الله ﷺ : **إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ، ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤوس الناس ، فذلك من معالم الساعة وأشرا طها قال : يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة ؟ قال : العرب**)) .

٣٢- سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ السجدة: ١ ـ ٥.

♣ ٣٢- ســورة السجدة ♣

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤ ــ ٦) ﴾ **عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ** : ألم تنزيل السجدة ، و تبارك الذي بيده الملك [1] **يقول تعالى ذكره** : المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ من خلق : ﴿ **فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السماوات والأرض وما بينهما .

وقوله : ﴿ **مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ** ﴾ **يقول** : ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضراً ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه ، **يقول** : فإياه فاتخذوا ولياً ، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب : ﴿ **أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع، فتفردوا له الألوهية ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة . **عن أبي هريرة** : أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي ، فقال : ((**إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر**

---

[1] **صحيح** : وقد رواه بعض أهل السنن خلافاً للمصنف (ح / ٤٨٧٣) .

وخلقه من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها ، من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث)) . ([1])

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٠ ـ ١١) ﴾ **قال جعفر بن محمد : سمعت أبي ، يقول** : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت ثم رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبي ﷺ : ((**يا ملك الموت ارفق بصاحبي فأنه مؤمن ، فقال ملك الموت : يا محمد طب نفسا ، وقر عينا ، فإني بكل مؤمن** رفيق ، **وأعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ، حتى إني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم** بأنفسهم ، **والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها**)) .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥ ـ ١٧) ﴾ **قلت** : قوله تعالى : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾ **يعني بذلك** : قيام الليل . **وقال الضحاك** : هو صلاة العشاء في جماعة ، وصلاة الغداة في جماعة . **قلت** : ومن حديث شعبة عن الحكم ، **قال** : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ **بن جبل أن رسول الله ﷺ ، قال له : ألا أدلك على أبواب الخير** : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل ، وتلا هذه الآية : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ . حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا معلى بن أسد حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد

([1]) **صحيح** : صححه الشيخ الألباني وكذلك الشيخ مقبل بن هادى .

الخدري عن رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل ، قال : ((**أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**)).

حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره ، قال : الجنة مائة درجة : أولها درجة فضة وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيتها فضة ، وترابها المسك ، والثانية ذهب وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك ، والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها اللؤلؤ ، وآنيتها اللؤلؤ ، وترابها المسك ، وسبع **وتسعون بعد ذلك** : مالاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم أصحهما هذه الآية : ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ **حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا الفاء بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الأمين ، قال :** ((يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض حسنة واحدة ، وسع الله له في الجنة . **قال** : فدخلت على "**يزداد** " فحدث بمثل هذا الحديث ، **قال** : **فقلت** : فأين ذهبت الحسنة ؟ **قال** : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) ﴾ يقول تعالى ذكره : تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمناهم ولا ينامون : ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً** ﴾ في عفوه عنهم، وتفضله عليهم برحمته ومغفرته : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ في سبيل الله ، ويؤدون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه . **وتتجافى** : تتفاعل من الجفاء ، **والجفاء** : النبو .

****

٣٣- سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ الأحزاب: ١ - ٤.

♣ ٣٣- سـورة الأحزاب ♣

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النبيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** ﴾ بطاعته ، وأداء فرائضه ، وواجب حقوقه عليك ، والانتهاء عن محارمه ، وانتهاك حدوده : ﴿ **وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ** ﴾ **الذين يقولون لك** : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك : ﴿ **وَالْمُنَافِقِينَ** ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك ، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالاً ، فلا تقبل منهم رأياً ، ولا تستشرهم مستنصحاً بهم ، فإنهم لك أعداء : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ **يقول** : إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم ، والذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة ، مع الذين ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه .

قال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٤ ـ ٥)** ﴾ **قال قابوس " يعني ابن أبي ظبيان " قال : إن أباه حدثه ، قال** : قلت لابن **عباس** : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾ ما عنى بذلك ، **قال** : قام رسول الله ﷺ يوما يصلي فخطر خطرة ، **فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين** : قلبا معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ**

أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : قال أبو بكر ﷺ : قال الله ﷻ : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ فأنا ممن لا يعرف أبوه ، فأنا من إخوانكم في الدين ، قال أبي : والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى إليه .

قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً (٦ ــ ٧) ﴾ عن أبي هريرة ﷺ قال : خيار ولد آدم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخيرهم ﷺ . قال ابن عباس : الميثاق الغليظ العهد .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (٩ ــ ١٠) ﴾ حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة ، قال : قال الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقي ننصر رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل . قال : فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا . حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : أرسلني خالي عثمان ابن مظعون ﷺ ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة ، فقال : ائتنا

بطعام ولحاف ، **قال** : فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي ، **وقال** : من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا ، **قال** : ذهب والريح تسفي كل شيء ، فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي ﷺ ، **قال** : فما يلوى أحد منهم عنقه ، **قال** : وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه علي وكان فيه حديد ، **قال** : فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها إلى الأرض .

عن عبد العزيز بن أخي حذيفة ، قال : ذكر حذيفة ؓ مشاهدهم مع **رسول الله** ﷺ ، **فقال جلساؤه** : أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا ، **فقال حذيفة** : لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، **ويقولون** : **إن بيوتنا عورة ،ما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم** فيتسللون ، ونحن ثلاث مائة أو نحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي ، **قال** : أتاني ﷺ وأنا جاث على ركبتي ، **فقال** : من هذا ؟ **فقلت** : حذيفة ، **قال حذيفة** : فتقاصرت الأرض . **فقلت** : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقمت ، **فقال** : إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم ، **قال** : وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا ، **قال** : فخرجت . فقال رسول الله ﷺ : ((**اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته**)) **قال** : فو الله ما خلق الله تعالى فزعا ولا قرا في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد فيه شيئا ، **قال** : فلما وليت .

قال ﷺ : ((**يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني**)) **قال** : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد ، فإذا رجل أدهم

ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ، **ويقول** : الرحيل الرحيل ، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : ((**لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني**)) **قال** : فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر ، **يقولون** : يا آل عامر الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم ، وإذا الريح في عسكركم ما تجاوز عسكرهم شبرا ، فو الله إني الحجارة في رحالهم وفرستهم الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو النبي ﷺ ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوا من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين ، **فقالوا** : أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي ، فو الله ماعدا أن رجعت راجعني القر ، وجعلت أقرقف فأومأ إلي رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل علي شملة ، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم وأخبرته أني تركتهم يرتحلون ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرا** ﴾ **قلت** : ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين ، وأن الله سيفعل ذلك .

قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٣ ـ ٢٤)** ﴾ .

قلت : ومن حديث سليمان عن حميد عن أنس ﷺ : غاب عن قتال بدر ، **فقال** : غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين ، لئن أشهدني الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما أصنع ، **قال** : فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ،

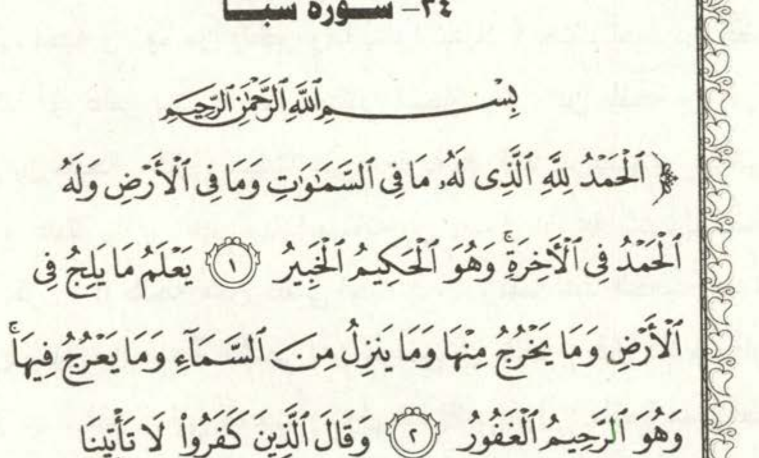
فقال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء "يعني أصحابه ﷺ دون أحد ، **فقال** أنا معك . **قال سعد** : "**وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء "يعني المشركين** " ثم تقدم **فلقيه سعد "يعني ابن معاذ"** ﷺ : فلم أستطع أن أصنع ماصنع ، فلما قتل ، قال : فوجد فيه بضع وثمانون حصول سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه : نزلت : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو عامر يعني العقدي حدثني إسحاق يعني ابن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة ، **قال** : دخلت على معاوية ﷺ فلما خرجت دعاني ، **فقال** : ألا أضع عندك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ **يقول** : ((**طلحة ممن قضى نحبه**)) .[1] **حدثنا عبد الحميد الحماني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة** ، **قال** : قام معاوية **بن أبي سفيان** ﷺ ، **فقال** : إني سمعت رسول الله ﷺ ، **يقول** : طلحة ممن قضى نحبه . قال تعالى : ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً (٢٥)** ﴾ **عن عبد الله بن أبي أوفى** ﷺ ، **قال** : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب ، **فقال** : ((**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم**)) .[2]

قال تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (٢٦ ــ ٢٧)** ﴾ .

****

([1]) **حسن** : وهو في " الصحيح المسند من فضائل الصحابة " (ص ١٤٦) .

([2]) **صحيح . متفق عليه** : أخرجه البخاري في (الجهاد ، ح / ٢٩٣٣) ، ومسلم في (الجهاد ، ح / ١٧٤٢) .



٣٤- سورة سبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ
وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا
ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن
ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ سبأ: ١ - ٣

♣ ٣٤- سورة سبأ ♣

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء ، **من قولهم : ولجت في كذا** : إذا دخلت فيه . يعني بكلامه : (**يتلجن موالجا**) : يدخلن مداخل : ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ **يقول** : وما يخرج من الأرض : ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ **يعني** : وما يصعد في السماء ، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض ، مما ظهر فيها وما بطن ، وهو الرحيم الغفور ، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم ، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة ، استهزاء بوعدك إياهم ، وتكذيباً لخبرك ، **قل لهم** : بلى تأتيكم وربي، قسماً له لتأتينكم الساعة . ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه ، وتمجيدها ، فقال : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ علام ما يغيب عن أبصار الخلق ، فلا يراه أحد ، إما ما لم يكونه مما سيكونه ، أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحداً غيره وإنما وصفت جل ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب ، إعلاماً منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه ، وإن كانت جائية ، فقال لنبيه محمد ﷺ : **قل للذين كفروا بربهم** : بلى وربكم لتأتينكم الساعة ، ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة . يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ ﴾ لا يغيب عنه ، ولكنه ظاهر له . وقوله : ﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ **يعني**

زنة ذرة في السماوات ولا في الأرض ، **يقول تعالى ذكره** : لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها ، أين كان في السماوات ولا في الأرض : **﴿ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ﴾ يقول** : ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة : **﴿ وَلا أَكْبَرُ ﴾** منه : **﴿ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ يقول** : هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه ، فلم يعزب عن علمه.

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥) ﴾ يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في الكتاب، ليجزي المؤمنين ما وصف ، وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين : يقول وكي يثبت الذين عملوا في إبطال** أدلتنا وحججنا معاونين ، يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم: **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ﴾ يقول** : هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ، ويعني **بالأليم** : الموجع .

قال تعالى : **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) ﴾ يقول تعالى ذكره** : وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ ، متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض : **﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ ﴾** أيها الناس : **﴿ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ يقول** : يخبركم أنك بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتاً ، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقاً جديداً .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٠ ـ ١١) ﴾ يقول : وعهدنا إليه أن اعمل سابغات** ، وهي التوام الكوامل من الدروع . وقوله تعالى : **﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾** اختلف أهل التأويل في السرد ، **فقال بعضهم : السرد** : هو مسمار حلق الدرع .

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : ((**قال كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا . فيقول لأي شيء أنت ؟ فإن كانت تغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب . قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان عليه السلام : اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا ، والجن تعمل فأكلتها الأرضة ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين**)) .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ*فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ*ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٦ ــ ١٧) ﴾ **قلت : عن عبد الرحمن بن وعلة ، قال : سمعت ابن عباس ، يقول** : إن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال ﷺ : ((**بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون فمذحج ، وكندة والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير ، وأما الشامية : فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان**)) . عن أبي كريب عن العنقزي عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي عن عمه أو عن أبيه ، شك أسباط ، **قال** : قدم فروة بن مسيك ﷺ على رسول الله ﷺ فذكر طريق أخرى لهذا الحديث . حدثنا أبو كريب

حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي فروة بن مسيك الغطيفي ﷺ ، **قال** : **قال رجل** : يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة ؟ ﷺ : ((**ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد ، فتيامن ستة ، وتشاءم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وأما الذين تيامنوا : فكندة، والأشعريون ، والأزد ، ومذحج ، وحمير وأنمار . فقال رجل : ما أنمار ؟ قال** ﷺ : **الذين منهم خثعم، وبجيلة**)) .[1]

قال تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ*فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٨ ـ ١٩) ﴾** حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن إسحاق ، **قال** : يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا ، رأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم ، **فقال لهم** : إني قد علمت أنكم ستمزقون ، فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد فليلحق بكاس أو كرود . **قال** : فكانت وادعة بن عمرو ، ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو ، وهم الذين يقال لهم : بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آنيا وحرما آمنا فليلحق بالفارزين فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج وهما هذان الحيان من الأنصار ، ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق .

قال تعالى : **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ*وَلا**

---

[1] **صحيح** : أخرجه أبو داود في (الحروف ، ح / ٣٩٨٨) والترمذي (ح / ٣٢٢٢).

تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٢ ــ ٢٣) ﴾ قلت : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حتى إذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك ، قال : فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم ومآربهم ؛ وما كان يظلهم **قالوا** : ماذا قال ربكم ؟ **قالوا** : الحق وهو العلي الكبير ، **قال** : وهذا في بني آدم هذا ، ثم الموت ، أقروا حين لا ينفعهم الإقرار .

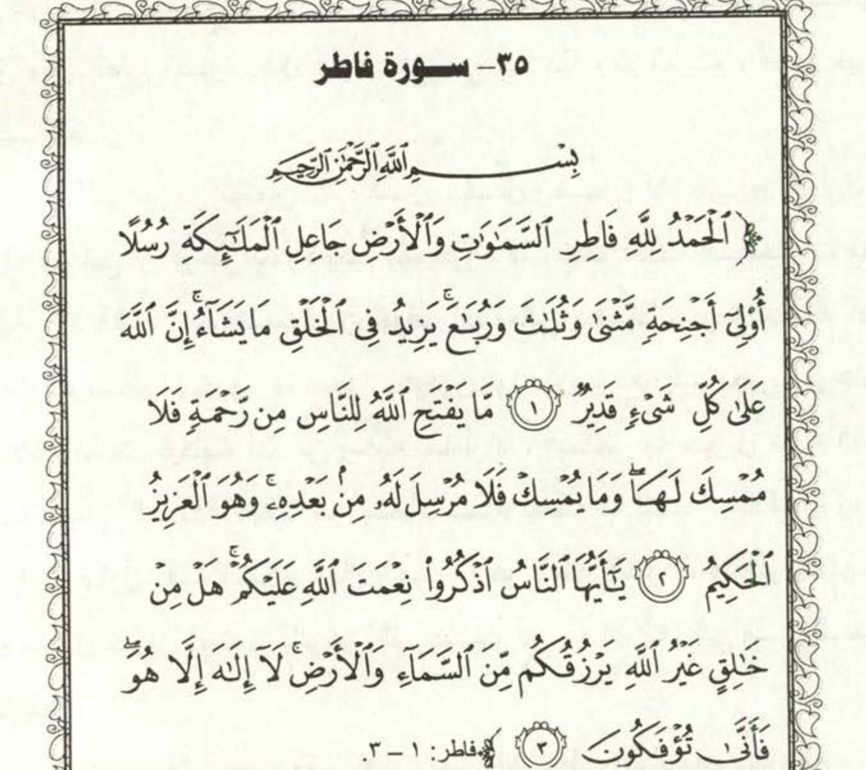
قلت : عن النواس بن سمعان ، **قال : قال** رسول الله ﷺ : ((**إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة ، أو قال** : رعدة **شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة ، كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ، ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول عليه السلام : قال الحق : وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم : مثل ما قال جبريل فينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض))** . [1]

قال تعالى : عن جابر ، **قال : قال** رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**)) .[2]

---

[1] **ضعيف** : ذكره الألباني في " السنة لابن أبي عاصم " (٥١٥) .

[2] **صحيح . متفق عليه** : أخرجه البخاري في (التيمم ، ح / ٣٣٥) ومسلم في (المساجد ، ح / ٥٢١) .



٣٥- سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ
خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ فاطر: ١ – ٣.

♣ ٣٥- ســورة فاطــر ♣

قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض : ﴿ **جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً** ﴾ إلى من يشاء من عباده ، وفيما شاء من أمره ونهيه : ﴿ **أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ **يقول : أصحاب أجنحة** : يعني ملائكة ، فمنهم من له اثنان من الأجنحة ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة . وقوله : ﴿ **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب ، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه ، وينقص ما شاء من خلق ما شاء ، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ **يقول** : إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ، ونقصان ما شاء منه ممن شاء ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى

قال تعالى : ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ، فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ، ولا ممسك عنهم ؛ لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد ، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ، ولا يفتحه لهم ، فلا فاتح له سواه ، لأن الأمور كلها إليه وله .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)** ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ**

اللَّهِ ﴾ التي أنعمها : **﴿ عَلَيْكُمْ ﴾** بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها : **﴿ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾** فتعبدوه دونه : **﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ يقول** : لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض ، القادر على كل شيء ، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها ، ومغالق ذلك كله ، فلا تعبدوا أيها الناس شيئاً سواه ، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه ، فله فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالألوهية : **﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ يقول** : فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون .

قال تعالى : **﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)﴾ يقول تعالى ذكره** : أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به ، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان ، فرآه حسناً ، فحسب سيئ ذلك حسناً ، وظن أن قبحه جميل ، لتزيين الشيطان ذلك له ، ذهبت نفسك عليهم حسرات .

وقوله : **﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ يقول** : فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك ، **ويهدي من يشاء** : **يقول** : ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك ، فتهديه إلى سبيل الرشاد : **﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ يقول** : فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالتهم وكفرهم بالله ، وتكذيبهم لك .

قال تعالى : **﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ**

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٩ ـ ١١) ﴾ قلت : قال مجاهد : من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ، فإن العزة لله جميعا . حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم ، **قال : قال لنا عبد الله هو ابن مسعود** ﷺ : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من **كتاب الله تعالى : إن العبد المسلم إذا ، قال** : سبحان الله وبحمده ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ، ثم قرأ عبد الله ﷺ : **﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** . **وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عل أخبرنا سعيد بن الجريري عن عبد الله بن شقيق ، قال : قال كعب الأحبار** : إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل ، يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن .

قال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٧ ـ ٢٨) ﴾** ، قوله تعالى : **﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ قال عكرمة** : الغرابيب الجبال الطوال السود ، **قلت** : والعرب إذا وصفوا الأسود ، **قالوا** : أسود غربيب .

****

٣٦- سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يس: ١ - ٩

٣٦- سورة يس

قال تعالى : ﴿يَس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١ ـ ٧) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ يس ﴾ فقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله . عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن لكل شيء قلبا ، وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات)) . عن معقل بن يسار ﷺ ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : ((البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا ، واستخرجت: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم)) .

قال تعالى : ﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٣ ـ ١٤)﴾ يقول تعالى ذكره : ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية ، ذكر أنها أنطاكية : ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل ، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ، فقال بعضهم : كانوا رسل عيسى ابن مريم ، وعيسى الذي أرسلهم إليهم . وعن وهب بن منبه ، قال : كان بمدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس ابن أبطيحس يعبد الأصنام ، صاحب شرك ، فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق ، ومصدوق ، وسلوم ،

فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث ، فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله ، وصدعت بالذي أمرت به ، وعابت دينه ، وما هم عليه، قال لهم : ﴿ **قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ قال تعالى : ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٦ ــ ٢٩)** ﴾ **يقول** : يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي ، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته ، كان إيماني بالله وصبري فيه ، حتى قتلت ، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة .

قال تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٧ ــ ٤٠)** ﴾ **عن أبي ذر** ، **قال** : كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين غربت الشمس ، فقال ﷺ : ((**يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ : فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها ، وذلك مستقرها ، ثم قرأ : والشمس تجري لمستقر لها**)) .

قال تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ (٤١ ــ ٤٤)** ﴾ **حدثنا الفضل حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :**

أتدرون ما قوله تعالى : ﴿ **وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ﴾ **قلنا : لا . قال** : هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٥ ـ ٤٧)** ﴾ **قلت** : ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم ، **فقال لهم** : إن أنتم إلا في ضلال مبين .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ(٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ(٥٧) سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٥ ـ ٥٨)** ﴾ **حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز** ﷺ ، **قال** : إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة ، **قال** : فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٧٧ ـ ٨٠)** ﴾ عن بشر بن جحاش ، قال : إن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ، ثم قال رسول الله ﷺ ((**قال الله تعالى : بني آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك ، وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي ، قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة**)) .

****

٣٧- ســورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

الصافات: ١ - ١٠.

♣ ٣٧- سورة الصافات ♣

قال تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١)﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد الممات والنشور **بعد البلاء** : **يقول** : **فسلهم** : أهم أشد خلقاً ؟ أخلقهم أشد ؟ أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسماوات والأرض ؟ وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ **يقول** : إنا خلقناهم من طين لاصق . وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب ؛ لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء ، والتراب إذا خلط بماء صار طيناً لازباً ، والعرب تبدل أحياناً هذه الباء ميماً ، **فتقول** : طين لازم .

قال تعالى : ﴿مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ **يقول** : ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضاً : ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) ﴾ **يقول** : بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه ، موقنون بعذابه .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) ﴾ **يقول تعالى ذكره : قالت الإنس للجن** : إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، **واليمين** : القوة والقدرة في كلام العرب . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره : قالت الإنس للجن** : إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، **واليمين** : القوة والقدرة في كلام العرب . قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(٣٨ ـ ٤٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة . وقوله : ﴿ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ **قال** : الخمر . **والكأس عند العرب** :

كل إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً ولكنه يكون إناء ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٣٨ ـ ٤٩) ﴾ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنهما ، قالت : قلت يا رسول الله : أخبرني عن قوله عز مكنون﴾ قال : رقتهن كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الفرقي .[1] قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ(٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ (٨٨ ـ ٩٨) ﴾ حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد بن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال : ((لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة ثلاث كذبات ، ثنتين في ذات الله تعالى)) . قال ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا ، فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه ، واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته عندها فجاء ثم الجمرة الوسطى فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها .

****

---

[1] **ضعيف** : ضعفه الهيثمى في " **المجمع** " كتاب تفسير سورة الواقعة (ح /١١٣٩٦) من أجل سليمان بن أبى كريمة .

٣٨- ســورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ ص: ١ – ٦.

♣ ٣٨- سـورة ص ♣

قال تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٦) وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٧) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٨) أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٩) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (١٠) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ(١١) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ (٤ ـ ١١) ﴾ **حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال** : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل ، **فقالوا** : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهيته ، فبعث إليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، **قال** : فخشي أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب ، والحاصل في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه والحاصل عند الباب ، **فقال له أبو طالب** : أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك ، ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ **قال** : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله ﷺ فقال : ((**يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ولقوله**)) **فقال القوم** : كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا ، **فقالوا** : وما هي ؟ **وقال أبو طالب** : ونصف كلمة هي يا ابن أخي **قال** ﷺ : ((**لا إله إلا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم ، يقولون : أجعل الآلهة** إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ، **قال** : ونزلت من هذا الموضع إلى قوله : **بل لما يذوقوا عذاب** .

قال تعالى : ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (١٧ ــ ٢٠) ﴾ حدثنا جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما : قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله ﷻ : ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ قلت : من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنهما : كان لا يصلي الضحى ، قال : فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنه ، فقلت : أخبري هذا ما أخبرتني ، فقالت : دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ، ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات ، وذلك في الضحى قيامهن وركعوهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو ، يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن يسبحن بالعشي والإشراق ، وكنت أقول أين صلاة الإشراق ؟ وكان بعد يقول : صلاة الإشراق .

قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٠ ــ ٣٣)﴾ وقوله : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ يقول : ردوا علي الخيل التي عرضت علي ، فشغلتني عن الصلاة فكروها علي . وقوله : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾ يقول : فجعل يمسح منها السوق ، وهي جمع الساق والأعناق . واختلف أهل

التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها ، **فقال بعضهم : معنى ذلك** : أنه عقرها وضرب أعناقها، من **قولهم : مسح علاوته** : إذا ضرب عنقه . حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله ﷻ : **﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ قال** : كانت عشرين فرسا ذات أجنحة .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ يقول تعالى ذكره** : ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً شيطاناً متمثلاً بإنسان ، **ذكروا أن اسمه صخر : وقيل** : إن اسمه اصف . **وقيل** : إن اسمه آصر . **وقيل** : إن اسمه حبقيق . وقوله : **﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾** سليمان ، فرجع إلى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب .

قال تعالى : **﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) ﴾ يقول تعالى ذكره** : وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من بناء وغواص ، فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار وآخرون ينحتون له جفاناً وقدوراً ، والمردة في الأغلال مقرنون .

قال تعالى : **﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) ﴾ قال** : مردة الشياطين في الأغلال . حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : **﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ قال** : لم يكن هذا في ملك داود ، أعطاه الله ملك سليمان وزاده الريح . عن السدي ، قوله : **﴿ الأَصْفَادِ ﴾ قال** : تجمع اليدين إلى عنقه ، **والأصفاد** : جمع صفد وهي الأغلال . قال تعالى : **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ يقول** : ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه ، **يعني** : نبأ هذا القرآن ، وهو خبره ، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين .

****

٣٩- سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ الزمر: ١ ــ ٥.

♣ ٣٩- سورة الزمر ♣

قال تعالى : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ الذي نزلناه عليك يا محمد : ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ في انتقامه من أعدائه : ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ في تدبيره خلقه ، لا من غيره ، فلا تكونن في شك من ذلك ورفع قوله : ﴿تَنْزِيلُ ﴾ بقوله : ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ . **وتأويل الكلام** : من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب . وجائز رفعه بإضمار هذا ، كما قيل : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ **(النور:١)** غير أن الرفع في قوله : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ بما بعده ، أحسن من رفع سورة بما بعدها، لأن تنزيل ، وإن كان فعلاً، فإنه إلى المعرفة أقرب ، إذ كان مضافاً إلى معرفة ، فحسن رفعه بما بعده ، وليس ذلك بالحسن في سورة ؛ لأنه نكره .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (٢) ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ "﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب ، **يعني بالكتاب** : القرآن ، بالحق ، يعني بالعدل . **يقول** : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل ، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصاً له الدين ؛ لأن الدين له ، لا للأوثان التي لا تملك ضراً ولا نفعاً .

وقول الله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فاخشع لله يا محمد بالطاعة ، وأخلص له الألوهية ، وأفرده بالعبادة ، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكاً ، كما فعلت عبدة الأوثان .

قال تعالى : ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) ﴾ **قلت** : أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ؛ ليشفعوا لهم عند الله تعالى في

نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . قال تعالى : ﴿ **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)** ﴾ **قلت** : يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن .

قال تعالى : ﴿ **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)** ﴾ أي : يحبه منكم ويزدكم من فضله .

قال تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (١٩ ـ ٢٠)** ﴾ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات**)) **فقالوا : يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال** ﷺ : ((**بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل**)) .[1]

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)** ﴾ عن أبي هريرة ﷺ **قال** : **قال** رسول الله ﷺ : ((**إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن**

---

[1] **إسناده** : حسن . صحيح .

أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)) .[1] قال تعالى : **﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾ يقول تعالى ذكره** : وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر ، فدعي وحده ، وقيل لا إله إلا الله ، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات . وعنى بقوله : **﴿ اشْمَأَزَّتْ﴾** : نفرت من توحيد الله : **﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يقول** : وإذا ذكر الألوهية التي يدعونها من دون الله مع الله ، **فقيل** : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى ، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون .

قال تعالى : **﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) ﴾ يقول تعالى ذكره** فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثاً بنا من جهة ما أصابه من الضر : **﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا ﴾ يقول** : ثم إذا أعطيناه فرجاً مما كان فيه من الضر ، بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة ، وبالسقم صحة وعافية ، **فقال** : إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة ، والصحة في البدن والعافية ، على علم عندي ، يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي عندي ، يعني فيما عندي ، **كما يقال : أنت محسن في هذا الأمر عندي** : أي فيما أظن وأحسب.

قال تعالى : **﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ قال محمد بن كعب** : لو قدروه حق قدره ما كذبوه .

****

---

[1] **صحيح . متفق عليه** : أخرجه البخاري في (الدعوات ، ح / ٦٣٢٠)، ومسلم في (الذكر ، ح / ٢٧١٤ / عبد الباقي) .

٤٠- سورة غافر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾ غافر: ١ - ٦

٤٠- سورة غافر

قال تعالى : ﴿ حمَ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ(١- ٣) ﴾ عن عبد الله ﷺ قال : ((إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات ، فقال : عجبت من الغيث الأول ، فهذا أعجب وأعجب . فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن)) .

قال تعالى : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤ - ٦) ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، قال : ((من أعان باطلا ليدحض به حقا برئت منه ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ)) .

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧ - ٩) ﴾ قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم أصحهما هذه الآية : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ وأغش عباده للمؤمنين الشياطين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٠ ـ ١٣) ﴾

قلت: يخبر عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلى النار ، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارا عاليا نادوهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون أشد من مقتكم : **أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة .**

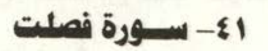
قال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به : فاعبدوا الله أيها المؤمنون له ، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئاً مما دونه : **﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ يقول :** ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد .

قال تعالى : **﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٥ ـ ١٧) ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** اليوم **﴾ يقول :** اليوم يثاب كل عامل بعمله ، ويوفى أجر عمله ، فعامل الخير يجزى الخير ، وعامل الشر يجزى جزاءه . وقوله : **﴿ لا ظُلْمَ**

الْيَوْمَ﴾ يقول : لا بخس على أحد فما استوجبه من أجر عمله في الدنيا ، فينقص منه إن كان محسناً ، ولا حمل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه : **﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يقول** : إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وقد فرغ من حسابهم ، والقضاء بينهم . **قلت : قال ابن عباس** : يلتقي في آدم وآخر ولده . قال تعالى : **﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه** : وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة ، يعني يوم القيامة أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة فيستحقوا من الله عقابه الأليم وقوله : **﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ يقول تعالى ذكره** : إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم ، فتعلقت بحلوقهم كاظميها ، يرمون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع ، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا . وقوله : **﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ يقول جل ثناؤه** : ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم بهم ، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله ، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع ، ويجاب فيما سأل . وقوله : **﴿يُطَاعُ ﴾** صلة للشفيع . **ومعنى الكلام** : ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع إطيع فيما شفع ، فأجيب وقبلت شفاعته له . قال تعالى : **﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ يقول تعالى ذكره** : ويقول ربكم أيها الناس لكم **ادعوني : يقول:** اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك : **﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ يقول** : أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم .

****

٤١- سورة فصلت



﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ فصلت: ١ – ٧.

٤١- سورة فصلت

قال تعالى : ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٤ ـ ٥) ﴾ قال عن محمد بن كعب القرظي : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، وذك حين أسلم حمزة ﷺ ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، **فقالوا** : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، **فقال** : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . **قال : فقال له رسول الله ﷺ** : ((**قل يا أبا الوليد أسمع**)) **قال** : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، إن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : ((**أفرغت يا أبا الوليد**)) **قال : نعم . قال** : ((**فاستمع مني**)) ؟ **قال** : أفعل . قال : **﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا﴾** ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى

السجدة منها فسجد ثم ، **قال** : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه ، **فقال بعضهم لبعض** : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، **قالوا** : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ **قال** : ورائي **أني سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة** : يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . **قالوا** : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، **قال** : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

قال تعالى : **﴿ قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩ ـ ١٢) ﴾ قلت : قالتا أتينا طائعين** أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعا مطيعين لك ، وتنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما . حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس ، **قال هناد : قرأت سائر الحديث** : أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فينبغي عن خلق السماوات والأرض ، فقال ﷺ : ((خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ، ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر ظاهرا والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة .

****

٤٢- سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾ الشورى: ١ – ٧.

♣ ٤٢- سورة الشورى ♣

﴿حمَ (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١ ــ ٦) ﴾ **قلت : قول الله تعالى :** ﴿حم (١) عسق ﴾ **يعني** : عزيمة من الله تعالى ، وفتنة وقضاء . **وقوله :** ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ **يعني** : المشركين .

﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ **أي** : شهيد على أعمالهم ، ويعدها عدا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء . قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٧ ــ ٨) ﴾ **قال ابن جرير : عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه : أنه سمع عبد الله بن عمرو** ﷺ **يقول** : إن الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المزود ، وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف ، فقبضهم قبضتين ، **ثم قال** : شقي وسعيد ، ثم ألقاهما ثم قبضهما **فقال** : فريق في الجنة وفريق في السعير . **حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي سوية حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه** : أن موسى عليه الصلاة والسلام ، **قال** : يارب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لوما أدخلتهم كلهم الجنة ، **فقال** : يا موسى ارفع درعك فرفع ، **قال** : قد رفعت . **قال** : ارفع فرفع فلم يترك شيئا ، **قال** : رب قد رفعت ، **قال** : ارفع .

قال : قد رفعت إلا ما لا خير فيه . **قال** : كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه .

قال تعالى : ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)**﴾ يعني تعالى ذكره بقول : ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ له مفاتيح خزائن السماوات والأرض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها ، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقوله : ﴿ **يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** ﴾ **يقول** : يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ، ويبسط له ، ويكثر ماله ويغنيه . **ويقدر** : ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره : ﴿ **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ **يقول** : إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع ، وتقتيره على من يقتر ، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق ، ويفسده من خلقه ، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده ، وغير ذلك من الأمور ، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره ، من صلاح تدبير خلقه .

قال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)**﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ** ﴾ ربكم أيها الناس : ﴿ **مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً** ﴾ أن يعمله : ﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ **يقول لنبيه محمد** ﷺ : وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد ، فأمرناك به : ﴿ **وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** ﴾ **يقول** : شرع لكم من الدين ، أن أقيموا الدين .

وقوله : ﴿ **أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم ، ثابت لا يزول عنهم ، ولا يبيد ، ولا يخف .

٤٣- سورة الزخرف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ﴾ الزخرف: ١ - ٩.

♣ ٤٣- سورة الزخرف ♣

قال تعالى : ﴿ حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١ ـ ٣) ﴾ **يقول** : إنا أنزلناه قرآنا عربياً بلسان العرب ، إذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد ﷺ عرباً : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ **يقول** : لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ ، ولم ينزله بلسان العجم ، فيجعله أعجمياً ، **فتقولوا** : نحن عرب ، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه .

قال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ (٤ ـ ٨) ﴾ **قال قتادة في قوله تعالى** : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾ والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٩ ـ ١٠) ﴾ **يقول** : الذي مهد لكم الأرض ، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم ، وتمشون عليها بأرجلكم : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ **يقول** : وسهل لكم فيها طرقاً تتطرقونها من بلدة إلى بلدة ، لمعايشكم ومتاجركم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١١ ـ ١٤) ﴾ **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : مقرنين ، أي :

مطيقين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، أي : لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه ، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ، ثم قال : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم يقول : اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا السفر ، وأطو لنا البعيد . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا . وكان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إذا رجع إلى أهله ، قال : آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون [1].

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) ﴾ يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيباً ، وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله . وقوله : **﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ يقول تعالى ذكره** : إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين ، **يقول** : يبين كفرانه نعمه عليه ، لمن تأمله بفكر قلبه ، وتدبر حاله .

قال تعالى : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) ﴾ يقول تعالى ذكره : أو من ينبت في الحلية ويزين بها : **﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ ﴾ يقول** : وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين ، ومن خصمه ببرهان وحجة ، لعجزه وضعفه ، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم . وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت .

قال تعالى : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾** الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد : **﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾** من دون الله ، فكذبوه

---

[1] **صحيح** : أخرجه مسلم في (الحج ، ح / ١٣٤٢) .

فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها . **وقيل** : ﴿ **إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت ، والعرب لا تثني البراء ولا تجمع ولا تؤنث ، **فتقول** : نحن البراء والخلاء لما ذكرت أنه مصدر ، **وإذا قالوا** : هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا ، **فقالوا** : هما بريئان منك ، وهم بريئون منك .

قال تعالى : ﴿ **بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٢٩ ـ ٣١)** ﴾ **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : ﴿ **لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ **أي** : هلا أنزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين ، **يعنون** : مكة والطائف ، **وقال السدي** : عنوا بذلك الوليد بن المغيرة ، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي .

قال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٦ ـ ٣٩)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ، ولم يخش عقابه : ﴿ **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ **يقول : نجعل له شيطاناً يغويه فهو له قرين** : **يقول** : فهو للشيطان قرين ، أن يصير كذلك . **وأصل العشو** : النظر بغير ثبت لعلة في العين ، **يقال منه** : عشا فلان يعشو عشواً وعشواً : إذا ضعف بصره ، وأظلمت عينه ، كأن عليه غشاوة.

****

٤٤- سورة الدخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ (١) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ﴾ الدخان: ١ – ١٠.

٤٤- سورة الدخان

قال تعالى : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (٩ ـ ١٦) ﴾ **قال مسروق** : دخلنا المسجد يعني مسجد الكوفة ، ثم أبواب كندة ، فإذا رجل يقص على أصحابه : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام . **قال** : فأتينا ابن مسعود ﷺ فذكرنا ذلك له وكان **مضطجعا ففزع فقعد ، وقال** : إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ **إن من العلم أن يقول الرجل : لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك** : إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء إلا الدخان .

عن ربعي بن حراش ، **قال** : سمعت حذيفة بن اليمان ﷺ **يقول** : قال رسول الله ﷺ: ((**إن أول الآيات الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا والدخان**)) **قال حذيفة** ﷺ : يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ *يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره. **قلت** : لو صح هذا الحديث لكان فاصلا ، وإنما لم أشهد له بالصحة ؛ لأن

محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان ؟ **فقال له** : لا . **قال** : **فقلت** : أقرأته عليه ؟ **قال** : لا . **قال** : فقلت له : **أقرئ عليه وأنت حاضر ، فقال : لا . فقلت له : فمن أين جئت به ؟ فقال :** جاءني به قوم فعرضوه علي ، **وقالوا لي** : اسمعه منا ؟ فقرءوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني .[1] حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إن ربكم أنذركم ثلاثا : الدخان : يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينفخ حتى يخرج من كل مسمع منه . والثانية : الدابة . والثالثة : الدجال**)) **قلت** : من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلماني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، **قال** : ((**يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكن كالرأس الحنيذ ــ أي المشوي على الرضف ــ**)) **حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم ، فقال** : ما نمت الليلة حتى أصبحت . **قلت** : لم قال ؟ **قالوا** : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت.

قال تعالى : ﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٣ ــ ٢٤)** ﴾ قوله تعالى : ﴿ **وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ** ﴾ **قال ابن عباس رضي الله عنهما : واترك البحر رهوا كهيئته وأمضه . حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير ، قال** : أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل ، فقال : يا أبا العباس أرأيت قول الله :

---

[1] **قال ابن كثير** : وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا فإنه موضوع بهذا السند ، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير ، وفيه منكرات كثيرة جدا ، ولا سيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى والله أعلم .

تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ **قال** ﷺ : نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه ، وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه ، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله ﷻ فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٤ ـ ٣٦) ﴾ **يقول تعالى : ذكره مخبراً عن قيل مشركي قريش لنبي الله ﷺإن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد "ليقولون" إن هي إلا موتتنا الأولي التي نموتها ، وهي الموتة الأولي "وما نحن بمنشرين" بعد مماتنا ، ولا بمبعوثين ، تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : إن هؤلاء ليقولون : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾، قال : قد قال مشركو العرب : وما نحن بمنشرين أي بمبعوثين . قال سعيد بن جبير** : كسا تبع الكعبة ، وكان سعيد ينهى عن سبه ، وتبع هذا هو تبع الأوسط ، وأسمه أسعد أبو كريب بن ملك يكرب اليماني ، ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة ، ولم يكن في حمير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنحو من سبعمائة سنة ، وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من زفر المدينة أن هذه البلدة مهاجر نبي آخر **في الزمان** : اسمه أحمد .

****

٤٥- سورة الجاثية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ الجاثية: ١ – ٨.

♣ ٤٥- سورة الجاثية♣

قال تعالى : ﴿ حَم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾: قوله : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾ فإن معناه : هذا تنزيل القرآن من عند مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١ ــ ٥) ﴾ .

الله ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ في تدبيره أمر خلقه . وقوله: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره : إن في السماوات السبع اللاتي منهن نزول الغيث ، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس : لآيات للمؤمنين : يقول : لأدلة و حججاً للمصدقين بالحجج إذا تبينوها ورأوها . وفي خلق الله إياكم أيها الناس و خلقه ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم ﴿ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ آيات لقوم يوقنون ﴾ يعني حججاً وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء فيقرون بها ، و يعلمون صحتها .

وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي : في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما عليكم هذا بظلمته و سواده ، و هذا بنوره و ضيائه ، وما أنزل الله من السماء من رزق ، وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم وإحيائه الأرض بعد موتها : يقول : فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض حتى اهتزت بالنبات و الزرع من بعد موتها : يعني : من بعد جدوبها و قحوطها و مصيرها داثرة لا نبت فيها و لا زرع . و قوله : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ يقول : و في تصريفه الرياح لكم شمالا مرة و جنوباً أخرى و صباً أحياناً و دبوراً أخرى لمنافعكم . و قد قيل : عني بتصريفها بالرحمة مرة و بالعذاب مرة أخرى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، **قال** : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة في قوله : **﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ قال** : تصريفها إن شاء جعلها رحمة و إن شاء جعلها عذاباً .

قال تعالى : **﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٦ ــ ١١) ﴾ يقول تعالى ذكره** : هذه الآيات و الحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها **عليك بالحق** : **يقول** : نخبرك عنها بأحق لا بالباطل ، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل أنها تقربهم إلى الله زلفى فبأس حديث بعد الله وآياته **تؤمنون** : **يقول تعالى ذكره للمشركين به** : فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم ، وأدلته التي دلكم بها على وحدانية الله من أنه لا رب لكم سواه تصدقون إن أنتم كذبتم لحديثه وآياته . وقوله تعالى : **﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** ومن رواء هؤلاء المستهزئين بآيات الله يعني من بين أيديهم .

قال تعالى : **﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ حدثني محمد بن سعد** ، **قال** : ثني أبي ، **قال** : ثني عمي ، **قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، **قوله** : و سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه : **يقول** : كل شيء هو من الله ، و ذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعاً منه و لا ينازعه فيه المنازعون و استيقن أنه كذلك .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : قل يا محمد للذين صدقوا الله و اتبعوك ، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه و نقمه إذا هم نالوهم بالأذى و المكروه . **حدثني محمد بن سعد قال** : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، **قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، **قوله : قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ، قال** : كان نبي الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه ، و كانوا يستهزئون به ، و يكذبونه ، فأمره الله ﷻ أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ . حدثني محمد بن عمرو ، **قال** : ثنا أبو العاصم **قال** : ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ﴿ **للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ **قال** : لا يبالون نعم الله ، أو نقم الله . **حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد** : ﴿ **لا يرجون أيام الله** ﴾ : **قال** : لا يبالون نعم الله ، وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين . و **إنما قلنا** : هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك .

قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(١٥)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره و انزجر لنهيه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل و طلب خلاصها من عذاب الله أطاع ربه لا لغير ذلك لأنه لا ينفع ذلك غيره ، والله عن عمل كل عامل غني : ﴿ **ومن أساء فعليها** ﴾ **يقول** : ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه ، وخلافه فيها أمره و نهيه فعلى نفسه جنى ؛ لأنه أوبقها بذلك وأكسبها به سخطه ، و بم يضر أحداً سوى نفسه .

****

٤٦- سورة الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ
﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟
بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔاۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

♣ ٤٦- سورة الأحقاف ♣

قال تعالى : ﴿حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (١ ــ ٣) ﴾ قوله : ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ما أحدثنا السماوات و الأرض فأوجدناهما خلقاً مصنوعاً ، و ما بينهما من أصناف العالم إلا بالحق ، **يعني** : إلا لإقامة الحق و العدل في الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَجَلٍ مُسَمّىً ﴾ **يقول** : إلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه ، و يعدمه بعد أن كان موجوداً بإيجاده إياه . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ **يقول تعالى ذكره** : و الذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون به و لا يتفكرون فيعتبرون .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) ﴾ أي : **قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك** : أرأيتم أيها القوم الآلهة و الأوثان التي تعبدون من دون الله ، أروني أي شيء خلقوا من الأرض فإن ربي خلق الأرض كلها ، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة و أرباباً فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة ، فإن من حجتي على عبادتي إلهي ، و إفرادي له الألوهية أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل .

و قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ **معناه** : أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئاً ، وأن لها شركاً في السماوات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض ، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر و كهانة . حدثنا بشر بن آدم ، **قال** : ثنا أبو العاصم عن سفيان ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس : ﴿ أو أثارة من علم ﴾ **قال** : خط كان يخطه العرب في الأرض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، **قال** : ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة : **﴿ أو أثارة من علم ﴾ قال** : أو خاصة من علم . حدثني محمد بن عمرو ، **قال** : ثنا أبو عاصم ، **قال** : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، **قال** : ثنا الحسن ، **قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : **﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال** : أحد يأثر علماً .

قال تعالى : **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) ﴾ يقول تعالى ذكره** : و أي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا يستجيب له إلى يوم القيامة . **يقول** : لا يجيب دعاءه أبداً لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك .

وقوله تعالى : **﴿ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره** : وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق ، و لا تعقل . و إنما عنى بوصفها بالغفلة ، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له ، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً ، كما يقال لها شيئاً كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه . وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم ، و قبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً و لا يفهم و تركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، و من به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج و المصائب . **و قيل** : من لا يستجيب له ، فأحرج ذكر الآلهة و هي جماد مخرج ذكر بني آدم و من له الاختيار والتمييز ، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك و الأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها فأجري الكلام في ذلك عل نحو ما كان جارياً فيه عندهم . قال تعالى : **﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) ﴾** أي : وإذا جمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء ؛ لأنهم يتبرؤن منهم ، وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا

بعبادتهم جاحدين ؛ **لأنهم يقولون يوم القيامة** : ما أمرناهم بعبادتنا ، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا تبرأنا منهم يا ربنا .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)** ﴾ وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا يعني حججنا التي احتججناها عليهم ، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد ﷺ ، قال الذين جدوا وحدانية الله ، و كذبوا رسوله للحق لما جاءهم من عند الله ، يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)** ﴾ .

قال أهل قريش : افترى محمد هذا القرآن ، فاختلقه و تخرصه كذباً ، **قل لهم يا محمد** : إن افتريته و تخرصته على الله كذباً ﴿ **فَلا تَمْلِكُونَ لِي** ﴾ **يقول** : فلا تغنون عني من الله ، إن عاقبني علة افترائي إياه ، و تخرصي عليه شيئاً و لا تقدرون أن تدفعوا عني سواءاً إن أصابني به .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)** ﴾ **أي** : قل يا محمد لمشركي قومك من قريش : ﴿ **مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ **يعني** : ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه ، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم .

حدثني علي ، قال : ثني معاوية ثني علي عن ابن عباس قوله : ﴿ **مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ **يقول** : لست بأول الرسل .

قال تعالى : ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)** ﴾ .

أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين ﴿ أرأيتم ﴾ أيها القوم ﴿ **إن كان** ﴾ هذا القرآن ﴿ **من عند الله** ﴾ أنزله علي ﴿

وكفرتم ﴾ أنتم ﴿ به ﴾ **يقول** : و كذبتم أنتم به . وقوله : ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ** ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك **فقال بعضهم : معناه** : و شهد شاهد من بني إسرائيل ، و هو موسى بن عمران عليه السلام على مثله ، يعني على مثل القرآن ، **قالوا** : و مثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة . **حدثني أبو السائب قال** : ثنا ابن إدريس عن داود عن الشعبي ، **قال** : إن **ناساً يزعمون أن الشاهد على مثله** : عبد الله بن سلام ، و إنما أسلم عبد الله بالمدينة ، وقد أخبرني مسروق أن آل حم إنما نزلت بمكة ، و إنما كانت محاجة رسول الله ﷺ لقومه ، **فقال** : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ﴾ يعني الفرقان ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ** ﴾ فمثل التوراة الفرقان ، التوراة شهد عليها موسى ، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)** ﴾ **يقول تعلى ذكره** : ومن قبل هذا الكتاب ، كتاب موسى وهو التوراة إماماً لبني إسرائيل يأتمون به ورحمة لهم أنزلناه عليهم . وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه ، **وتمامه** : ومن قبله كتاب موسر إماماً و رحمة أنزلناه لساناً عربياً . وقوله : ﴿ **لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾ **يقول** : لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة و السلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره . **وقوله** : ﴿ **وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ** ﴾ **يقول** : وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم و طاعتهم إياه في الدنيا ، فحسن الجزاء من الله في الآخرة على طاعتهم إياه

قال تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً**

تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ أي : ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما حياتهما ، و البر بهما في حياتهما و بعد مماتهما . **حدثنا بشر قال** : ثنا يزيد ، **قال** : ثنا سعيد عن قتادة **﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ يقول** : حملته مشقة ، ووضعته مشقة .

وقوله تعالى : **﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ ﴾ أي** : وحمل أمه إياه جنيناً في بطنها و فصاله إياه من الرضاع ، و فطمها إياه شرب اللبن ثلاثون شهراً .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن إدريس قال : سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد عن ابن عباس ، **قال** : أشده ثلاث وثلاثون سنة ، واستواؤه أربعون سنة ، و العذر الذي أعذر الله فيه إلى بني آدم ستون .

قال تعالى : **﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) ﴾** حدثنا بشر ، **قال** : ثنا يزيد ، **قال** : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله : **﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾** ذكر **أن عمر بن الخطاب كان يقول** : لو شئت كنت أطيبكم طعاماً ، و ألينكم لباساً ، و لكني أستبقي طيباتي . و ذكر لنا أنه لما قدم الشام ، صنع له طعام لم ير قبله مثله ، **قال** : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟ **قال خالد بن الوليد** : لهم الجنة ، فاغرورقت عينا عمر ، **وقال** : لئن كان حظنا في الحطام ، وذهبوا ــ **قال أبو جعفر** : فيما أرى أنا ــ بالجنة ، لقد باينونا بوناً بعيداً .

قال تعالى : **﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾** .

قلت : قالت عاد لهود : إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم **عظيم** : أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه .

٤٧- سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ محمد: ١ - ٦.

٤٧- سورة محمد

١٦٧- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾ .
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني اليهود أي ظلموا. ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي عن اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، **بقولهم**: ما نجد صفته في كتابنا، وإنما النبوة في ولد هارون وداود، وإن في التوراة أن شرع موسى لا ينسخ. ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾ لأنهم كفروا ومع ذلك منعوا الناس من الإسلام.
١٧٠- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ .
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ هذا خطاب للكل. ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ ﴾ يريد محمدا عليه الصلاة والسلام. ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن. **وقيل**: بالدين الحق؛ **وقيل**: بشهادة أن لا إله إلا الله، **وقيل**: الباء للتعدية؛ أي جاءكم ومعه الحق؛ فهو في موضع الحال.
قوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾ في الكلام إضمار؛ أي وأتوا خيرا لكم؛ هذا مذهب سيبويه، وعلى قول الفراء نعت لمصدر محذوف؛ أي إيمانا خيرا لكم، وعلى قول أبي عبيدة يكن خيرا لكم.
١٧١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ .
قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ نهى عن الغلو. والغلو التجاوز في الحد؛ ومنه غلا السعر يغلو غلاء؛ وغلا الرجل في الأمر غلوا، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لداتها .
فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾.**وفيه ثلاث مسائل:**
الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ﴾ المسيح رفع بالابتداء؛ و ﴿عِيسَى﴾ بدل منه وكذا ﴿ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ويجوز أن يكون خبر الابتداء ويكون المعنى: إنما المسيح ابن مريم. ودل بقوله: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ على أن من كان منسوبا بوالدته كيف يكون إلها، وحق الإله أن يكون قديما لا محدثا. ويكون ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبرا بعد خبر.

الثانية: لم يذكر الله عز وجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران؛ فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ؛ فإن الملوك والأشراف
لا يذكرون حرائرهم في الملأ، ولا يبتذلون أسماءهن؛ بل يكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك؛ فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها؛ فلما قالت النصارى في مريم ما قالت، وفي ابنها صرح الله باسمها، ولم يكن عنها بالأموة والعبودية التي هي صفة لها؛ وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها.

الثالثة: اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب، فإذا تكرر اسمه منسوبا للام استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ **وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ** ﴾ أي هو مكون بكلمة "كن" فكان بشرا من غير أب؛ والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان صادرا عنه. وقيل: ﴿كَلِمَتُهُ﴾ بشارة الله تعالى مريم عليها السلام، ورسالته إليها على لسان جبريل عليه السلام؛ وذلك قوله: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ**﴾ **وقيل**: ﴿**الكلمة**﴾ ههنا بمعنى الآية؛ قال الله تعالى:﴿ **وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا** ﴾ و ﴿ **مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ . وكان لعيسى أربعة أسماء؛ المسيح وعيسى وكلمة وروح، وقيل غير هذا مما ليس في القرآن. ومعنى ﴿ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أمر بها مريم.

قوله تعالى: ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال؛ **فقالوا**: عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا؛ **وعنه أجوبة ثمانية**: **الأول**: قال أبي بن كعب: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق؛ ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام؛ فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام؛ فلهذا قال: ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ . **وقيل**: هذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه؛ وهذا كقوله: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ** ﴾، **وقيل**: قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحا، **وتضاف إلى الله تعالى فيقال**: هذا روح من الله أي من خلقه؛ كما يقال في النعمة إنها من الله. وكان عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فاستحق هذا الاسم.

وقيل: يسمى روحاً بسبب نفخة جبريل عليه السلام، ويسمى النفخ روحا؛ لأنه ريح يخرج من الروح. **قال الشاعر - هو ذو الرمة:**

فقلت له أرفعها إليك وأحيها ... بروحك وأقتته لها قيتة قدرا

وقد ورد أن جبريل نفخ في درع مريم فحملت منه بإذن الله؛ وعلى هذا يكون﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ معطوفا على المضمر الذي هو اسم الله في ﴿ **أَلْقَاهَا** ﴾ التقدير: ألقى الله وجبريل الكلمة إلى مريم. **وقيل:** ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ أي من خلقه؛ كما قال: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** ﴾ أي من خلقه. **وقيل:** ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ أي رحمة منه؛ فكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ﴾ أي برحمة، **وقرئ:** { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } . **وقيل:** ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ وبرهان منه؛ وكان عيسى برهانا وحجة على قومه صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ أي آمنوا بأن الله إله واحد خالق المسيح ومرسله، وآمنوا برسله ومنهم عيسى فلا تجعلوه إلها. ﴿**وَلا تَقُولُوا**﴾ آلهتنا،﴿ **ثَلاثَةٌ**﴾ عن الزجاج. **قال ابن عباس:** يريد بالتثليث الله تعالى وصاحبته وابنه. وقال الفراء وأبو عبيد: أي لا تقولوا هم ثلاثة؛ كقوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ ثَلاثَةٌ**﴾ **قال أبو علي:** التقدير ولا تقولوا هو ثالث ثلاثة؛ فحذف المبتدأ والمضاف. والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث **ويقولون:** إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم؛ فيجعلون كل أقنوم إلها ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس؛ فيعنون بالأب الوجود، وبالروح الحياة، وبالابن المسيح، في كلام لهم فيه تخبط بيانه في أصول الدين. ومحصول كلامهم يؤول إلى التمسك بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه وتعالى على يديه من خوارق العادات على حسب دواعيه وإرادته؛ وقالوا: قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر، فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفا بالإلهية؛ فيقال لهم: لو كان ذلك من مقدوراته وكان مستقلا بهكان تخليص نفسه من أعدائه ودفع شرهم عنه من مقدوراته، وليس كذلك؛ فإن اعترفت النصارى بذلك فقد سقط قولهم ودعواهم أنه كان يفعلها مستقلا به؛ وإن لم يسلموا ذلك فلا حجة لهم أيضا؛ لأنهم معارضون بموسى عليه السلام، وما كان يجري على يديه من الأمور العظام، مثل قلب العصا ثعبانا، وفلق البحر واليد البيضاء والمن والسلوى، وغير ذلك؛ وكذلك ما

جرى على يد الأنبياء؛ فإن أنكروا ذلك فننكر ما يدعونه هم أيضا من ظهوره على يد عيسى عليه السلام، فلا يمكنهم إثبات شيء من ذلك لعيسى؛ فإن طريق إثباته عندنا نصوص القرآن وهم ينكرون القرآن، ويكذبون من أتى به، فلا يمكنهم إثبات ذلك بأخبار التواتر.

قوله تعالى: ﴿ **انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ** ﴾ ﴿ **خَيْراً**﴾ منصوب عند سيبويه بإضمار فعل؛ **كأنه قال:** ائتوا خيرا لكم، لأنه إذا نهاهم عن الشرك فقد أمرهم بإتيان ما هو خير لهم؛ **قال سيبويه:** ومما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ﴿ **انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ**﴾ **لأنك إذا قلت:** انته فأنت تخرجه من أمر وتدخله في أخر؛ **وأنشد:**

فواعديه سرحتي مالك ... أو الربا بينهما أسهلا

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا اللَّـهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ** ﴾ هذا ابتداء وخبر؛ و ﴿ **وَاحِدٌ** ﴾ نعت له. ويجوز أن يكون ﴿**إِلَهٌ** ﴾ بدلا من اسم الله عز وجل و ﴿ **وَاحِدٌ** ﴾ خبره؛ التقدير إنما المعبود واحد. ﴿ **سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾ أي تنزيها عن أن يكون له ولد؛ فلما سقط "عن" كان "أن" في محل النصب بنزع الخافض؛ أي كيف يكون له ولد؟ وولد الرجل مشبه له، ولا شبيه لله عز وجل. ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ فلا شريك له، وعيسى ومريم من جملة ما في السموات وما في الأرض، وما فيهما مخلوق، فكيف يكون عيسى إلها وهو مخلوق ! وإن جاز ولد فليجز أولاد حتى يكون كل من ظهرت عليه معجزة ولدا له. ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ أي لأوليائه.

﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّـهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ**﴾ أي لن يأنف ولن يحتشم. ﴿**أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ**﴾ أي من أن يكون؛ فهو في موضع نصب. وقرأ الحسن: ﴿**إِنْ يَكُونَ**﴾ بكسر الهمزة على أنها نفي هو بمعنى "ما" والمعنى ما يكون له ولد؛ وينبغي رفع يكون ولم يذكره الرواة. ﴿**وَلا الْمَلائِكَـةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ أي من رحمة الله ورضاه؛ فدل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وكذا ﴿**وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ**﴾ وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في ﴿البقرة﴾. ﴿**وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ**﴾ أي يأنف ﴿**عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ**﴾ فلا يفعلها. ﴿**فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ**﴾ أي إلى المحشر.

٤٨- سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

٤٨- سورة الفتح

وقال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١/٢]. قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ . قال : قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] فأرسله إلى الجن والإنس ؛ ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده. **وقال أبو هريرة** : خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ، وهم أولو العزم من الرسل ، وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل ، فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة واستووا في النبوة إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم ، وهذا مما لا خفاء فيه، إلا أن ابن عطية أبا **محمد عبدالحق قال:** إن القرآن يقتضي التفضيل ، وذلك في الجملة دون تعيين أحد مفضول ، وكذلك هي الأحاديث؛ ولذلك قال النبي ﷺ: "**أنا أكرم ولد آدم على ربي**" **وقال** : "**أنا سيد ولد آدم** " ولم يعين، وقال عليه السلام: "**لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى** " **وقال** : "**لا تفضلوني على موسى**" . وقال ابن عطية : وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول ؛ لأن يونس عليه السلام كان شابا وتفسخ تحت أعباء النبوة. فإذا كان التوقيف لمحمد ﷺ فغيره أحرى.

وما اخترناه أولى إن شاء الله تعالى ؛ فإن الله تعالى لما أخبر أنه فضل بعضهم على بعض جعل يبين بعض المتفاضلين ويذكر الأحوال التي فضلوا بها فقال: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٣] وقال ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [الإسراء:٥٥] وقال تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾ [المائدة:٤٦] ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:٤٨] وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ [النمل:١٥] وقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾

[الأحزاب:٧] فعم ثم خص وبدأ بمحمد ﷺ، وهذا ظاهر.

وهكذا القول في الصحابة إن شاء الله تعالى ، اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل ، فهم متفاضلون بتلك مع أن الكل شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم ، وحسبك بقوله الحق :**﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ [الفتح:٢٩]** إلى آخر السورة. **وقال: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]** ثم قال : **﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]** وقال : **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]** فعم وخص ونفى عنهم الشين والنقص، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم آمين.

قوله تعالى : **﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾** المكلم موسى عليه السلام، وقد سئل رسوله الله ﷺ عن آدم أنبي مرسل هو ؟ **فقال : "نعم نبي مكلم"**. قال **ابن عطية** : وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى. وحذفت الهاء لطول الاسم ، والمعنى من كلمه الله.

قوله تعالى : **﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قال النحاس** : بعضهم هنا على قول ابن عباس والشعبي ومجاهد محمد ﷺ، قال ﷺ: "**بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم وأعطيت ، الشفاعة**". ومن ذلك القرآن وانشقاق القمر وتكليمه الشجر وإطعامه الطعام خلقا عظيما من تميرات ودرور شاة أم معبد بعد جفاف. وقال ابن عطية معناه ، **وزاد** : وهو أعظم الناس أمة وختم به النبيون إلى غير ذلك من الخلق العظيم الذي أعطاه الله. ويحتمل اللفظ أن يراد به محمد ﷺ وغيره ممن عظمت آياته ، ويكون الكلام تأكيدا. ويحتمل أن يريد به رفع إدريس المكان العلي ، ومراتب الأنبياء في السماء كما في حديث الإسراء.

وساعة تسمع **﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ ﴾** فأنت تخاف؛ لأن الفتح هنا « عليهم » وليس

«لهم». لكنك ساعة تسمع قوله الحق:﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً** ﴾[**الفتح:١**].
فإنك تحس بالانشراح والسرور؛ لأن الفتح هنا لصالح المتلقي وليس عليه هكذا يريد الحق أن يصْلى المتجبرون العذاب المضاعف : ﴿ . . . **لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾ [**الأنعام:٧٠**] .
والعذاب هنا نتيجة لما فعلوه وليس فعل جبار متسلط . أما غيرهم من المتساوين معهم في الملكات ، واختاروا الخير فآمنوا بالمنهج وطبقوه على أنفسهم فقد نالوا الخير بما فعلوا ، والتكوين الإنساني في ذاته صالح لفعل الخير ولفعل الشر ، وسنة الحق واضحة جلية : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ [**الزلزلة:٧/٨**] .
ويقول الحق من بعد ذلك : ﴿**قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ الله . . .** ﴾.
هذه الآية تبدأ بسؤال عن عبادة الأصنام أو غيرها، ما الذي صنعته تلك الأصنام أو غيرها لمن عبدها؟ وماذا صنعت لمن لم يعبدها؟ . وهذا أول منطق في بطلان ألوهية غير الله ، فمن عبد الشمس مثلا ماذا أعطته الشمس؟ ومن كفر بها كيف عاقبته الشمس؟ . إنها تشرق لمن عبدها ولمن لم يعبدها . والصنم الذي عبدوه ، ماذا صنع لهم؟ لا شيء . وهذا الصنم لم يُنْزِل عقاباً على مَنْ لم يعبده ، بل إن الذي انتفع هو من لم يعبد الأصنام؛ لأنه أعمل فكره ليبحث عن خالق لهذا الكون.
وهكذا نجد النفع والضر إنما يأتيان من الإله الحق : ﴿ **وَنُرَدُّ على أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا الله**﴾ والإنسان دائماً حين يسير فهو يقطع خطوة إلى الأمام فيقصر المسافة أمامه ، أما من يُرَدُّ على عقبه فهو من يرجع هذه الخطوة التي خطاها .

٤٩- سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ الحجرات: ١ -٥.

٤٩- سورة الحجرات

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢)** ﴾

معناها : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام ، وتغلظون له في الخطاب : ﴿ **وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ **يقول : ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا** : يا محمد يا نبي الله ، يا نبي الله ، يا رسول الله . **حدثني محمد بن عمرو قل : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ **قال** : لا تنادوه نداء ، ولكن قولا لينا يا رسول الله . **حدثنا أبو كريب قال : ثنا زيد أبو ثابت بن ثابت قيس بن الشماس قال** : ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه ، **قال** : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ **قال** : قعد ثابت في الطريق يبكي ، **قال** : فمر به **عاصم بن عدي من بني العجلان ، فقال** : ما يبكيك يا ثابت ؟ **قال** : لهذه الآية ، أتخوف أن تكون نزلت في ، وأنا صيت رفيع الصوت ، **قال** : فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله ﷺ ، **قال** : وغلبه البكاء ، **قال** : فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي أن سلول ، **فقال لها** : إذا دخلت بيت فرسي ، فشدي على الضبة بمسمار ، فضربته بسمار حتى إذا خرج عطفه **وقال** : لا أخرج حتى يتوفاني الله ، أو يرضى عني رسول الله ﷺ ، **قال** : وأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، **فقال** : اذهب فادعه لي ، فجاء عاصم إلى المكان ، فلم يجده ، فجاء إلى أهله ، فوجده في بيت الفرس ، **فقال له** : إن رسول الله ﷺ يدعوك ، **فقال** : اكسر الضبة ، **قال** : فخرجا فأتيا نبي الله ﷺ فقال له **رسول الله** ﷺ : ما يبكيك يا ثابت ؟

فقال : أنا صيت ، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في : ﴿ **لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ **فقال له** رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة ؟ **فقال** : رضيت ببشرى الله ورسوله ، لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله ، فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾ **حدثنا ابن حميد قال : ثنا يعقوب عن حفص عن شمر بن عطية قال : جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله ﷺ وهو محزون ، فقال** : يا ثابت ما الذي أرى بك ؟ **فقال** : آية قرأتها الليلة ، فأخشى أن يكون قد حبط عملي : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ وكان في أذنه صمم ، **فقل** : يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي ، وجهرت لك بالقول ، وأن **أكون قد حبط عملي ، وأنا لا أشعر ، فقال النبي ﷺ** : امش على الأرض نشيطا فإنك من أهل الجنة .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)** ﴾ **أي** : إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله . **وأصل الغض** : الكف في لين . **ومنه** : غض البصر ، وهو كفه عن النظر . وقوله : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾ هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ، وهم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها ، فاصطفاها وأخلصها للتقوى ، يعني لاتقائه بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، كما يمتحن الذهب بالنار ، فيخلص جيدها ، ويبطل خبثها . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، **قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله** : ﴿ **امْتَحَنَ اللَّهُ** ﴾ **قال : اخلص .**

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ *وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤ ــ ٥) ﴾
أي: إن الذين ينادونك من وراء حجراتك . **والحجرة** : جمع حجرة ، **والثلاث** : حجر ، **ثم تجمع فيقال** : حجرات وحجرات . **وقد تجمع بعض العرب حجر** : حجرات بفتح الجيم . وقوله : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ **يقول** : أكثرهم جهال بدين الله ، واللازم لهم من حقك وتعظيمك . وذكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في **قوم من الأعراب جاءوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء حجراته** : يا محمد اخرج إلينا . **حدثنا أبو عمار المرزوي والحسن بن الحارث ، قالا** : ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ **قال** : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، **فقال** : يا محمد إن حمدي زين ، وإن ذمي شين ، **فقال** : ذاك الله تبارك وتعالى " .
حدثنا الحسن بن عرفة قال : ثنا المعتمر بن سليمان التيمي قال : سمعت داود الطفاوي ، **يقول** : سمعت أبا مسلم البجلي يحدث عن زيد بن أرقم **قال** : جاء أناس من العرب إلى النبي ﷺ ، **فقال بعضهم لبعض** : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به ، وإن يكن ملكا نعش في جناحه ، **قال** : فأتيت النبي ﷺ ، فأخبرته بذلك ، **قال** : ثم جاءوا إلى حجر النبي ﷺ ، فجعلوا ينادونه . يا محمد ، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ((**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**)) **قال** : فأخذ نبي الله ﷺ بأذني فمدها ، فجعل يقول : **قد صدق الله قولك يا زيد ، قد صدق الله قولك يا زيد . حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : أتى أعرابي إلى النبي ﷺ ، من وراء حجراته ، فقال : يا محمد يا محمد** ، فخرج إليه **النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال** : ما لك ما لك ؟ **فقال : تعلم أن مدحي لزين ، وأن ذمي لشين ، فقال النبي ﷺ : ذاكم الله ، فنزلت** : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ

صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ .

قوله تعالى : **﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) ﴾** أي : ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت ، لكان خيرا لهمم عند الله ، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك ، فهم بتركهم ندائك تاركون ما قد نهاهم الله عنه، **﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** أي : الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب ، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك ، وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره ، رحيم به أن يعاقبه على ذنبه من بعد توبته منه .

قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ حدثنا أبو كريب قال : ثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة قال :** بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ ، **قال** : فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، **قال** : فرجع إلى رسول الله صلى الله عيه وسلم ، **فقال** : إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم ، فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون **قال** : فبلغ القوم رجوعه **قال** : فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر **فقالوا** : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا ، فسررنا بذلك ، قرت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال ، وأذن بصلاة العصر ، **قال** : ونزلت: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ . حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي، قال : ثني عمي ، قال** : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : **﴿ يَا أَيُّهَا**

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ثم أحد بني عمرو بن أمية ، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق ، ليأخذ منهم الصدقات ، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا ، وخرجوا ليلتقوا رسول الله ﷺ ، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه ، رجع إلى رسول الله ﷺ ، **فقال** : يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة ، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ، فبينما هو يحدث نفسه أن نغزوهم ، **إذ أتاه الوفد ، فقالوا** : يا رسول الله ، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن يكون إنما ردة كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله عذرهم في الكتاب ، فقال : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** .

حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا سفيان عن هلال الوزان عن ابن أبي ليلى في قوله : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾**
قال: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

قال تعالى : **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) ﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ** : واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله ، **﴿ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾** فاتقوا الله أن تقولوا الباطل ، وتفتروا الكذب ، فإن الله يخبره أخباركم ، ويعرفه أنباءكم ، وقومه على الصواب في أموره . وقول الله تعالى : **﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي** : لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمر و بآرائكم ، ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم **﴿ أنتم ﴾ يقول** : لنا لكم ، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم.

٥٠- سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ ق: ١ -٧

٥٠- سورة ق

قال تعالى : ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) ﴾ اختلف أهل التأويل في قوله : ﴿ ق ﴾ فقال **بعضهم** : هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به . **حدثني علي بن داود قال** : ثنا **أبو صالح قال** : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله : ﴿ق و ن﴾وأشباه هذا ، فإنه قسم أقسمه الله ، ومن أسماء الله . **وقال آخرون** : هو اسم من أسماء القرآن . **حدثنا ابن عبد الأعلى قال** : ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله : ﴿ ق ﴾ **قال** : اسم من أسماء القرآن . **وقال آخرون** : ﴿ ق ﴾ اسم الجبل المحيط بالأرض . وقوله : ﴿ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ **يقول** : والقرآن الكريم . **حدثنا أبو كريب قال** : ثنا يحيى بن يمان عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير: ﴿ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ **قال** : الكريم .

قال تعالى : ﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : ما كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق ، ولكنهم كذبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم ، يعني بشرا منهم من بني آدم ، ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله . وقول الله تعالى : ﴿ **فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾ فقال المكذبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم ﴿ **هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾ أي : مجيء رجل منا من بين آدم برسالة الله إلينا : ﴿ **لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً** ﴾ **يقول القائل** : لم يجر للبعث ذكر ، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه ذلك ، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه ، وجوابهم عما لم يسئلوا عنه ؟ **قيل** : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فنذكر ما قالوا في ذلك ، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى . قال تعالى : ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)** ﴾ **وفيما حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد قال** : سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى : ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ **قالوا** :

كيف يحيمك الله ، وقد صرنا عظاما ورفاتا ، وضللنا في الأرض ، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعدوا به .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)** ﴾ .

أي : قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم ، بما تأكل الأرض وتفنى من أجسامهم ، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك ، حافظ لذلك كله . وسماه الله تعالى حفيظا ؛ لأنه لا يدرس ما كتب فيه ، ولا يتغير ولا يتبدل . **حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ** ﴾ **قول** : ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم .

قال تعالى : ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥)** ﴾ **حدثني محمد بن خالد بن خداش قال** : ثني سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الآمدي عن أبي حمزة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله : ﴿ **أَمْرٍ مَرِيجٍ** ﴾s **قال : المريج**: الشيء المنكر . **وقال آخرون : بل معنى ذلك** : في أمر مختلف .

قول الله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)** ﴾ أي : أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم ﴿ **إلى السماء فوقهم كيف بنيناها** ﴾ فسويناها سقفا محفوظا ، وزيناها بالنجوم ﴿ **وما لها من فروج** ﴾ **يعني** : وما لها من صدوع وفتوق . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال** : ثنا عيسى وحدثني **الحارث قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **من فروج** ﴾ **قال** : شق .

قال تعالى : ﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)** ﴾ **يقول** : والأرض بسطناها ﴿ **وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ** ﴾ **يقول** : وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، رست في الأرض .

٥١- سورة الذاريات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾

﴾ الذاريات: ١ – ٨.

♣ ٥١- سورة الذاريات ♣

قال تعالى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً (١) ﴾ **يقول** : والرياح التي تذور التراب ذرواً يقال ذرت الريح التراب وأذرت . حدثنا هناد بن السري ، **قال** : ثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة ، **قال** : قام رجل إلى علي ﷺ ، **فقال** : ما الذاريات ذرواً ؟ **فقال** : هي الريح .

قال تعالى : ﴿ **فَالْحَامِلاتِ وِقْراً (٢)** ﴾ **قال** : فالسحاب التي تحمل وقرها من الماء

قال تعالى : ﴿ **فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً (٣)** ﴾ **قال** : هي السفن التي تجري في البحار سهلاً يسيراً .

قال تعالى : ﴿ **فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً (٤)** ﴾ قال : الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. **حدثنا هناد قال** : **ثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال** : قام **رجل إلى علي** ﷺ **فقال** : ما الجاريات يسراً ؟ **قال** : هي السفن . **قال** : فما الحاملات وقراً ؟ **قال** : هي السحاب **قال** : فما المقسمات أمراً ؟ **قال** : هي الملائكة . **حدثني محمد بن سعد قال** : ثني أبي **قال** : ثني عمي **قال** : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : ﴿ **فالحاملات وقراً** ﴾ **قال** : السحاب قوله : ﴿**فالمقسمات أمرا**﴾ **قال** : الملائكة . **حدثني محمد بن عمرو قال** : **ثنا أبو عاصم قال** : **ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **فَالْحَامِلاتِ وِقْراً** ﴾ **قال** : السحاب تحمل المطر : ﴿ **فالجاريات يسراً** ﴾ **قال** : السفن ﴿ **فالمقسمات أمراً** ﴾ **قال** : الملائكة ينزلها بأمره علي من يشاء .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)** ﴾ **قال** : وإن السحاب والثواب والعقاب لواجب والله مجاز عباده بأعمالهم . حدثني محمد بن عمرو **قال** : ثنا أبو عاصم **قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن **قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **قوله** : ﴿ **وإن الدين لواقع** ﴾ **قال** : الحساب

قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) ﴾ والسماء ذات الخلق الحسن وعني بقول الله تعالى : ﴿ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ذات الطرائق وتكسير كل شيء حبكه ، وهو جمع حباك وحبيكة . **يقال لتكسير** : الشعرة الجعدة حبك ، وللرملة إذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم ، والدرع من الحديد لها حبك ومنه قول الراجز .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، **قال** : ثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ **قال** : ذات الخلق الحسن . **حدثت عن الحسين قال** : سمعت أبا معاذ ، **يقول** : أخبرنا عبيد ، **قال** : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ **يقول** : ذات الزينة ، **ويقال أيضاً** : حبكها مثل حبك الرمل ، ومثل حبك الدرع ، ومثل حبك الماء إذا ضربته فنسجته طرائق .

قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) ﴾ أي : إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن فمن مصدق به ومكذب . حدثنا ابن عبد الأعلى ، **قال** : ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾ **قال** : مصدق بهذا القرآن ومكذب .

قال تعالى : ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) ﴾ **قال** : يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف ويدفع عنه من يدفع فيحرمه . حدثني محمد بن عمرو **قال** : ثنا أبو عاصم **قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ **قال ابن عمرو في حديثه** : يوفى أو يؤفن أو كلمة تشبهها ، **وقال الحارث** : يؤفن بغير شك .

قال تعالى : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) ﴾ أي : لعن المتكهنون الذين يتخرصون الكذب والباطل فيتظننونه . **حدثني علي قال : ثنا أبو صالح قال** : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ **يقول** : لعن المرتابون .

حدثني محمد بن سعد ، **قال** : ثني أبي ، **قال** : ثنا عمي ، **قال** : ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : **﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ قال** : الكهنة .

قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) ﴾** الذين هم في غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمادون وعن الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ قد لهوا عنه .

حدثني علي قال : ثنا أبو صالح قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله: **﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) ﴾** أي : في ضلالتهم يتمادون .

حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي قال : ثني عمي قال : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : **﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ قال** : في غفلة لاهون

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة : **﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾** أي : في غمرة وشبهة .

قال تعالى : **﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) ﴾ أي** : يسأل هؤلاء الخراصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب ، ويوم يدين الله العباد بأعمالهم

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب **قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ قال** : الذين يجحدون أنهم يدانون أو يبعثون . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال : ثنا الحسن قال:** ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : **﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ قال : يقولون** : متى يوم الدين أو يكون يوم الدين .

قال تعالى : **﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ﴾ أي** : يوم هم على نار جهنم يفتنون . **حدثني علي قال : ثنا أبو صالح قال** : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله : **﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يقول** : يعذبون . حدثني محمد بن عمرو ، **قال** : ثنا أبو عاصم ، **قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، **قال** : ثنا الحسن ، **قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : **﴿ يفتنون﴾ قال** : كما يفتن الذهب في النار .

٥٢- سورة الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ الطور: ١ – ١٠.

♣ ٥٢- سورة الطور ♣

قال تعالى : ﴿وَالطُّورِ (١) ﴾ **يعني : والجبل الذي يدعي الطور** : والجبل الذي يدعي الطور . **وقد حدثني محمد بن عمرو قال** : ثنا أبو عاصم **قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن **قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الله تبارك وتعالى : ﴿ **والطور** ﴾ **قال** : الجبل بالسريانية .

قال تعالى : ﴿**وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ** (٢) ﴾ **يقول** : وكتاب مكتوب . حدثني محمد بن **عمرو قال** : ثنا أبو عاصم **قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن **قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ** ﴾ **قال** : صحف .

قال تعالى : ﴿ **فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ** (٣) ﴾ **يقول** : في ورق منشور . حدثنا بشر **قال** : ثنا يزيد **قال** : ثنا سعيد عن قتادة : ﴿ **فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ** ﴾ وهو الكتاب . حدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن **قال** : ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ **فِي رَقٍّ** ﴾ **قال** : **الرق** : الصحيفة .

قال تعالى : ﴿ **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** (٤) ﴾ **يقول** : والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً .**حدثنا ابن المثنى قال : ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من**

قومه قال : قال نبي الله ﷺ : ((**رفع إلي البيت المعمور فقلت : يا جبريل ما هذا؟ قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم**)) . **حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي قال : ثني عمي قال** : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : ﴿ **والبيت المعمور** ﴾ **قال** : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه .

قول الله تعالى : ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)** ﴾ **يعني بالسقف في هذا الموضع** : السماء وجعلها سقفاً ؛ لأنها سماء للأرض كسماء البيت الذي هو سقفه . حدثنا **هناد بن السري قال : ثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة** : أن **رجلاً قال لعلي** رضي الله عنه : ما السقف المرفوع ؟ **قال** : السماء .

قال تعالى : ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)** ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى البحر **المسجور فقال بعضهم : الموقد وتأول ذلك** : والبحر الموقد المحمى . **حدثنا ابن حميد قال : ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية في قوله:** ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ **قال** : بمنزلة التنور المسجور . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال** : ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ **قال** : الموقد .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧)** ﴾ **أي** : إن عذاب ربك لواقع ، يا محمد لكائن حال بالكافرين به يوم القيامة . **حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال** : ثنا سعيد عن قتادة : ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ وقع القسم ها هنا ، إن عذاب ربك لواقع ، وذلك يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨)** ﴾ **أي** : ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم ، فينقذهم منه إذا وقع .

٥٣- سـورة النجم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ ﴾ النجم: ١ - ١١

٥٣- سورة النجم

قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحق ولا زال عنه ، ولكنه على استقامة وسداد . ويعني بقوله : ﴿ **وَمَا غَوَى** ﴾ **وما صار غوياً ولكنه رشيد سديد يقال** : غوى يغوي من الغي وهو غاو وغوي يغوى من اللبن إذا بشم وقوله : " ما ضل صاحبكم " جواب قسم والنجم .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)** ﴾ أي : وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه .

قال تعالى : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)** ﴾ **يقول** : ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه . حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله : ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ أي : ما ينطق عن هواه : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ **قال** : يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ **ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)** ﴾ اختلف أهل التأويل في قوله : ﴿ **ذو مرة** ﴾ **فقال بعضهم** : **معناه** : ذو خلق حسن . حدثنى علي **قال** : ثنا أبو صالح **قال** : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ذو مرة** ﴾ **قال:** ذو منظر حسن .

قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧)** ﴾ **يقول** : فاستوى هذا الشديد القوى وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى ، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى ، وهو الأفق الأعلى .

قال تعالى : ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)** ﴾ **يقول** : فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين أو أدنى من ذلك يعني أو أقرب منه ، **يقال** : هو منه قاب قوسين ، وقيب قوسين ، وقيد قوسين ، وقاد قوسين ، وقدى قوسين ، كل ذلك **بمعنى** : قدر قوسين . **حدثني محمد بن عمرو قال** : ثنا أبو عاصم **قال** :

ثنا عيسى وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن **قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **قَابَ قَوْسَيْنِ** ﴾ **قال** : حيث الوتر من القوس .

قال تعالى : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)** ﴾ **اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم** : معناه فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه وجعلوا قوله : ﴿ **ما أوحى** ﴾ بمعنى المصدر . **حدثنا ابن بشار قال : ثنا معاذ بن هشام قال:** ثنا أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ **قال** : عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣)** ﴾ **يقول** : لقد رآه مرة أخرى . **حدثنا محمد بن المثنى قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي قال : ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة أن عائشة قالت** : يا أبا عائشة من زعم أن محمداً رأى **ربه أعظم الفرية على الله قال** : وكنت متكئاً فجلست **فقلت** : يا أم المؤمنين أنظريني ، ولا تعجليني أرأيت قول الله : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ ، ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ **(التكوير:٢٣) قالت** : إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها ، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض **قالت** : أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية ؟ **قال** : هو جبريل عليه السلام . **حدثني محمد بن عمارة قال : ثنا سهل بن عامر قال : ثنا مالك عن الزبير ، عن عدي عن طلحة اليامي عن مرة عن عبد الله قال** : لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها ، فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها ، فيقبض فيها .

قال تعالى : ﴿ **عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)** ﴾ **أي** : عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء . حدثني محمد بن سعد **قال** : ثني أبي قال عمي : **قال** : ثني

أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : ﴿ **عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى** ﴾ **قال** : هـي يمـين العرش وهي منزل الشهداء .

قال تعالى : ﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)** ﴾ **أي** : ولقد رآه نزلة أخـرى إذ يغشى السدرة ما يغشى فإذ من صلة رآه . حدثني محمد بن عمارة **قال** : ثنا سهل بن عامر **قال** : ثنا مالك عن الزبير بن عدي عن طلحة اليامي عن مـرة عن عبد الله : ﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** ﴾ **قال** : غشيها فراش من ذهـب . **حدثنا أبو كريب قال** : ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك عن ابن عبـاس ، **قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**رأيتها بعيني سدرة المنتهى حتى استثبتها ثم حال دونها فراش من ذهب**)) .

قال تعالى : ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)** ﴾ **قال** : ما مال بصر يعدل يمينا وشمالا عما رأى ، أي ولا جاوز ما أمر به قطعاً ، **يقول** : فأرتفع عـن الحـد الذي حد له . **حدثنا ابن بشار قال : ثنا أبو أحمد الزبيري قـال** : ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين عن ابن عباس في قوله : ﴿ **مَـا زَاغَ الْبَـصَرُ وَمَـا طَغَى**﴾ **قال** : ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى ولا جاوز ما أمر به .

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)** ﴾ **أي** : لقـد رأى محمـد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى . حدثنا أبو هشام الرفـاعي **قال : ثنا أبو معاوية قال** : ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله : ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ **قال** : رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق.

حدثنا ابن حميد قـال : ثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عـن **علقمة عن ابن مسعود** : ﴿ **مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ **قال** : رفرفاً أخضر قد سد الأفق .

****

٥٤- سورة القمر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ
وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ
وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ
مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ
عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ
يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا
وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ ﴾

٥٤- سورة القمر

قال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) ﴾ أي : دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة وقوله : ﴿اقْتَرَبَتِ﴾ افتعلت من القرب ، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا ، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها في غفلة ساهون . وقوله : ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ **يقول جل ثناؤه** : وانفلق القمر وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة إلى المدينة ، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية فأراهم ﷺ انشقاق القمر آية حجة على صدق قوله وحقيقة نبوته فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، **وقالوا** : هذا سحر مستمر سحرنا محمد . **حدثنا الحسن بن يحيى المقدسي قال** : ثنا يحيى بن حماد قال : ثنا أبو **عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال** : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، **فقالت قريش** : هذا سحر ابن أبي كبشة ، سحركم فسلوا السفار فسألوهم ، **فقالوا**: نعم قد رأيناه فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد ﷺ ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم يعرضوا عنها ، **فيولوا** : مكذبين بها منكرين إن يكون حقاً يقيناً ، **ويقولوا** : تكذيباً منهم بها وإنكاراً لها أن تكون حقاً: **هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقاً باثنين بسحره وهو سحر مستمر يعني يقول** : سحر مستمر ذاهب من قولهم قد مر هذا السحر إذا ذهب .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) ﴾ يقول تعالى ذكره : وكذب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله بعد ما أتتهم حقيقتها

وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقاً فلقتين : ﴿ **وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ **يقول** : وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوة محمد ﷺ ، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم . وقوله : ﴿ **وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره ومتناه نهايته ، فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار . **حدثنا بشر قال** : ثنا يزيد **قال** : ثنا سعيد عن قتادة **قوله** : ﴿ **وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ** ﴾ أي : بأهل الخير الخير ، وبأهل الشر الشر .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذي كذبوا بآيات الله ، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه ، وأحل الله بهم من عقوباته ما قص في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر **يعني** : وما يردعهم يزجرهم عما هم عليه مقيمون من التكذيب بآيات الله وهو مفتعل من الزجر . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحرث قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **مُزْدَجَرٌ** ﴾ **قال** : منتهى . **حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال** : ثنا سعيد عن قتادة قوله : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ** ﴾ : أي : هذا لقرآن .

قال تعالى : ﴿**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)** ﴾ **يعني بالحكمة البالغة** : هذا القرآن ورفعت الحكمة رداً على ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ** ﴾ **وتأويل الكلام** : ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر حكمة بالغة ، ولو رفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزاً فيكون **معنى الكلام حينئذ** : ولقد جاءهم من الأنباء الذي فيه مزدجر ذلك حكمة بالغة أو هو حكمة بالغة فتكون الحكمة كالتفسير لها . وقوله : ﴿ **فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** ﴾ " **وفي** " :

﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ وجهان : أحدهما : أن تكون بمعنى الجحد فيكون إذا وجهت إلى ذلك معنى الكلام : فليست تغني عنهم النذر ولا ينتفعون بها لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها والآخر : أن تكون بمعنى : أنى فيكون معنى الكلام إذا وجهت إلى ذلك : فأي شيء تغني عنهم النذر والنذر : جمع نذير كالجدد : جمع جديد والحصر : جمع حصير .

قال تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) ﴾ أي : فاعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر فإنهم يوم يدعو داعي الله إلى موقف القيامة وذلك هو الشيء النكر

قال تعالى : ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) ﴾ يقول : ذليلة أبصارهم خاشعة لا ضرر بها : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاث﴾ وهي جمع جدث وهي القبور وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم والمراد به جميع أجسامهم ؛ لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبين في ناظريه دون سائر جسده ، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع . وقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره : يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر .

قال تعالى : ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ الدَّاعِ يَقُولُ عَسِرٌ (٨) ﴾ هذا وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمشركين من أهل مكة ، وسائر من أرسل إليه رسوله محمداً ﷺ على تكذيبهم إياه ، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه أنه محل بهم ما أحل بالأمم الذين قص قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب ، ومنج نبيه محمداً والمؤمنين به كما نجى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمة التي أحلها بأممهم ، فقال : جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : كذبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذبوك من قومك الذين إذا رأوا آية أعرضوا .

٥٥- سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ ﴾ الرحمن: ١ – ١٠.

♣ ٥٥- ســورة الرحمن♣

قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : الرحمن أيها النـاس برحمتـه **إياكم** : علمكم القرآن فأنعم بذلك عليكم إذ بصركم به مـا فيـه رضـا ربكـم ، وعرفكم ما فيه سخطه لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم ، وعلمكم بما أمركم به وبتجنبكم ما يسخطه عليكم فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه وتنجوا من أليم عقابه .

حدثنا ابن بشار قال : ثنا محمد بن مروان العقيلي قال : ثنا أبو العوام العجلـي عن قتادة أنه قال في تفسير : ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ **قال** : نعمة والله عظيمة.

قال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : علم الإنسان البيان . ثـم اختلف أهل التأويل في المعنى بالبيان في هذا الموضع ، **فقال بعضهم** : عني بـه بيان الحلال والحرام . **حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سـعيد عـن قتـادة قوله**: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ : علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ؛ لتحج بذلك على خلقه . **والصواب من القول في ذلك أن يقال : معنـى ذلـك** : إن الله علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنيـاه مـن الحـلال والحـرام ، والمعايش والمنطق وغير ذلك مما به الحاجة إليـه ؛ لأن الله جـل ثنـاؤه لـم يخصص بخبره ذلك أنه علمه من البيان بعضاً دون بعض بل عم ، **فقال : علمه البيان فهو كما عم جل ثناؤه** .

قال تعالى : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك **فقال بعضهم** : معناه الشمس والقمر بحسبان ومنازل لها يجريان ولا يعـدوانها . **حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال : ثنا الفريابي قال : ثنا إسرائيل قال** : ثنـا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فـي قولـه : ﴿ الـشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ **قال** : بحساب ومنازل يرسلان .

قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) ﴾ اختلف أهل التأويل فـي معنـى النجم في هذا الموضع مع إجماعهم على أن الشجر **ما قام علـى سـاق فقـال**

بعضهم : عني بالنجم في هذا الموضع من النبات : ما نجم من الأرض مما ينبسط عليها ، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه . **حدثني علي قال : ثنا أبو صالح قال** : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والنجم**﴾ **قال** : ما يبسط على الأرض . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **والنجم** ﴾ **قال** : نجم السماء .

قال تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : والسماء رفعها فوق الأرض . وقوله : ﴿ **وَوَضَعَ الْمِيزَانَ** ﴾ **يقول** : ووضع العدل بين خلقه في الأرض . **حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ **وَوَضَعَ الْمِيزَانَ** ﴾ **قال** : العدل .

قال تعالى : ﴿**أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨)** ﴾ **يقول تعالى ذكره : ألا تظلموا أو تبخسوا في الوزن . حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله:** ﴿**أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك ، وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس .

قال تعالى : ﴿ **وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠)** ﴾ **أي** : والأرض وطأها للخلق وهم الأنام . **حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي قال : ثني عمي قال** : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : ﴿ **وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ** ﴾ **قال** : كل شيء فيه الروح .

قال تعالى : ﴿ **فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (١١)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : في الأرض فاكهة والهاء والألف فيها من ذكر الأرض : ﴿ **وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ** ﴾ **والأكمام** : جمع كم ، وهو ما تكممت فيه . **حدثني يعقوب قال : ثنا ابن علية**

عن أبي رجاء قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴾ فقال : سعفة من ليف عصبت بها .

قال تعالى : **﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) ﴾ يقول تعالى ذكره :** وفيها **الحب وهو حب البر والشعير ذو الورق والتبن :** هو العصف . **حدثني علي قال : ثنا أبو صالح قال :** ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله : **﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ يقول :** التين .

قال تعالى : **﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ أي :** فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم تكذبان . حدثنا ابن بشار قال : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا سهل السراج عن الحسن : **﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾** فبأي نعمة ربكما تكذبان .

قال تعالى : **﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) ﴾ يقول تعالى ذكره : خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال :** وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ، ونقر كالفخار يعني أنه من يبسه ، وإن لم يكن مطبوخاً كالذي قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما يصلصل الفخار ، **والفخار :** هو الذي قد طبخ من الطين بالنار .

قال تعالى : **﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) ﴾ يقول تعالى ذكره :** وخلق الجان من مارج من نار وهو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر **وأخضر من قولهم : مرج أمر القوم :** إذا اختلط ، ومن قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو كيف بك إذا كنت في حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم وأماناتهم ؟ وذلك هو لهب النار ولسانه .

قال تعالى : **﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) ﴾ يعني بالمشرقين :** مشرق الشمس في الشتاء ، ومشرقها في الصيف . **وقوله : ﴿ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ يعني :** ورب مغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف .

٥٦ - سورة الواقعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ الواقعة: ١ - ١١.

♣ ٥٦- سورة الواقعة♣

قال تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) ﴾ أي : إذا نزلت صيحة القيامة وذلك حين ينفخ في الصور لقيام الساعة . قال تعالى : ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) ﴾ **يقول تعالى** : ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية ، والكاذبة في هذا الموضع مصدر مثل العاقبة والعافية .

قال تعالى : ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)﴾ **يقول تعالى ذكره** : الواقعة حينئذ خافضة أقواماً كانوا في الدنيا أعزاء إلى نار الله .**حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح قال** : ثنا عبيد الله يعني العتكي عن عثمان بن عبد الله بن سراقة : ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ **قال** : الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ، ورفعت أولياء الله إلى الجنة .

قال تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً (٤)﴾ **يقول تعالى ذكره** : إذا زلزلت الأرض **فحركت تحريكاً من قولهم السهم يرتج في الغرض بمعنى** : يهتز ويضطرب . **حدثنا ابن عبد الأعلى قال** : ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة : ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ﴾ **قال** : زلزلت زلزالاً . قال تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً (٥)﴾ **يقول تعالى ذكره** : فتتت الجبال فتاً فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾ **(المزمل:١٤)** . **والبسيسة عند العرب** : الدقيق والسويق تلت وتتخذ زاداً .

قال تعالى : ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (٦) ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الهباء **فقال بعضهم** : هو شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة كهيئة الغبار . **حدثني محمد بن سعد قال** : ثني أبي **قال** : ثني عمي **قال** : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً ﴾ **قال** : **الهباء** : الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً . قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً (٧) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وكنتم أيها الناس أنواعاً ثلاثة وضروباً . **حدثنا ابن عبد**

الأعلى قال : ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة : **﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً ﴾ قال** : منازل الناس يوم القيامة . قال تعالى : **﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) ﴾ هذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة يقول جل ثناؤه : وكنتم أزواجاً ثلاثة:** أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون ، فجعل الخبر عنهم مغنياً عن البيان عنهم على الوجه الذي ذكرنا لدلالة الكلام على معناه ، فقال : **﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾** يعجب نبيه محمداً منهم ، **وقال** : ما أصحاب اليمين ؟ الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة أي شيء أصحاب اليمين.

قال تعالى : **﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) ﴾ يقول تعالى ذكره: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمي اليد اليسرى** : الشؤمى . قال تعالى : **﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) ﴾ وهم** : الزوج الثالث ، وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله وهم المهاجرون الأولون . **حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح قال** : ثنا عبيد الله يعني العتكي عن عثمان بن عبد الله بن سراقة ، قوله : **﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ قال** : اثنان في الجنة وواحد في النار **يقول** : الحور العين للسابقين والعرب الأتراب لأصحاب اليمن . قوله تعالى : **﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) يقول** : في بساتين النعيم الدائم . قوله تعالى : **﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ (١٣) ﴾ يقول تعالى ذكره** : جماعة من الأمم الماضية ، وقليل من أمة محمد ﷺ وهم الآخرون ، وقيل لهم الآخرون ؛ لأنهم آخر الأمم . قال تعالى : **﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) ﴾ يقول** : فوق سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع فوق بعض مضاعفة **وقيل** : وضين ، وإنما هو موضون صرف من مفعول إلى فعيل كما **قيل** : قتيل لمقتول. قال تعالى : **﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) ﴾ يقول تعالى ذكره :** متكئين على السرر الموضونة متقابلين بوجوههم لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

****

٥٧ - سورة الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ الحديد: ١ – ٧.

♣ ٥٧- سـورة الحديد♣

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) ﴾ **معناها** : أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له وإقراراً بربوبيته وإذعاناً لطاعته . قول الله تعالى : **﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) ﴾ يقول** : يحيي ما يشاء من الخلق بأن يوجده كيف يشاء ، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيواناً بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها ، ونحو **ذلك من الأشياء ، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقول جل ثناؤه** : وهو على كل شيء ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراده من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وغير ذلك من الأمور. قال تعالى : **﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾ يقول** : والآخر بعد كل شيء بغير نهاية ، وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها . حدثنا بشر **قال** : حدثنا **يزيد قال** : ثنا سعيد عن قتادة **قوله : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ذكر لنا** : أن النبي ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سحاب ، **فقال** : هل تدرون ما هذا ؟ **قالوا** : الله ورسوله أعلم . **قال** : فإنها **الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ قال** : فهل تدرون كم بينكم وبينها ؟ **قالوا** : الله ورسوله أعلم . **قال** : مسيرة خمس مائة سنة . **قال** : فهل تدرون ما فوق ذلك ؟ **فقالوا** : مثل ذلك **قال** : فوقها سماء أخرى وبينهما مسيرة خمس مائة سنة . **قال** : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ **فقالوا** : مثل قولهم الأول . **قال** : فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء السابعة مثل ما بين السماءين ، **قال** : هل تدرون ما التي تحتكم ؟ **قالوا** : الله ورسوله أعلم . **قال** : فإنها الأرض . **قال** : فهل تدرون ما تحتها ؟ **قالوا** : له مثل قولهم الأول . **قال** : فإن تحتها أرضاً أخرى وبينهما مسيرة خمس مائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين **مسيرة**

خمس مائة سنة ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو دلي أحدكم بحبل إلى الأرض الأخرى لهبط على الله ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : هو الذي أنشأ السماوات السبع والأرضين فدبرهن ، وما فيهن ثم استوى على عرشه فأرتفع عليه وعلا . وقوله : ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : مخبراً عن صفته وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه يعلم ما يلج في الأرض من خلقه يعني بقوله : ﴿ يلج ﴾ يدخل ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء إلى الأرض من شيء قط ﴿ **وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا** ﴾ فيصعد إليها من الأرض : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** ﴾ يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سماواته السبع .

قال تعالى : ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)** ﴾ **يقول** : ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيجعله زيادة في ساعات الليل . **حدثنا ابن بشار قال : ثنا مؤمل قال : ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم في قوله** : ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ** ﴾ **قال** : دخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل .

قال تعالى : ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : آمنوا بالله أيها الناس فأقروا بوحدانيته وبرسوله محمد ﷺ ، فصدقوه فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه: ﴿ **وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾ **يقول جل ثناؤه** : وأنفقوا مما خولكم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم ، فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله .

٥٨ - سورة المجادلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ① ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ④ ﴾ المجادلة: ١ - ٤.

٥٨- سورة المجادلة

قال تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) ﴾ واختلف أهل العلم في نسبها واسمها ، **فقال بعضهم** : خوله بنت ثعلبة ، **وقال بعضهم** : اسمها خويله بنت ثعلبة . **وقال آخرون** : هي خويلة بنت خويلد ، **وقال آخرون** : خويلة بنت الصامت . **وقال آخرون** : هي خويلة ابنة الدليج ، وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها ، وزوجها أوس بن الصامت ، مراجعتها إياه في أمره ، **وما كان من قوله لها** : أنت علي كظهر أمي ، ومحاورتها إياه في ذلك ، وبذلك قال أهل التأويل وتظاهرت به الرواية . **حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية** : أنت علي كظهر أمي حرمت في الإسلام ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت ، وكانت تحته ابنة عمر له يقال لها خويلة بنت خويلد ، وظاهر منها ، فأسقط في يديه ، **وقال** : ما أراك إلا قد حرمت علي ، وقالت له مثل ذلك ، **قال** : فانطلقي إلى رسول الله ﷺ ، **قال** : فأتت رسول الله ﷺ ، فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فأخبرته ، **فقال** : يا خويلة ما أمرنا في أمرك بشيء ، فأنزل الله على رسوله ﷺ ، **فقال** : يا خويلة أبشري ، **قالت** : خيراً ، **قال** : فقرأ عليها رسول الله ﷺ : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ ، **قالت** : وأي رقبة لنا ؟ والله ما يجد رقبة غيري ، **قال** : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ ، **قالت** : الله أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره ، **قال** : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ﴾ ، **قال** : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها ، **قال**: فرعاه بشطر وسق ثلاثين صاعاً ، والوسق ستون صاعاً ، **فقال** : ليطعم ستين مسكيناً وليراجعك . **قال** : وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان موسراً لا يكفر

عنه إلا تحرير رقبة إذا كان موسراً من قبل أن يتماسا ، إن لم يكن موسراً فصيام شهرين متتابعين ، لا يصلح له إلا الصوم إذا كان معسراً ، إلا أن لا يستطيع ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، وذلك كله قبل الجماع .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)** ﴾

يقول تعالى ذكره : الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم **ظهور أمهاتهم** ، **فيقولون لهن** : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية .

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣ ـ ٤)** ﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يقولون لنسائهم : أنتن علينا كظهور أمهاتنا وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر ، **فقال بعضهم** : هو الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره ، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها . **حدثنا ابن بشار** ، **قال** : ثنا عبد الأعلى ، **قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ **ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ **قال** : يريد أن يغشى بعد قوله **حدثنا ابن عبد الأعلى** ، **قال : ثنا ابن ثور** ، **عن معمر** ، **عن قتادة** : ﴿ **ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ **قال** : حرمها ثم يريد أن يعود لها فيطأها . **وقوله** : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** ﴾ **يقول** : فعليه تحرير رقبة ، يعني عتق رقبة عبد أو أمة من قبل أن يماس الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه .

٥٩ - سورة الحشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ الحشر: ١ – ٤.

♣ ٥٩- سورة الحشر ♣

قال تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ أي : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ صلى لله ، وسجد له : ﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من خلقه : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ **يقول** : وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه ، الحكيم في تدبيره إياهم . قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) ﴾ **معناها** : أن الله الذي أخرج من جحدوا نبوه محمد ﷺ من أهل الكتاب ، وهم يهود بني النضير من ديارهم ، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم ، حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم ، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم ، يخلوا له دورهم ، وسائر أموالهم ، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك ، فخرجوا من ديارهم ، فمنهم من خرج إلى الشام ، ومنهم من خرج إلى خيبر ، فذلك قوله الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ : ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ وإنما ظن القوم فيما ذكر ذلك أن عبد الله بن أبي وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله ﷺ يأمرونهم بالثبات في حصونهم ، ويعدونهم النصر . **حدثني محمد بن سعد ، قال** : **ثني أبي ، قال** : **ثني عمي** ، **قال** : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ **قال** : يعني بني النضير .

٦٠ - سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ الممتحنة: ١ ـ ٣.

♣ ٦٠- سورة الممتحنة ♣

قال تعالى : ﴿ **لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله ، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودة ، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة ، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا ، وكفرتم به . وقوله : ﴿ **يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ** ﴾ **يقول جل ثناؤه** : يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة ، وأهل معاصيه والكفر به النار .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ** : قد كان لكم أيها **المؤمنون أسوة حسنة** : **يقول** : قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله . **حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال :** قال ابن زيد في قول الله عز وجل : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ **قال** : الذين معه الأنبياء . وقوله : ﴿ **إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ **يقول** : حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله ، **وعبدوا الطاغوت** : يا أيها القوم إنا برآء منكم ، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد . وقوله : ﴿ **كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في

هذه الأمور التي **ذكرناها من مباينته الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾** فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك ، لأن ذلك كان من تعالى لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو الله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، **يقول تعالى ذكره** : فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله ، فتبرءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء . **حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال** : ثنا الحسن ، **قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : **﴿ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ﴾ قال** : نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه ، فيستغفروا للمشركين .

قال تعالى : **﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم خليله والذين معه** : يا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجحدوا وحدانيتك ، وعبدوا غيرك ، بأن تسلطهم علينا ، فيروا أنهم على حق ، وأنا على باطل ، فتجعلنا بذلك فتنة لهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال : لا تعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، **فيقولوا** : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

قال تعالى : **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾ يقول تعالى ذكره** : لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسل : **﴿ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ يقول** : لمن كان منكم يرجو لقاء الله ، وثواب الله ، والنجاة في اليوم الآخر .

٦١ - سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) ﴾ الصف: ١ -٧..

♣ ٦١- سورة الصف ♣

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكر يا محمد : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى ﴾ بن عمران : ﴿لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ ﴾ حقاً : ﴿ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ **يقول** : فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله **قلوبهم** : **يقول** : أمال الله قلوبهم عنه . **وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، قال** : ثنا أبو غالب ، عن أبي أمامة ، في قوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ **قال** : هم الخوارج : ﴿ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ **يقول** : والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : واذكر أيضاً يا محمد : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ لقومه من بني إسرائيل : ﴿ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ التي أنزلت على موسى : ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ أبشركم : ﴿ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ . **عن عرباض بن سارية ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول** : إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، والرؤيا رأت أمي ، وكذلك أمهات النبيين ، يرين أنها رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام ، فلما جاءهم بالبينات **يقول** : فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهي الدلالات التي آتاه الله حججاً على نبوته : ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ **يقول** : ما أتى به غير أنني ساحر.

٦٢ – سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) ﴾ الجمعة: ١ -٦.

٦٢- سورة الجمعة

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى ، فحملوا العمل بها : ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** ﴾ **يقول** : ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذبوا بمحمد ﷺ وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به : ﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ** ﴾ **يقول** : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم ، لا ينتفع بها ، ولا يعقل ما فيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم ، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها **حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿ **يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾ **قال** : يحمل كتباً لا يدري ما فيها ، ولا يعقلها . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : قل يا محمد لليهود : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ** ﴾ سواكم : ﴿ **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ في قيلكم إنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لا يعذب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها ، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت. قال تعالى : ﴿ **وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)** ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : ﴿ **وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً** ﴾ **يقول** : ولا يتمنى اليهود الموت أبداً : ﴿ **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ .

٦٣ - سورة المنافقون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾المنافقون: ١ -٨.

٦٣- سورة المنافقون

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وإذا قيل لهؤلاء **المنافقين** : تعالوا إلى رسول الله ﷺ يستغفر لكم لووا رؤوسهم ، **يقول** : حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره . وقوله : ﴿ **وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ورأيتهم يعرضون عما دعوا إليه وجوههم ، وهم مستكبرون ، **يقول** : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم ، وإنما عني بهذه الآيات كلها فيما ذكر ، عبد الله بن أبي سلول ، وذلك أنه قال لأصحابه : ﴿ **لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا** ﴾ **وقال** : ﴿ **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** ﴾ فسمع بذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله ﷺ ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فسأله عما أخبر عنه ، **فحلف أنه ما قاله** ، **وقيل له** : لو أتيت رسول الله ﷺ ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاء ، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها إلى أخرها . قال تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : سواء يا **محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله** : أستغفرت لهم " **ذنوبهم** " أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم " **يقول** : لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم بل يعاقبهم عليها : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ **يقول** : إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه ، الكافرين به ، الخارجين عن طاعته. قال تعالى : ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧)** ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾ يعني المنافقين الذين يقولون لأصحابهم : ﴿ **لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ**

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ من أصحابه المهاجرين : **﴿ حَتَّى يَنْفَضُّوا** حتى ينفضوا **﴾ يقول:** حتى يتفرقوا عنه . **وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يقول :** ولله جميع ما في السماوات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك ، لا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته : **﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾** أن ذلك كذلك ، **فلذلك يقولون** : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾** قرأها إلى آخر الآية ، وهذا قول عبد الله بن أبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه ، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وأجلوا عنه . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾** قرأ الآية كلها إلى : **﴿ لا يَعْلَمُونَ ﴾ قال** : قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا ، أحدهما غفاري ، والآخر جهني ، فظهر الغفاري على الجهني ، وكان بين جهينة والأنصار حلف ، **فقال رجل من المنافقين وهو ابن أبي** : يا بني الأوس ، يا بني الخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم ! ثم قال : والله ما مثلنا **ومثل محمد إلا كما قال القائل** : سمن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فسعى بها بعضهم إلى نبي الله ﷺ ، **فقال عمر**: يا نبي الله مر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق ، **فقال** : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . ذكر لنا أنه كان أكثر على رجل من المنافقين عنده ، **فقال** : هلي يصلي ؟ **فقال** : نعم ولا خير في صلاته ، **فقال** : نهيت عن المصلين ، نهيت عن المصلين . قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾ يقول تعالى ذكره** : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله : **﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴾ يقول:** لا توجب لكم أموالكم ، ولا أولادكم " **اللهو** .

٦٤ - سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) ﴾ التغابن: ١ -٦.

٦٤- سورة التغابن

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فصدقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذبون بالبعث ، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم : ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ **يقول** : وآمنوا بالنور الذي أنزلنا ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ **يقول تعالى ذكره** : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خرة محيط بها ، محص ، جميعها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميعها . ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ الخلائق للعرض : ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ **يقول** : الجمع يوم غبن أهل الجنة أهل النار . **حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ **قال** : هو غبن أهل الجنة أهل النار .

قال تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : لم يصب أحداً من الخلق مصيبة إلا بإذن الله ، **يقول** : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ **يقول** : ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه : **يقول** : يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه . حدثني علي ، **قال** : ثنا أبو صالح ، **قال** : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ **يعني** : يهد قلبه لليقين ، فيلعم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

٦٥ - سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ الطلاق: ١-٤..

٦٥- سورة الطلاق

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (١) ﴾ **يقول** : إذا طلقتم نساءكم فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ، طاهراً من غير جماع ، ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن . حدثنا أبو كريب ، **قال** : ثنا ابن إدريس ، **قال** : سمعت الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، **قال: الطلاق للعدة طاهراً من غير جماع . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال** : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله : ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ **قال : بالطهر في غير جماع . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عون ، عن ابن سيرين أنه قال : في قوله :** ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ **قال** : يطلقها وهي طاهر من غير جماع ، أو حبل يستبين حملها . **حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ **قال** : لطهرهن . وقوله : ﴿ **وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدة ، وإحصاء العدة ، والأمر باتقاء الله ، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة ، حدود الله التي حدها لكم أيها الناس فلا تعتدوها : ﴿ **وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ومن يتجاوز حدود الله التي حدها لخلقه فقد ظلم نفسه ، **يقول:** فقد أكسب نفسه وزراً ، فصار بذلك لها ظالماً ، وعليها متعدياً .

قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فإذا بلغ المطلقات اللواتي هن في عدة أجلهن وذلك حين قرب انقضاء عددهن : ﴿ **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾ **يقول** : فأمسكوهن برجعة تراجعوهن ، إن أردتم ذلك بمعروف ، **يقول** : بما أمرك الله به من الإمساك وذلك بإعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة ، أو فارقوهن بمعروف ، أو اتركوهن حين تنقضي عددهن ، فتبين منكم بمعروف ، يعني بإيفائها ما لها من حق قبلها من الصداق والمتعة على ما أوجب عليه لها . **حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله** : ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ** ﴾ **قال** : إذا طلقها واحدة أو ثنتين ، يشاء أن يمسكها بمعروف ، أو يسرحها بإحسان . وقوله : ﴿ **ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : هذا الذي أمرتكم به ، وعرفتكم من أمر الطلاق ، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم ، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فيصدق به . وقوله : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : من يخف الله فيعمل بما أمره به ، ويجتنب ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً ، بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من أن يكون ، وذلك أن المطلق إذا طلق ، كما ندبه الله إليه للعدة ، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه ، جعل الله له مخرجاً فيما تتبعها نفسه ، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها ، ولو طلقها ثلاثاً لم يكن له إلى ذلك السبيل .

قال تعالى : ﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (٣)** ﴾ **يقول** : ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ، ولا يعلم . حدثنا أبو كريب ، **قال** : ثنا ابن صلت ،

عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، في قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ **قال** : يعلم أنه من عند الله ، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع . **حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق** : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ **قال** : المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ويرزقه من حيث لا يحتسب . **قال** : من حيث لا يدري .

قال تعالى : ﴿ وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (٤) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهن عن المحيض ، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إن ارتبتم . **حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، قوله** : ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة ، والتي لم تحض ، فعدتهن ثلاثة أشهر . **حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري** : ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ **قال** : في كبرها أن يكون ذلك في الكبر ، فإنها تعتد حين ترتاب ثلاثة أشهر ، فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة ، فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل ، فإن استبان حملها ، فأجلها أن تضع حملها ، فإن لم يستبن حملها ، فحتى يستبين بها ، وأقصى ذلك سنة .

قال تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦)﴾ **يقول تعالى ذكره** : أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم : ﴿ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ : **يقول** : من سعتكم التي تجدون .

٦٦ - سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ ﴾ التحريم: ١ – ٤.

٦٦- سورة التحريم

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)** ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ** ﴾ محمد ﷺ **إلى بعض أزواجه ، وهو في قول ابن عباس و قتادة و زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد و الشعبي والضحاك بن مزاحم** : حفصة ، وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل . **وقوله** : ﴿ **حَدِيثاً** حديثا ﴾ والحديث الذي أسر إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسر إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته ، أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له ، وحلفه على ذلك وقوله : (**لا تذكري ذلك لأحد**) . وقوله : ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبتها : ﴿ **وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ** ﴾ ، **يقول** : وأظهر الله نبيه محمداً ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتها . وقوله : ﴿ **عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ** ﴾ **بمعنى** : عرف النبي ﷺ حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به . **وقيل** : ﴿ **وَأَعْرَضَ عَنْ** ﴾ **يقول** : وترك أن يخبرها ببعض . وقوله : ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ** ﴾ **يقول** : فلما خبر حفصة نبي الله ﷺ ، بما أظهره الله عليه من إفشائها سر رسول الله ﷺ إلى **عائشة** : **قالت** : ﴿ **مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا** ﴾ **يقول** : **قالت حفصة لرسول الله** : من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به : ﴿ **قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : **قال محمد نبي الله لحفصة** : خبرني به العليم بسرائر عباده ، وضمائر قلوبهم ، الخبير بأمورهم ، الذي لا يخفى عنه شيء . قال تعالى : ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته ، وتحريمها على نفسه.

٦٧ - سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾ الملك: ١ – ٦.

♣ ٦٧- سورة الملك ♣

قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ يعني بقول تعالى ذكره : ﴿ تَبَارَكَ تبارك ﴾ : تعاظم وتعالى : ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ **يقول** : وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع ، ولا يحول بينه وبينه عجز . قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ فأمات من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ **يقول** : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع ، وإلى طلب رضاه أسرع . **حدثني ابن عبد الأعلى ، قال** : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ **قال** : أذن الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء . وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ **يقول** : وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره : ﴿الْغَفُورُ﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه . قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره مخبراً عن صفته** : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ﴾ طبقاً فوق طبق ، بعضها فوق بعض. وقوله : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ **يقول جل ثناؤه** : ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض ، ولا في غير ذلك من تفاوت ، يعني من اختلاف . **حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس** : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ **قال** : الفطور : الوهي . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ **يقول جل ثناؤه** : ثم رد البصر يا ابن آدم كرتين ، مرة بعد أخرى .

٦٨ - سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ ﴾ القلم: ١ - ١٠.

♣ ٦٨- سـورة القلم♣

قال تعالى : ﴿**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠)** ﴾ أي : ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل ، **مهين** : وهو الضعيف . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذاب ، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه ، وكذلك صفة الكذوب ، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه . **حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ**﴾ **والمهين** : الكذاب . قال تعالى : ﴿ **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)** ﴾ **يعني** : مغتاب للناس يأكل لحومهم . **حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله** : ﴿ **هَمَّازٍ** ﴾ يعني الاغتياب . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة: ﴿**هَمَّازٍ** ﴾ يأكل لحوم المسلمين : ﴿ **مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض قال تعالى : ﴿ **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق . وقوله : ﴿ **مُعْتَدٍ** ﴾ **يقول : معتد على الناس** ﴿ **أَثِيمٍ** ﴾ : **ذي إثم بربه** . قال تعالى : ﴿ **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)** ﴾ قوله : ﴿ **عُتُلٍّ** ﴾ **يقول** وهو عتل ، **والعتل** : الجافي الشديد في كفره ، وكل شديد قوي فالعرب تسميه عتلاً . حدثني **إسحاق بن وهب الواسطي ، قال** : **ثنا أبو عامر العقدي ، قال : ثنا زهير بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن وهب الذماري ، قال** : تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه مقضماً من الدنيا ، ثم يكون ظلوماً للناس ، فذلك العتل الزنيم . **حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن كثير بن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية قال** : سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم **قال** : الفاحش اللئيم .

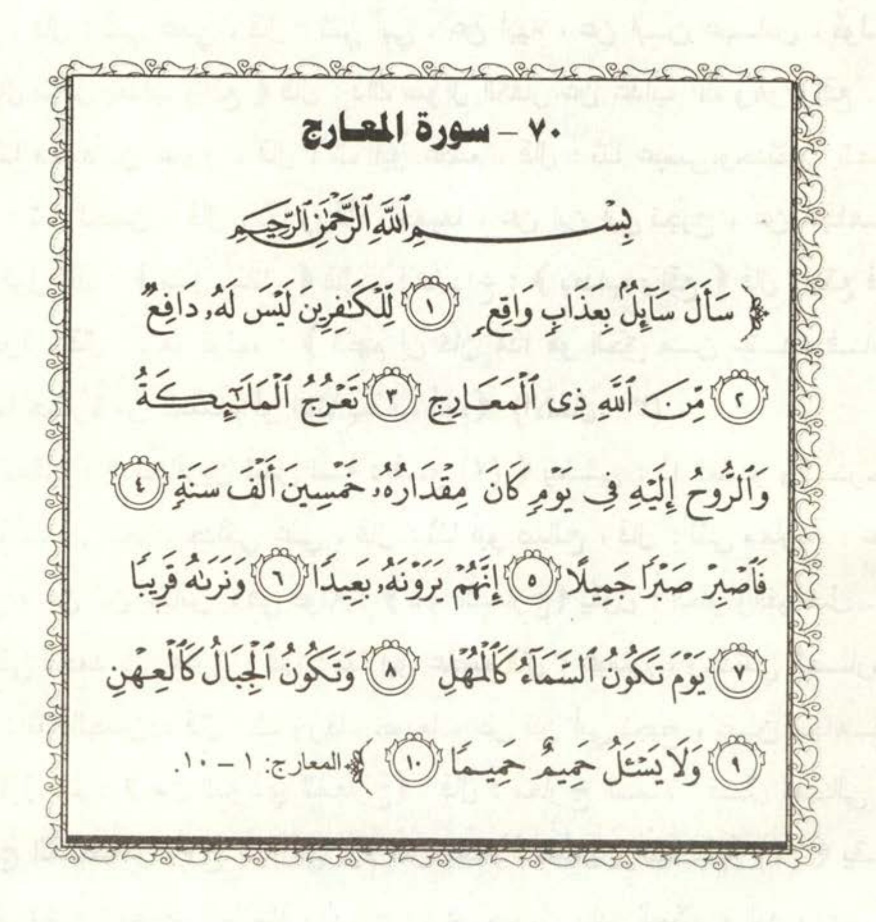
٦٩ - سورة الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟
بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ
عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ
حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ الحاقة: ١ - ٨

٦٩- سورة الحاقة

قال تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : الساعة ﴿الْحَاقَّةُ ﴾ التي تحق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال . قال تعالى : ﴿ **مَا الْحَاقَّةُ (٢)** ﴾ **يقول:** أي شيء الساعة الحاقة ، وذكر من **العرب أنها تقول** : لما عرف الحاقة متى والحقة متى ، وبالكسر بمعنى واحد في اللغات الثلاث ، **وتقول** : وقد حق عليه الشيء إذا وجب ، فهو يحق حقوقاً ، والحاقة الأولى مرفوعة بالثانية ؛ لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها ، كأنه عجب منها ، **فقال** : الحاقة ما هي ! **كما يقال** : زيد ما زيد ! والحاقة الثانية مرفوعة بما ، وما بمعنى أي . **حدثني علي ، قال** : **ثنا أبو صالح ، قال** : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿**الْحَاقَّةُ** ﴾ **قال** : من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : وأي شيء أدراك وعرفك أي شيء الحاقة . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة** ، قوله : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ** ﴾ تعظيماً ليوم القيامة كما تسمعون . قال تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : كذبت ثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود بالساعة التي تقرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم. **والقارعة أيضاً** : اسم من أسماء القيامة . قال تعالى : ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥)** ﴾ يقول تعالى ذكره :﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ** ﴾ قوم صالح ، فأهلكهم الله بالطاغية . واختلف في معنى الطاغية التي أهلك الله بها ثمود أهل التأويل ، **فقال بعضهم** : هي طغيانهم وكفرهم بالله . قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر ، وهي الشديدة العصوف مع شدة بردها : ﴿ **عاتِيَةٍ** ﴾ **يقول** : عتت على خزانها في الهبوب ، فتجاوزت في الشدة والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد .



٧٠ - سورة المعارج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ
(٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ (٣) تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ (٤)
فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا
(٧) يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ
(٩) وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا (١٠) ﴾ المعارج: ١ – ١٠.

♣ ٧٠- سورة المعارج ♣

قال تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) ﴾ حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عصم ، قال : ثنا عيسى،وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ قال : دعا داع : ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : يقع في الآخرة ، قال : وهو قولهم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢) .

قال تعالى : ﴿ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) ﴾ يعني : ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم . حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يقول : العلو والفواضل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال : معارج السماء . قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) ﴾ يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح ، وهو جبريل عليه السلام ، إليه ، يعني إلى الله عز وجل ، والهاء في قوله : ﴿ إِلَيْهِ ﴾ عائدة على اسم الله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ يقول : كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمر من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع . قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً (٥) ﴾ يقول تعالى ذكره : فاصبر صبرا جميلا، يعني: صبرا لا جزع فيه.

٧١ - سورة نـوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ نوح: ١ ـ ٦.

٧١- سورة نوح

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) ﴾ **معناها** :﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً ﴾ وهو نوح بن لمك ، إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . وذلك العذاب الأليم هو الطوفان الذي غرقهم الله به . قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه** : يا قوم إني لكم نذير مبين ، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على **كفركم به** ، **مبين** : قد أبنت لكم إنذاري إياكم . قال تعالى : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) ﴾ **يقول** : إني لكم نذير أنذركم ، وآمركم بعبادة الله ، واتقوه . **يقول** : واتقوا عقابه بالإيمان به ، والعمل بطاعته ، وأطيعون . **يقول** : وانتهوا إلى ما آمركم به ، واقبلوا نصيحتي لكم . حدثنا بشر قال : **ثنا يزيد** ، **قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله** : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ **قال** : أرسل الله المرسلين بأن يعبد الله وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن يطاع أمره . قال تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ **يقول** : يغفر لكم ذنوبكم . **وقوله** : ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ **يقول** : ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب ، لا بغرق ولا غيره : ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ **يقول** : إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه ، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه ، في أم الكتاب . عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ **قال** : ما قد خط من الأجل ، فإذا جاء أجل الله لا يؤخر . قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه ، أو أنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه ، وردوا عليه ما أتاهم به من عنده : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ إلى توحيدك وعبادتك ، وحذرتهم بأسك وسطوتك .

****

٧٢ - سورة الجـن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾ الجن: ١ - ٧.

♣ ٧٢- ســورة الجن♣

قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (١) ﴾ **يقول جل ثناؤه لنبيه محمد** ﷺ : قل يا محمد أوحى الله إلي : ﴿ **أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ هذا القرآن : ﴿ **فَقَالُوا** ﴾ لقومهم لما سمعوه : ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً** ﴾ . قال تعالى : ﴿ **يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (٢)** ﴾ **يقول** : يدل على الحق وسبيل الصواب : ﴿ **فَآمَنَّا بِهِ** ﴾ **يقول** : فصدقناه : ﴿ **وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً** ﴾ من خلقه . **عن ابن عباس** ، **قال** : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، **قال** : وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، **فقالوا** : ما لكم ؟ **فقالوا** : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، **فقالوا** : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، **قال** : فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث ، **قال** : فانطلقوا النفر يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، **قال** : فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، **قال** : فلما سمعوا القرآن استمعوا له **فقالوا** : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء **قال** : فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ، **فقالوا : يا قومنا** : ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً** ﴾ **قال** : فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً** ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن . قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً (٣)** ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، **فقال بعضهم : معناه** : فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ، وآمنا بأنه تعالى أمر بنا وسلطانه وقدرته .

٧٣ - سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) ﴾ المزمل: ١ - ١٤.

♣ ٧٣- سورة المزمل ♣

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) ﴾ يعني بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ هو الملتف بثيابه ، وإنما عني بذلك نبي الله ﷺ . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه الآية من التزمل ، **فقال بعضهم** : وصفه بأنه متزمل في ثيابه ، متأهب للصلاة . **وقال آخرون** : وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة . قال تعالى : ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢)** ﴾ يقول لنبيه ﷺ : ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ** ﴾ يا محمد كله : ﴿ **إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ منه . قال تعالى : ﴿ **نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣)**﴾ **نِصْفَهُ** ، **يقول** : قم نصف الليل ﴿ **أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً** ﴾ . قال تعالى : ﴿**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)** ﴾ **يقول** : أو زد عليه ، خيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل ، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل ، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خف ذلك عنهم . **حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال: ثنا سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس يقول** : لما نزل أول المزمل ، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥)** ﴾ **اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية : فقال بعضهم** : عني به إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا العمل به . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ **قال** : العمل به ، **قال** : إن الرجل ليهذ السورة ، ولكن العمل به ثقيل . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦)** ﴾ **يعني جل وعز بقوله : إن ناشئة الليل** : إن ساعات الليل ، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل . **حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : قلت لعبد الله بن أبي مليكة :** ألا تحدثني أي الليل ناشئة ؟ **قال** : علي الثبت سقطت ، سألت عنها ابن عباس ،

فزعم أن الليل كله ناشئة ، وسألت عنها ابن الزبير ، فأخبرني مثل ذلك . **ويعني بقوله :** ﴿ **هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً** ﴾ ناشئة الليل أشد ثباتاً من النهار وأثبت في القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار ، وحكي عن العرب وطئاً الليل **وطئاً** : إذا ساروا فيه . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن** قتادة : ﴿ **هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً** ﴾ أي : أثبت في الخير ، وأحفظ في الحفظ . **حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ **وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ **يقول** : أدنى من أن تفقهوا القرآن . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : إن لك يا محمد في النهار فراغاً طويلاً تتسع به ، وتتقلب فيه . **حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **سَبْحاً طَوِيلاً** ﴾ فراغاً طويلاً ، يعني النوم . قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ﴿ **وَاذْكُرِ** ﴾ يا محمد : ﴿ **اسْمَ رَبِّكَ** ﴾ فادعه به : ﴿ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾ **يقول** : وانقطع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره ، وهو من **قولهم : تبتلت هذا الأمر** ، **ومنه قيل لأم عيسى ابن مريم البتول ، لانقطاعها إلى الله ، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله** : قد تبتل . قال تعالى : ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩)** ﴾ وقوله : ﴿ **لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ **يقول** : لا ينبغي أن يعبد إله سوى الله الذي هو رب المشرق والمغرب . وقوله : ﴿ **فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً** ﴾ فيما يأمرك وفوض إليه أسبابك . قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (١٠)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك ، وعلى أذاهم ، واهجرهم في الله هجراً جميلاً ، **والهجر الجميل** : هو الهجر في ذات الله .

****

٧٤ - سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا (١٦) ﴾ المدثر: ١ - ١٦.

♣ ٧٤- سورة المدثر ♣

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) ﴾ يقول جل ثناؤه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ : يا أيها المدثر بثيابه عند نومه . وذكر أن نبي الله ﷺ قيل له ذلك ، وهو متدثر بقطيفة . حدثنا أبو كريب ، **قال** : ثنا وكيع ، عن علي بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير **قال** : سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن ، **قال** : نزلت : يا أيها المدثر . أول ، **قال : قلت : إنهم يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١) فقال** سألت جابر بن عبد الله ، **فقال** : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ **قال :** جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت ، فسمعت صوتاً فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، **فقلت** : دثروني وصبوا علي ماء بارداً ، فنزلت : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : قم من نومك فأنذر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله ، وعبدوا غيره . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي** : أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم ، وشدة نقمته . قال تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وربك يا محمد فعظم بعبادته ، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد . قال تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، **فقال بعضهم : معنى ذلك** : لا تلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدرة . **حدثنا ابن المثنى ، قال** : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ **قال** : من الذنوب . **حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا . قال تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ﴾ **حدثني علي ، قال** : ثنا أبو صالح ، **قال** : ثني معاوية ،

عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ **يقول** : السخط وهو الأصنام . **حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ : إساف ، ونائلة ، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يجتنبهما ويعتزلهما . قال تعالى : ﴿ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، **فقال بعضهم : معنى ذلك** : ولا تعط يا محمد عطية لتعطى أكثر منها . **حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال** : أخبرني من سمع عكرمة **يقول** : ﴿ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ **قال** : لا تعط العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها .

قال تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ولربك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه . **حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ **قال** : على ما أوتيت .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) ﴾ **يعني جل ثناؤه بقوله** : فإذا نفخ في الصور ، فذلك يومئذ يوم شديد . قال تعالى : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) ﴾ أي : على الكافرين غير يسير . قال تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : كل يا محمد أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيداً ، لا شيء له من مال ولا ولد إلي . **وذكر أنه عني بذلك** : الوليد بن المغيرة المخزومي . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) ﴾ اختلف أهل التأويل في هذا المال الذي ذكره الله ، وأخبر أنه جعله للوليد ما هو ، وما مبلغه ؟ **فقال بعضهم** : كان ذلك دنانير ، ومبلغها ألف دينار . **حدثنا أبو كريب ، قال** : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه ، عن مجاهد : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴾ **قال** : كان ماله ألف دينار .

****

٧٥ - سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢)﴾ القيامة:

♣ ٧٥- سورة القيامة♣

قال تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) عن سعيد بن جبير : ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ **قال** : أقسم بيوم القيامة . عن سعيد بن جبير " **لا أقسم** " **قال** : أقسم .

قال تعالى : ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) ﴾ **سمعت أبا هشام الرفاعي يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : قوله** : ﴿ وَلا أُقْسِمُ ﴾ توكيد للقسم كقوله لا والله ، **وقال بعض نحويي الكوفة** : (لا) رد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ، ثم ابتدئ القسم ، **فقيل** : أقسم بيوم القيامة ، وكان **يقول** : كل يمين قبلها رد لكلام ، فلا بد من تقديم (**لا**) قبلها ، ليفرق بذلك بين **اليمين التي تكون جحداً** ، **واليمين التي تستأنف ويقول : ألا ترى أنك تقول متبدئاً** : والله إن الرسول لحق ، **وإذا قلت** : لا والله إن الرسول لحق ، فكأنك أكذبت قوماً أنكروه . **حدثنا بشر** ، **قال : ثنا يزيد** ، **قال : ثنا سعيد** ، **عن قتادة** ، **قال : قال الحسن** : أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة . **وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال** : إن الله أقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة وجعل (لا) رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم ، وجواباً لهم . وقوله : ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ اللَّوَّامَةِ ﴾ **فقال بعضهم : معناه** : ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير والشر . قال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟ بلى على أعظم من ذلك ، أن نسوي بنانه ويه أصابع يديه ورجليه ، فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط ، فحسن خلقه . قال تعالى : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) ﴾ **قال** : أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خف البعير

****

٧٦ - سورة الإنسان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ ﴾ الإنسان: ١ – ٩.

٧٦- سورة الإنسان

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن الذين بروا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه ، واجتناب معاصيه يشربون من كأس ، وهو كل إناء كان فيه شراب : ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ **يقول** : كان مزاج ما فيها من الشراب : ﴿ كَافُوراً ﴾ يعني في طيب رائحتها كالكافور ، **وقد قيل** : إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة ، فمن قال ذلك ، جعل نصب العين على الكافور ، تبياناً عنه ، ومن جعل الكافور صفة للشراب نصبها ، أعني العين عن الحال ، وجعل خبر كان قوله : ﴿ كَافُوراً ﴾ وقد يجوز نصب العين من وجه ثالث ، وهو نصبها بأعمال يشربون فيها فيكون معنى **الكلام** : إن الأبرار يشربون عيناً يشرب بها عباد الله ، من كأس كان مزاجها كافورا ، وقد يجوز أيضاً نصبها على المدح ، فأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا : **الكافور صفة للشراب على ما ذكرت** . قال تعالى : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة ، والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التي في ﴿ مِزَاجُهَا ﴾ ويعني بقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ﴾ يروى بها وينتفع **وقيل** : يشرب بها ويشربها بمعنى واحد . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (٩) ﴾ **يقولون** : إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله ، يعنون رضا الله ، والقربة إليه : ﴿ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ﴾ **يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام** : لا نريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثواباً ولا شكوراً. قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) ﴾ **يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة** : ما نطعمكم طعاماً نطلب منكم عوضاً على

إطعامناكم جزاء ولا شكوراً ، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد الهول ، عظيم أمره ، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ، ويشتد ، **والقمطرير** : هو الشديد ، **يقال** : هو يوم قمطرير ، أو يـوم قماطر ، ويوم عصيب ، وعصبصب ، وقد اقمطر اليـوم يقمطـر اقمطـراراً ، وذلك أشد الأيام وأطوله في البلاء والشدة .

قال تعالى : **﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) ﴾ يقـول جل ثناؤه** : فدفع الغل عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شر اليـوم العبـوس القمطرير بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضى عنهم ربهم ، لقاهم نضرة فـي وجوههم ، وسرورا في قلوبهم . قال تعالى : **﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) ﴾ يقول تعالى ذكره** : وأثابهم الله بما صبروا في الـدنيا علـى طاعتـه ، والعمل بما يرضيه عنهم جنة وحريراً . قال تعالى : **﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً (١٣)﴾ يقول** : متكئين في الجنة على الـسرر في الحجال ، وهي الأرائك واحدتها أريكة ، وقد بينا لك بشواهده ، وما فيه مـن أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، غير أنا نـذكر فـي هـذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى قبل . حدثني محمد بن سعد ، **قال** : ثني أبي ، قال : ثني عمي **قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عـن ابـن عباس ، قوله : **﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ يعني** : الحجال .

قال تعالى : **﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَـا تَـذْلِيلاً (١٤) ﴾ معناهـا** : وقربت منهم ظلال أشجارها . **حدثني محمد بن عمرو** ، **قال** : **ثنا أبو عاصم** ، **قال : ثنا عيسى** ، **وحدثني الحارث** ، **قال** : **ثنا الحسن قال** : ثنا ورقاء جميعـاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، **قوله** : **﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ قال** : إذا قام ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلت حتى ينالها ، وإن اضطجع تدلت حتـى ينالهـا ، فذلك تذليلها .

٧٧ - سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ المرسلات: ١ - ١٥

♣ ٧٧- سورة المرسلات ♣

قال تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (١) ﴾ **فقال بعضهم : معنى ذلك** : والرياح المرسلات يتبع بعضها بعضاً ، **قالوا : والمرسلات** : هي الرياح . **وقال آخرون : بل معنى ذلك** : والملائكة التي ترسل بالعرف . **والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال** : إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفاً ، وقد ترسل عرفاً الملائكة ، وترسل كذلك الرياح ، ولا دلالة تدل على أن المعني بذلك أحد الحزبين دون الآخر ، وقد عم جل ثناؤه بأقسامه بكل ما كانت صفته ما وصفت ، فكل من كان صفته كذلك ، فداخل في قسمه ذلك ملكاً أو ريحاً أو رسولاً من بني آدم مرسلاً .

قال تعالى : ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً (٢) ﴾ **يقول جل ثناؤه** : فالرياح العاصفات عصفاً ، يعني الشديدات الهبوب السريعات الممر . **وقال آخرون** : هي المطر .

قال تعالى : ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً (٣) ﴾ حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل عن السدي ، عن أبي صالح : ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ﴾ **قال** : الملائكة تنشر الكتب . **وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال** : إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشراً ، ولم يخصص شيئاً من ذلك دون شيء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فذلك على كل ما كان ناشراً .

قال تعالى : ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً (٤) ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه ، **فقال بعضهم عني بذلك** : الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل . حدثنا أبو كريب ، **قال** : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح : ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾ **قال** : الملائكة قال تعالى : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً (٥) ﴾ **يقول** : فالمبلغات وحي الله رسوله ، وهي الملائكة . قال تعالى : ﴿ عُذْراً أَوْ نُذْراً (٦) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فالملقيات ذكراً

إلى الرسل إعذاراً من الله إلى خلقه ، وإنذاراً منـه لهـم . يقـول تعـالى ذكـره والمرسلات عرفاً ، إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع ، وهو كـائن لا محالة ، يعني بذلك يوم القيامة ، وما ذكر الله أنه أعد لخلقه يومئـذ مـن الثـواب والعذاب . قال تعالى : **﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) ﴾ يقول** : فإذا النجـوم ذهـب ضياؤها ، فلم يكن لها نور ولا ضوء . قال تعالى : **﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) ﴾ يقول** : وإذا السماء شققت وصدعت . قال تعالى : **﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) ﴾ يقول** : وإذا الجبال نسفت من أصلها ، فكانت هباء منبثاً .

قال تعالى : **﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) ﴾ يقول تعالى ذكره** : وإذا الرسل أجلـت للاجتماع لوقتها يوم القيامة . **حدثني محمد بن سعد ، قال** : ثني أبي ، **قال : ثنـي عمي ، قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : **﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ يقول** : جمعت . قال تعالى : **﴿ لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) ﴾ يقول تعالى ذكره معجبـاً عباده من هول ذلك اليوم وشدته لأي يوم أجلت الرسل ووقتت ، وما أعظمـه ، وأهوله ، ثم بين ذلك** : وأي يوم هو ؟ فقال أجلت : **﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ يقول** : ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء ، فيأخذ للمظلوم من الظالم ، ويجـزي المحسـن بإحسانه ، والمسيء بإساءته . قال تعالى : **﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ** : وأي شيء أدراك يا محمد ما يـوم الفصـل ، معظماً بذلك أمره ، وشدة هوله. قال تعالى : **﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ يقول تعالى ذكره** : الوادي الذي يسيل في جهنم من صديد أهلها للمكـذبين بيـوم الفصل . قوله تعالى : **﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً (٢٥) ﴾ يقول : وعاء ، تقـول** : هذا كفت هذا وكفيته ، إذا كان وعاءه ، **وإنما معنى الكلام** : ألـم نجعـل الأرض كفات أحيائكم وأمواتكم ، تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل ، فتـضمهم فيهـا وتجمعهم وأمواتكم في بطونها في القبور ، فيدفنون فيها .

****

٧٨ - سورة النبـأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ ﴾ النبأ: ١ - ١٤

٧٨- سـورة النبأ

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً (٦) ﴾ يقول تعالى ذكره معدداً على هؤلاء المشركين وأياديه عندهم ، وإحسانه إليهم ، وكفرانهم ما أنعم به عليهم ، ومتوعدهم بما أعد لهم عند ورودهم عليه ، من صنوف عقابه ، وأليم عذابه ، فقال لهم : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴾ " لكم ﴿ مِهَاداً ﴾ تمتهدونها وتفترشونها **حدثنا ابن حميد ، قال** : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً**﴾ **أي** : بساطاً . قوله تعالى : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً** (٧) ﴾ **يقول** : والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم . قال تعالى : ﴿ **وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً** (٨) ﴾ **أي** : ذكراناً وإناثاً ، وطوالاً وقصاراً ، أو ذوي دمامة وجمال ، مثل قوله : ﴿ **الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ** ﴾ **(الصافات:٢٢) يعني به** : صيرناهم . قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً** (٩) ﴾ **يقول** : وجعلنا نومكم لكم راحة ودعة ، تهدءون به وتسكنون ، كأنكم أموات لا تشعرون ، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح ، **والسبت والسبات** : هو السكون ، ولذلك سمي السبت سبتاً ، لأنه يوم راحة ودعة .

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً** (١٠) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وجعلنا الليل لكم غشاء يغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطي الثوب لابسه ، لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً . **حدثنا ابن حميد ، قال** : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قتادة : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً**﴾ **قال** : سكناً .

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً** (١١) ﴾ **يقول** : وجعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم ، وتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم ، وابتغاء فضل الله فيه ، وجعل جل ثناؤه النهار إذ كان سبباً لتصرف عباده لطلب المعاش فيه . **حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ **النَّهَارَ مَعَاشاً** النهار ﴾ **قال** : يبتغون فيه من فضل الله .

٧٩ - سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ النازعات: ١ - ١٥

♣ ٧٩- سـورة النازعات ♣

قال تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً (١) ﴾ أقسم ربنا جل جلاله بالنازعات ، واختلف أهل التأويل فيها ، وما هي ؟ وما تنزع ؟ **فقال بعضهم** : هم الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم ، والمنزوع نفوس الآدميين . **حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، قال** : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله : **﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ قال** : الملائكة .

قال تعالى : **﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً (٢) ﴾** اختلف أهل التأويل أيضاً فيهن ، وما هن وما الذي ينشط ، **فقال بعضهم** : هم الملائكة ، تنشط نفس الزمن فتقبضها ، ما ينشط العقال من البعير إذا حل عنه . عن ابن عباس : **﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ﴾ قال**: الملائكة . قال تعالى : **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً (٣) ﴾ يقول تعالى ذكره** : واللواتي تسبح سبحاً واختلف أهل التأويل في التي أقسم بها جل ثناؤه من السابحات ، **فقال بعضهم** : هي الموت تسبح في نفس ابن آدم . **وقد حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً ﴾ قال : الملائكة** ، وهكذا وجدت هذا أيضاً في كتابي ، فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحاً ، **فإن مجاهداً كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سباحة ، كما يقال للفرس الجواد** : إنه لسابح ، إذا مر يسرع . قال تعالى : **﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً (٤) ﴾ اختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم** : هي الملائكة . **عن مجاهد : ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ﴾ قال** : الملائكة **وقال آخرون : بل هي الخيل السابقة** . قال تعالى : **﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (٥) ﴾ يقول** : فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله ، وكذلك قال أهل التأويل .

قال تعالى : **﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) ﴾ حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يقول** : النفخة الأولى .

٨٠- سورة عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ عبس: ١ - ١٥

♣ ٨٠- ســورة عبس ♣

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى (٨ ـ ٩)﴾ **يقول** : وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعياً ، وهو يخشى الله ويتقيه .

قال تعالى : ﴿ **فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)** ﴾ **يقول** : فأنت عنه تعرض ، وتشاغل عنه بغيره وتغافل .

قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)** ﴾ يقول تعالى ذكره : " **كـلا** " ما الأمر كما تفعل يا محمد ، من أن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى ، وتتصدى لمن استغنى : ﴿ **إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ** ﴾ **يقول** : إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة ، **يقول:** عظة وعبرة . قال تعالى : ﴿ **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣)** ﴾ يعني في اللوح المحفوظ وهو المرفوع المطهر عند الله .

قال تعالى : ﴿ **بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥)** ﴾ **يقول** : الصحف المكرمة بأيدي سفرة ، جمع سافر . قال تعالى : ﴿ **كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)** ﴾ **والبررة** : جمع بار ، كما الكفرة جمع كافر، والسحرة جمع ساحر ، غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا : رجل بر ، وامرأة برة ، وإذا جمعوا ردوه إلى جمع فاعل ، كما قلوا رجل سري ، **ثم قالوا في جمعه** : قوم سراه ، وكان القياس في واحدة أن يكون سارياً ، **وقد حكي سماعاً من بعض العرب** : قوم خيرة بررة ، وواحد **الخيرة** : خير ، **والبررة** : بر .

قال تعالى : ﴿ **قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : لعن الإنسان الكافر ما أكفره ! **حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال** : ما كان في القرآن : ﴿ **قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ أو فعل بالإنسان ، فإنما عني به الكافر .

****

٨١- سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ التكوير: ١ - ١٠

♣ ٨١- سورة التكوير♣

قال تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ **فقال بعضهم : معنى ذلك** : إذا الشمس ذهب ضوءها . **عن أبي العالية ، قال : ثني أبي بن كعب ، قال : ست آيات قبل يوم القيامة** : بينا الناس في أسواقهم ، إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك ، إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك ، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحركت واضطربت واحترقت ، وفزعت الجن إلى الإنس ، والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحش وماجوا بعضهم في بعض : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ **قال** : اختلطت : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ **قال** : أهملها أهلها : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ **قال : قالت الجن للإنس** : نحن نأتيكم بالخبر ، **قال** : فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هي نار تأجج ، **قال** فبينما هم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة ، إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا ، **قال** : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) ﴾ **يقول** : وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت ، وأصل الانكدار : الانصباب . **قوله** : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ **قال** : تناثرت . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) ﴾ **يقول** : وإذا الجبال سيرها الله فكانت سراباً ، وهباء منبثاً . **حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال** أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ " ﴾ **قال** : ذهبت . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) ﴾ والعشار : **جمع عشراء ، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها ، يقول تعالى ذكره** : وإذا هذه الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أهملت فتركت ، من شدة الهول النازل بهم ، فكيف بغيرها ؟! . قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(٥) ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ **فقال بعضهم : معنى ذلك** : ماتت .

٨٢- سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾
فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ
﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ الانفطار: ١ - ١٠

♣ ٨٢- سـورة الانفطار♣

قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) ﴾ **معناها** : انشقت ، وإذا كواكبها انتثرت منها فتساقطت . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) ﴾ **يقول** : فجر الله بعضها في بعض ، فملأ جميعها . **حدثني علي** ، **قال : ثنا أبو صالح** ، **قال** : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ **يقول** : بعضها في بعض .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) ﴾ **يقول** : وإذا القبور أثيرت ، فاستخرج **من فيها من الموتى أحياء** ، **يقال بعثر فلان حوض فلان** : إذا جعل أسفله أعلاه **يقال** : بعثره وبحثره ، لغتان .

قال تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه ، وأخرت وراءه من شيء سنه فعمل به . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** (٦) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : يا أيها الإنسان الكافر ، أي شيء غرك بربك الكريم ، غر الإنسان به عدوه **المسلط عليه كما** : حدثنا بشر ، **قال : ثنا يزيد** ، **قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان .

قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) ﴾ **يقول** : الذي خلقك أيها الإنسان فسوى خلقك " **فعدلك** " .

قال تعالى : ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) ﴾ حدثني محمد بن عمرو ، **قال** : ثنا أبو عاصم ، **قال** : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث **قال** : ثنا الحسن ، **قال** : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿**كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ** ﴾ **قال** : بالحساب .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) ﴾ **يقول** : وإن عليكم رقباء حافظين يحفظون أعمالكم ، ويحصونها عليكم .

٨٣- سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ﴾ المطففين: ١ - ١٠

♣ ٨٣- سـورة المطففين♣

قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : كلا ، أي ليس الأمر كما يظن هؤلاء الكفار ، أنهم غير مبعوثين ولا معذبين ، إن كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا : ﴿ **لَفِي سِجِّينٍ** ﴾ وهي الأرض السابعة السفلى وهو فعيل من السجن ، **كما قيل** : رجل سكير من السكر ، وفسيق من الفسق . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : وأي شيء أدراك يا محمد ، أي شيء ذلك الكتاب ؟ ثم بين ذلك تعالى ذكره ، فقال : **هو** ﴿ **كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)** ﴾ وعني بالمرقوم : المكتوب . قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)** ﴾ **يقول تعالى ذكره مكذباً لهم في قيلهم ذلك** : كلا ، ما ذلك كذلك ، ولكنه ران على قلوبهم **يقول : غلب على قلوبهم وغمرها ، وأحاطت بها الذنوب فغطتها** ، **يقال منه** : رانت الخمر على عقله ، فهي ترين عليه ريناً ، وذلك إذا سكر ، فغلبت على عقله . **قال تعالى** : ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذبون بيوم الدين ، من أن لهم عند الله زلفة ، إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون ، فلا يرونه ، ولا يرون شيئاً من كرامته يصل إليهم. قال تعالى : ﴿ **يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)** ﴾ **يقول** : يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبر من عباده من النار ، وفوزه بالجنة ، المقربون من ملائكته من كل سماء من السماوات السبع . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن الأبرار الذين بروا باتقاء الله ، وأداء فرائضه ، لفي نعيم دائم ، لا يزول يوم القيامة ، وذلك نعيمهم في الجنان .

قال تعالى : **يعني تعالى ذكره بقوله** : ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣)** ﴾ على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم ، والحبرة في الجنان .

٨٤- سورة الإنشقاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ الانشقاق: ١ - ١٠

♣ ٨٤- ســورة الانشقاق♣

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيــهِ** (٦) ﴾ **يقــول تعالى ذكره** : يا أيها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملاً فملاقيه به ، خيراً كــان عملك ذلك أو شراً ، يقول : فليكن عملك مما ينجيك من سخطه ، ويوجب لــك رضاه ، ولا يكن مما يسخطه عليك فتهلك . **حدثني محمد بن سعد** ، **قال : ثنــي أبي** ، **قال : ثني عمي** ، **قال** : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ **يَا أَيُّهَــا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ** ﴾ **يقول** : تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً . قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** (٧) ﴾ **يقول تعالى ذكره** فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه . قال تعالى : ﴿ **فَــسَوْفَ يُحَاسَــبُ حِــسَاباً يَسِيراً** (٨) ﴾ بأن ينظر في أعماله ، فيغفر له سيئها ، ويجازى علــى حــسنها . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الواحد بن حمزة ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، **قالت** : سمعت النبي ﷺ يقول : ((**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**)) **قلت** : يا رسول الله ما الحساب اليــسير **قال** : ((**أن ينظر في سيئاته فيتجاوز عنه ، وإنه من نوقش الحــساب يومئــذ هلك**)) . قال تعالى : ﴿ **وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً** (٩) ﴾ **يقول** : وينصرف هذا المحاسب حساباً يسيراً إلى أهله في الجنة مسروراً . **حدثنا بشر** ، **قال : ثنا يزيد قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ **وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً** ﴾ **قال** : إلــى أهل أعد الله لهم الجنة . قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَــنْ أُوتِــيَ كِتَابَــهُ وَرَاءَ ظَهْــرِهِ** (١٠)﴾ **يقول تعالى ذكره** : وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئــذ وراء ظهره ، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه ، وجعل الــشمال مــن يديــه وراء ظهره ، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحيانــاً أنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم ، وأحياناً أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم .

٨٥- سورة البروج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾ البروج: ١ - ١٠

♣ ٨٥- سورة البروج ♣

قال تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) ﴾ **يقول** : لعن أصحاب الأخدود ، **وكان بعضهم يقول** : معنى قوله : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ خبر من الله عن النار أنها قتلتهم . وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم ؟ **فقال بعضهم** : قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس . **حدثنا ابن حميد ، عن ابن أبزى ، قال : لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم ، بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال بعضهم لبعض** : أي الأحكام تجري في المجوس ، وإنهم ليسوا بأهل كتاب ، وليسوا من مشركي العرب ؟ **فقال علي بن أبي طالب** ﷺ : قد كانوا أهل كتاب ، وقد كانت الخمر أحلت لهم ، **فقال فلما ذهب عنه السكر قال لها** : فشربها ملك من ملوكهم ، حتى ثمل منها ، فتناول أخته فوقع عليها ، **فقل : يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ، فقام خطيباً ، ويحك ! فما** المخرج مما ابتليت به ؟ **فقالت : اخطب الناس** : يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ، **فقال الناس** : إنا نبرأ إلى الله من هذا القول ، ما أتانا به نبي ، ولا وجدناه في كتاب الله ، فرجع إليها نادماً ، **فقال لها** : ويحك ! إن الناس قد أبوا علي أن يقروا بذلك ، **فقالت** : ابسط عليهم السياط ، ففعل ، وبسط عليهم السياط ، فأبوا أن يقروا ، فرجع إليها نادماً ، فقال : إنهم أبوا أن يقروا ، **فقالت : أخطبهم فإن أبوا فجرد فيهم السيف ، ففعل ، فأبى عليه الناس ، فقال لها :** قد أبي علي الناس ، **فقال** : خذ لهم الأخدود ، ثم اعرض عليها أهل مملكتك ، فمن أقر ، وإلا فاقذفه في النار ، ففعل ، ثم عرض عليها أهل مملكته ، فمن لم يقر منهم قذفه في النار ، فأنزل الله فيهم : **سورة الأخدود**، فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات . قال تعالى : ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) ﴾ فقوله : ﴿ النَّارِ ﴾ النار رد على الأخدود ، ولذلك خفضت ، وإنما جاز ردها عليه وهي غيره ، لأنها كانت فيه ، فكأنها إذ كانت فيه هو ، فجرى الكلام

عليه لمعرفة المخاطبين به بمعناه وكأنه **قيل** : قتل أصحاب النار ذات الوقود ويعني بقوله : ﴿ **ذَاتِ الْوَقُودِ** ﴾ ذات الحطب الجزل وذلك إذا فتحت الواو ، فأما الوقود بضم الواو ، فهو الاتقاد . قال تعالى : ﴿ **النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها ، يعني على النار ، فقال عليها ، والمعنى أنهم قعود على حافة الأخدود ، فقيل على النار ، **والمعنى:** لشفير الأخدود ، لمعرفة السامعين معناه .

قال تعالى : ﴿**وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧)** ﴾ **يعني** : حضور . **حدثنا بشر** ، **قال** : **ثنا يزيد** ، **قال** : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿**وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾ يعني بذلك الكفار . قال تعالى : ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء ، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله ، **وقال** : إلا أن يؤمنوا بالله ، لأن المعنى إلا إيمانهم بالله ، فلذلك حسن في موضعه يؤمنوا ، إذ كان الإيمان لهم صفة : ﴿ **الْعَزِيزِ** ﴾ **يقول** : الشديد في انتقامه ممن انتقم منه : ﴿ **الْحَمِيدِ** ﴾ **يقول:** المحمود بإحسانه إلى خلقه . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق (١٠)** ﴾ **يقول** : إن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم ، وإحراقهم بالنار . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن الذين أقروا بتوحيد الله ، وهم هؤلاء القوم الذين حرقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد : ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ **يقول** : وعملوا بطاعة الله ، وأتمروا لأمره ، وانتهوا عما نهاهم عنه : ﴿ **لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ **يقول** : لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل .

٨٦- سـورة الطارق

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) ﴾ فكان في إتباعه قوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نبأ من أنباء القيامة ، دلالة على أن السابق قبلها أيضاً منه : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إنه على إحيائه بعد مماته لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فاليوم من صفة الرجع ؛ **لأن المعنى** : إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر . وعني بقوله : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ يوم تختبر سرائر العباد ، فيظهر منها يومئذ ما كان في الدنيا مستخفياً عن أعين العباد ، من الفرائض التي كان الله ألزمه إياها ، وكلفه العمل بها .

قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ (١٠) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : فما للإنسان الكافر يومئذ من قوة يمتنع بها من عذاب الله ، وأليم نكاله ، ولا ناصر ينصره ، فيستنقذه ممن ناله بمكروه ، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوة من عشيرته ، يمتنع بهم من أراده بسوء ، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده . قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) ﴾ ترجيع بالغيوم وأرزاق العباد كل عام . **قال ابن عباس** : السحاب فيه المطر . **وقال** : **يعني** : **بالرجع** : القطر والرزق كل عام .

قال تعالى : ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : والأرض ذات الصدع بالنبات . **قال أبو رجاء : وسئل عنها عكرمة ، فقال** : هذه تصدع عن الرزق . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) ﴾ **يقول** : حق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ أي حكم .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) ﴾ **يقول** : وما هو باللعب ولا الباطل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٥) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكراً .

♣ ٨٧- سـورة الأعلى♣

قال تعالى : ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٦ ــ ٧)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله . ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ **فَلا تَنْسَى*إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ **فقال بعضهم** : هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا القرآن ويحفظه عليه ، ونهي منه أن يعجل بقراءته ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٦ ــ ١٧)**﴾.

قال تعالى : ﴿ **سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)** ﴾ **يقول جل ثناؤه** : سيذكر يا محمد إذا ذكرت الذين أمرتك بتذكيرهم من يخشى الله ، ويخاف عقابه . قال تعالى : ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١)** ﴾ **يقول** : ويتجنب الذكرى : ﴿ **الأَشْقَى** ﴾ **يعني** : أشقى الفريقين . قال تعالى : ﴿ **الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)** ﴾ وهم الذين لم تنفعهم الذكرى . قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)** ﴾ **قال** : من كان عمله زاكياً . حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** ﴾ **قال** : يعمل ورعاً . قال تعالى : ﴿ **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)** ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** ﴾ **فقال بعضهم : معنى ذلك** : وحد الله . **وقال آخرون : بل معنى ذلك** : وذكر الله ودعاه ورغب إليه . والصواب من القول في ذلك ، **أن يقال** : وذكر الله فوحده ودعاه ورغب إليه ؛ لأن كل ذلك من ذكر الله ، ولم يخصص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع . قال تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)** ﴾ **يقول للناس** : بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى) (١٨)** ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي أشير إليه بقوله هذا ، **فقال بعضهم** : أشير به إلى الآيات التي في : سبح اسم ربك الأعلى .

♣ ٨٨- ســورة الغاشية♣

قال تعالى : ﴿ **لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (١١)** ﴾ **يقول** : لا تسمع هذه الوجوه لمعنى لأهلها فيها في الجنة العالية لاغية ، **يعني باللاغية** : كلمـــة لغــو . **واللغــو** : الباطل فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية ، **كما قيل لــصلاحب الــدرع** : دارع ، **ولصاحب الفرس** : فارس ، **ولقائل الشعر** : شاعر .

قال تعالى : ﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ** (:١٢) ﴾ **يقول** : في الجنة العالية عين جاريــة في غير أخدود .

قال تعالى : ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣)** ﴾ **والسرر** : جمع ســرير ، مرفوعــة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوله ربه من النعيم والملك فيها ، ويلحق جميع ذلك بصره . **وقيل : عني بقوله مرفوعة** : موضونة .

قول الله تعالى : ﴿ **وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)** ﴾ وهــي جمــع كــوب ، وهــي الأباريق التي لا آذان لها .

قوله تعالى : ﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥)** ﴾ **يعني بالنمارق** : الوسائد والمرافق . **والنمارق** : وأحدهما نمرقة ، بضم النون وقد حكي عن بعــض كلــب ســماعاً نمرقة ، بكسر النون والراء . **وقيل** : مصفوفة لأن بعــضها بجنــب بعــض . وبنص الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

قال تعالى : ﴿ **وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)** ﴾ **يقول تعالى ذكره** : وفيها طنافس وبسط كثيرة مبثوثة مفروشة ، **والواحدة** : زربية ، وهي الطنفسة التي لها خل رقيــق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

قال تعالى : ﴿ **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)** ﴾ **يقول** : لست عليهم بمسلط ، ولا أنت بجبار ، تحملهم على ما تريد . يقول كلهم إلي ، ودعهم وحكمــي فــيهم ، يقال : **قد تسيطر فلان على قومه** : إذا تسلط عليهم.

****

♣ ٨٩- سـورة الفجر♣

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٦ـ ٧) ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فترى كيف فعل ربك بعاد . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ إِرَمَ ﴾ **فقال بعضهم :** هي اسم بلدة ، ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عنيت بذلك ، **فقال بعضهم** : عنيت به الإسكندرية . وقوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ في هذا الموضع ، **فقال بعضهم : معناه** : ذات الطول ، **وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل : رجل معمد ، وقالوا :** كانوا طوال الأجسام . قال تعالى : ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) ﴾ **يقول جل ثناؤه** : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد **يعني** : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ، لما قد بينا قبل أنها قبيلة . **وإنما عني بقوله** : لم يخلق مثلها في العظم والبطش والأيد . قال تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) ﴾ **يقول** : وبثمود الذي خرقوا الصخر ودخلوه ، فاتخذوه بيوتاً كما قال جل ثناؤه : ﴿ **وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ** ﴾ **(الحجر:٨٢) والعرب تقول** : جاب فلان الفلاة يجوبها **جوباً** : إذا دخلها وقطعها . قوله تعالى : ﴿ **جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴾ جبوها ونحتوها بيوتاً . حدثنا ابن عبد الأعلى ، **قال** : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن قتادة ، **قال** : ﴿ **جَابُوا الصَّخْرَ** ﴾ **قال** : نقبوا الصخر . **حدثت عن الحسن قال : سمعت أبا معاذ يقول** : ثنا عبيد ، **قال** : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ **جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴾ **يقول : قدوا الحجارة** . قال تعالى : ﴿ **وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)** ﴾ **يقول جل ثناؤه** : ألم تر كيف فعل ربك أيضاً بفرعون صاحب الأوتاد . واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ **ذِي الْأَوْتَادِ** ﴾ **فقال بعضهم : معنى ذلك : ذي الجنود الذين قوون له أمره.**

♣ ٩٠- سـورة البلد♣

قال تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره** : أقسم يا محمد بهذا البلد ، وهو مكة . عن ابن عباس ، في قوله : **﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾**: مكة . قال تعالى : **﴿ وَأَنْتَ حِلٌ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) ﴾ يعني** : بمكة ، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : وأنت يا محمد حل بهذا البلد ، يعني بمكة ، **يقول** : أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله ، وأسر من أردت أسره ، مطلق ذلك لك ، يقال منه ، هو حل ، وهو حلال وهو حرم ، هو حرام ، وهو محل ، وهو محرم ، وأحللنا ، وأحرمنا . قال تعالى : **﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾ يقول تعالى ذكره** : فاقسم بوالد وبولده الذي ولد . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك من الوالد وما ولد ، **فقال بعضهم** : عني بالوالد . **كل والد ، وما ولد** : كل عاقر لم يلد . حدثنا أبو كريب ، **قال** : ثنا ابن عطية ، عن شريك عن خصيف ، عن عكرمة عن ابن عباس : **﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قال : الوالد** : الذي يلد ، **وما ولد** : العاقر الذي لا يولد له . قال تعالى : **﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾** واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، **فقال بعضهم : معناه** : لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونصب عن ابن عباس ، قوله : **﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ يقول** : في نصب . عن الحسن أنه قال في هذه الآية : **﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ يقول** : في شدة. قال تعالى : **﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) ﴾** ذكر أن ذلك نزل في جل بعينه من بني جمح ؛ كان يدعى أبا الأشدين ، وكان شديداً ، **فقال جل ثناؤه** : أيحسب هذا القوي بجلده وقوته ، أن لن يقهره أحد ويغلبه ، فالله غالبه وقاهره . قال تعالى : **﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً (٦) ﴾ يقول هذا الجليد الشديد** : أهلكت مالاً كثيراً ، في عادة محمد ﷺ ، فأنفقت ذلك فيه ، وهو كاذب في قوله ذلك .

****

♣ ٩١- سورة الشمس ♣

قول الله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (١) **قال مجاهد : وضحاها** : أي ضوءها وإشراقها . وهو قسم ثان . وأضاف الضحى إلى الشمس ؛ لأنه إنما يكون بارتفاع الشمس . قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ (٢) **أي تبعها** : وذلك إذا سقطت رئي الهلال . **يقال : تلوث فلانا** : إذا تبعته . **قال قتادة** : إنما ذلك ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رئي الهلال . **وقال ابن زيد** : إذا غربت الشمس في النصف الأول من الشهر ، تلاها القمر بالطلوع ، وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب . قوله تعالى : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ (٣) أي كشفها . **فقال قوم** : جلى الظلمة ، وإن لم يجر لها ذكر ، **كما تقول** : أصبحت باردة ، تريد أضحت غداتنا باردة . **وقيل** : جلى الدنيا . **وقيل** : جلى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر ومثله قوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (ص:٣٢) . قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤) أي يغشى الشمس ، فيذهب بضوئها عند سقوطها ، **وقيل** : يغشى الدنيا بالظلم ، فتظلم الآفاق . فالكناية ترجع إلى غير مذكور . قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ (٥) أي وبنيانها . **وقيل** : المعنى ومن بناها ، أي ومن خلقها ورفعها ، وهو الله تعالى . **وحكي عن أهل الحجاز** : سبحان ما سبحت له ، أي سبحان من سبحت له .قوله تعالى : ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (٦) أي وطحوها . **وقيل** : ومن طحاها ، على ما ذكرناه آنفا . أي بسطها ، **والطحو** : البسط، طحا يطحو طحوا وطحى يطحي طحياً ، **وطحيت** : اضطجعت . قوله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) **قيل** : المعنى وتسويتها . **وقيل** : المعنى ومن سواها ، وهو الله عز وجل . **وفي النفس قولان : أحدهما** : آدم . **الثاني** : كل نفس منفوسة ، وسوى : بمعنى هيأ .

****

♣ ٩٢- سورة الليل ♣

قال تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) ﴾ **يقول تعالى ذكره مقسماً بالليل إذا غشى النهار بظلمته ، فأذهب ضوءه ، وجاءت ظلمته : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾** النهار .

قال تعالى : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(٢) ﴾ وهذا أيضاً قسم ، أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار ، وظهر للأبصار ، ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عياناً . وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لعظم شأنه عنده .

قال تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣)﴾ عن علقمة بن قيس أبي شبل :** أنه أتى الشام ، فدخل المسجد فصلى فيه ، ثم قام إلى حلقة فجلس فيها ، **قال :** فجاء رجل إلي ، فعرفت فيه تحوش القوم وهيبتهم له ، فجلس إلى جنبي ، فقلت : **الحمد لله إني لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتي ، فإذا ذلك الرجل أبو** الدرداء ، **قال** : وما ذاك ؟ **فقال علقمة** : دعوت الله أن يرزقني جليساً صالحاً ، فأرجو أن يكون أنت ، **قال** : من أين أنت ؟ قلت من الكوفة ، أو من أهل العراق من الكوفة . **قال أبو الدرداء** : ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة ، يعني ابن مسعود ، أو لم يكن فيكم من أجير على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم ؟ يعني عمار بن ياسر ، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، أو أحد غيره ؟ يعني حذيفة بن اليمان ، ثم قال أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ ؟ **قال : فقلت : أنا ، قال** : اقرأ : **﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ قال علقمة** : فقرأت الذكر والأنثى ، **فقال أبو الدرداء** : والذي لا إله إلا هو ، كذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فوه إلى في ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردونني عنها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (٤ ـ ١٠) ﴾ حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه ، قال : يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : ((لأمر قد فرغ منه)) قال سراقة : ففيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((كل عامل ميسر لعمله)) .[1]

حدثنا هارون بن حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : كان أبو بكر ﷺ يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي بني أراك قوما أناسا ضعفاء ، فلو أنك قوما رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال : أي أبت أنما أريد أظنه . قال : ما عند الله . قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى .

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(١٢ ـ ١٩) ﴾ يقول : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ يقول : وسيوقى صلي النار التي تلظى التقي ، ووضع أفعل موضع فعيل . وقوله : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ يقول : الذي يعطي ماله في الدنيا في حقوق الله التي ألزمه إياها : ﴿ يَتَزَكَّى ﴾ : يعني : يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه .

****

---

[1] **صحيح** : أخرجه مسلم في (القدر ، ح / ٢٦٤٨) .

♣ ٩٣- سورة الضحى ♣

قال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(١ـ٢) ﴾ أقسم ربنا جل ثناؤه بالضحى ، وهو النهار كله ، وأحسب أنه من قولهم : **ضحى فلان للشمس** : إذا ظهر منه ، ومنه قوله : **﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ (طه:١١٩) أي : لا يصيبك فيها الشمس .**

قال تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) ﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه : ما تركك يا محمد ربك وما أبغضك ، **وقيل : ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ ومعناه** : وما قلاك ، اكتفاء بفهم السامع لمعناه ، إذ كان قد تقدم ذلك قوله : **﴿مَا وَدَّعَكَ ﴾** فعرف بذلك أن المخاطب به نبي الله ﷺ .

قال الطبري: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا ، **فقالت خديجة** : إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك ، **قال : فنزلت : ﴿** وَالضُّحَى**﴾** .

قال تعالى : **﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) ﴾ يقول تعالى ذكره معدداً على نبيه محمد ﷺ نعمه عنده ، ومذكره آلاءه قبله** : ألم يجدك يا محمد ربك يتيماً فآوى ، **يقول** : فجعل لك مأوى تأوي إليه ، ومنزلاً تنزله .

قال تعالى : **﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ ﴾** يا محمد : **﴿ فَلا تَقْهَرْ ﴾ يقول** : فلا تظلمه ، فتذهب بحقه ، استضعافاً منك له .

قال تعالى : **﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) ﴾ يقول** : وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهره ، ولكنه أطعمه واقض له حاجته .

قال تعالى : **﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ يقول** : فاذكره .

****

♣ ٩٤- سـورة الشرح♣

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١) ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمـد** ﷺ ، مذكره آلاءه عنده ، وإحسانه إليه ، حاضاً له بذلك على شكره على ما أنهم عليه ليستوجب بذلك المزيد منه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ﴾ يا محمد ، للهدى والإيمان بـالله ومعرفة الحق : ﴿ صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك ، ونجعله وعاء للحكمة.

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(٢) ﴾ يقول : وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك ، وحططنـا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها .

قال تعالى : ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَك (٣) ﴾ قال : اثقل ظهرك . **وفي قولـه : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ قال ذنبك الذي أنقض ظهرك** : أيقل ظهرك ، ووضـعناه عنك ، وخففنا عنك ما أيقل ظهرك .

وقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) ﴾ **يقول** : ورفعنا لك ذكرك ، فـلا أذكـر إلا ذكرت معي ، **وذلك قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .**

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُـسْراً (٦) فَـإِذَا فَرَغْـتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (١ ــ ٨) ﴾ .

قال الطبري: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**أتاني جبريل ، فقال: إن ربي وربك ، يقول : كيف رفعت ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذكـرت ذكرت معي**)) .

****

٩٥- سورة التين

قال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (١ ـ٧) ﴾ .

قيل في التين : على أقوال كثيرة ، فقيل : المراد بالتين : مسجد دمشق ، **وقيل :** هي نفسها ، **وقيل :** الجبل الذي عندها . **قال كعب الأحبار :** هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وهذا البلد الأمين يعني مكة .**عن أبي هريرة** ﷺ **قال : قال** ﷺ : ((**فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين ، فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين**)) . **وقوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره :** أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه ، وفصل قضائه بين عباده ؟ وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك فيما بلغنا **قال :** بلى.

*****

٩٦- سورة العلق

قال تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى(٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلاَّلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١ ـ ١٩)** ﴾ **قلت : قال ابن عباس : قال أبو جهل :** لئن رأيت محمدا يصلي ثم الكعبة لأطأن على عنقه ،

فبلغ النبي ﷺ ، **فقال** : لئن فعل لأخذته الملائكة . **حدثنا ابن عبد الأعلى عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة ، قال : قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا** : نعم **فقال** : واللات والعزى لئن رأيته يصلي لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه بالتراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته ، **قال** : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، **قال** : **فقيل له** : مالك ؟ **فقال** : إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة ، **قال** : **فقال** رسول الله : ((**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا**)) **قال : عن عائشة قالت** : كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الحق ، فأتاه ، **فقال** : يا محمد أنت رسول الله ، **قال رسول الله** : فجثوت لركبتي وأنا قائم ، ثم رجعت ترجف بوادري ، ثم دخلت على خديجة ، **فقلت** : زملوني زملوني ، حتى ذهب عني الروع ، ثم أتاني **فقال** : يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ، **قال** : فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل ، فتمثل إلى حين هممت بذلك ، **قال** : يا محمد ، أنا جبريل وأنت رسول الله ، **ثم قال** : اقرأ ، **قلت** : ما أقرأ ؟ **قال** : فأخذني ثلاث مرات ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ فقرأت ، فأتيت خديجة ، **فقلت** : لقد أشفقت على نفسي ، فأخبرتها خبري، **فقالت** : أبشر ، فلو الله لا يجزيك الله أبداً ، ووالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت بي إلى ورقة بن أسد ، قالت اسمع من ابن أخيك ، فسألني ، فأخبرته خبري ، **فقال** : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ سلم ، ليتني فيها جذع ، ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، **قلت** : أو

محرجي هم ؟ **قال** : نعم ، إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به ، إلا عوي ، ولـئن أدركني يومك ، **قلت** : أو مخرجي هم ؟ **قال** : نعم ، إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به ، إلا عودي ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم كان أول ما نزل علي من القرآن بعد (قرأ) : **﴿ نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١)** .

****

♣ ٩٧- ســورة القدر♣

قال تعالى : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَـدْرِ (٢) لَيْلَـةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (١ــ ٥) ﴾** . هذه الآية الكريمـة تبـين أن الله سبحانه وتعالى جعل ليلة القدر خير من ألف شهر ، وهي الليلة التي أنزل فيعهـا القرآن الكريم .

قلت : وعن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، **قال** : عملها ، وصـيامها ، **وقيامها خير من ألف شهر . عن عائشة رضي الله عنها** : أن رسـول الله ﷺ ، قال : ((**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**)) .

قول الله تعالى : **﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، **فقال بعضهم : معنى ذلك** : العمل في ليلة القدر بما يرضى الله ، خير من العمل في غيرها ألف شهر .

وعن عيسى بن مازن ، قال : قلت للحسن بن علـي رضي الله عنه : يـا مـسود وجـوه المؤمنين ، عندت إلى هذا الرجل ، فبايعت له يعني معاوية بن أبـي سـفيان . **فقال** : إن رسول الله ﷺ أرى في منامه بني أمية يعلون منبره خليفـة خليفـة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله : **﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَـوْثَرَ﴾ (الكـوثر:١)** و: **﴿ إِنَّـا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** يعني لك بني أميـة . **قال القاسم** : فحسبنا لك بني أمية ، فإذا هو ألف شهر. وقوله : **﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائكَةُ**

وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ اختلف أهل التأويل ذلك ، **فقال بعضهم : معنى ذلك** : تتزل الملائكة جبريل عليهم ، وهو الروح ، في ليلة القدر : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ يعني بإذن ربهم من كل أمر قضاه الله في تلك السنة ، من روق وأجل وغير ذلك . وقوله : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سلام ليلة القدر من الشر كله من أولها إلى طلوع الفجر من ليلتها .

****

♣ ٩٨- سورة البينة ♣

قال تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ(١) ﴾ **اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال بعضهم : معنى ذلك** : لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل والمشركون من عبدة الأوثان : ﴿ مُنْفَكِّينَ ﴾ **يقول** : منتهين ، حتى يأتيهم هذا القرآن . **وقال آخرون** : بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون ، لم يكونوا تاركين صفة محم في كتابهم ، حتى بعث ، فلما بعث تفرقوا فيه . وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، **أن يقال : معنى ذلك** : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد ، حتى تأتيهم البينة ، وهي إرسال الله إياه رسولاً إلى خلقه ، رسول من الله . وقوله : ﴿ مُنْفَكِّينَ ﴾ في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر ، ولذلك صلح بغير خبر ، ولو كان بمعنى ما زال ، احتاج إلى خبر يكون تماماً له .

قال تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٢ ــ ٨) ﴾ قلت : أي في الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ ؛ لأنها من ثم الله عز وجل **عن أبي هريرة قال : قال** رسول الله ﷺ : ((**ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا** : بلى يا رسول الله . **قال : رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الذي يسأل بالله ولا يعطي به**)) .

يقول تعالى ذكره : ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ** ﴾ يعني بساتين إقامة لا ظعن فيها ، تجري من تحت أشجارها الأنهار : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ **يقول** : ماكثين فيها أبداً ، لا يخرجون عنها ، ولا يموتون فيها : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ بما أطاعوه في الدنيا ، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك : ﴿ **وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ ، على طاعتهم ربهم في الدنيا وجزاهم عليها من الكرامة .

****

♣ ٩٩- سورة الزلزلة ♣

قال تعالى : ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (١ــ ٨) ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ ﴾ لقيام الساعة: زِلْزَالَهَا ﴾ فرجت رجاً ، ولزلزال** : مصدر إذا كسرت الزاي ، وإذا فتحت كان اسماً ، وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها ، **كما يقال** : لأكرمنك كراتك ، **بمعنى** : لأكرمنك كرامة ، وحسن ذلك في زلزالها ، لموافقتها

رءوس الآيات التي بعدها **حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : زلزلت الأرض على عهد عبد الله ، فقال لها عبد الله** : ما لك ؟ أما إنها لو تكلمت قامت الساعة .

حدثني أبو الخطاب الحساني حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس ، قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية :﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ*وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ فرفع أبو بكر يده ، **وقال** : يا رسول الله إني أجزي بما عملت من مثقال ذرة من **شر** ، **فقال** : يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة . **حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب ، قال في كتاب أبي قلابة عن أبي إدريس** : أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره .

حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حيي بن عبد الله عن أبي الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ، قال : نزلت إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأبو بكر الصديق ﷺ قاعد فبكى حين أنزلت ، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا أبا بكر ؟ **قال** : يبكيني هذه السورة ، فقال له رسول الله ﷺ : **لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم** .

****

♣١٠٠- سورة العاديات♣

﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥) إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١ ـ ١١)** ﴾ **حدثنا**

يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه ، قال : بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن العاديات ضبحا ؟ فقلت له : الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم فانفتل عني فذهب إلى علي ﷺ وهو على سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا ، **فقال** : سألت عنها أحدا قبلي ؟ **قال** : نعم . سألت ابن عباس ، **فقال** : الخيل حين تغير في سبيل الله ، **قال** : اذهب فدعه لي ، فلما وقف على رأسه ، **قال** : أتفتي الناس بما لا علم لك والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر ، وما إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحا ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى . **قال ابن عباس** : فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي ﷺ . اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً** ﴾ **فقال بعضهم: عني بالعاديات ضبحاً** : الخيل التي تعدوها ، وهي تحمحم . **وقال آخرون** : هي الإبل .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، حدثه قال : بينما أنا في الحجر جالس ، أتاني رجل يسأل عن : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً** ﴾ **فقلت له** : الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوي إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني ، فذهب إلى علي بن أبي طالب ﷺ وهو تحت سقياة زمزم ، **فسأله عن** : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً** ﴾ **فقال** : سألت عنها أحد قبلي ؟ **قال** : نعم ، سالت عنها ابن **عباس فقال** : الخيل حين تغير في سبيل الله . **قال** : اذهب فادعه لي ، فلما وقف على رأسه قال : تفتي الناس بما لا علم لك به والله لكانت أو غزوة في الإسلام لبدر ، **وما كان معنا إلا فرسان** : للزبير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى منى . **قال ابن عباس** : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي ﷺ . وقوله : ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً** ﴾ **يقول تعالى**

ذكره : فرفعن بالوادي غباراً ، **والنقع** : الغبار ، **وقال** : إنه التراب ، والهاء في قوله (**به**) كناية اسم الموضع ، وكني عنه ، ولم يجر له ذكر ؛ لأنه معلوم أن الغبار لا يثار إلا من موضع ، فاستغني بفهم السامعين بمعناه من ذكره . وقوله : **﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يقول** : إن الإنسان لكفور لنعم ربه . **والأرض الكنود:** التي لا تنبت شيئاً .

****

♣ ١٠١- سورة القارعة ♣

قال تعالى : **﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ(٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) هُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١ــ١١) ﴾ يقول تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ ﴾** : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولها ، وعظيم ما ينزل لهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لا ليل بعدها .

حدثنا أبو كريب ، قال ثنا وكيع ، قال : سمعت أن القارعة والواقعة والحاقة: القيامة . **قلت** : وإنما قيل للهاوية أمه ؛ لأنه لا مأوى له غيرها .**حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعمى ، قال:** إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، **فيقولون** : روحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا ، **قال** : ويسألونه ما فعل فلان ، **فيقولون** : مات أو جاءكم ، **فيقولون** : ذهب به إلى أمه الهاوية . ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ ، **قال** : اشتكت النار إلى ربها ، **فقال** : يا رب أكل **بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها** ، **وأشد ما تجدون في الصيف من حرها** .[1]

---

[1] **صحيح متفق عليه** : أخرجه البخاري (ح / ٣٢٦٠) ومسلم (ح / ٦١٧) .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يقول تعالى : القارعة يوم يكون الناس كالفراش ، وهو الذي يتساقط في النار والسراج ، ليس ببعوض ولا ذباب ، ويعني بالمبثوث : المفرق .

قال ابن زيد : هذا شبه شبهه الله . وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضاً ، كذلك الناس يومئذ ، يجول بعضهم في بعض . وقوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ يقول تعالى ذكره : ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش والعهن : هو الألوان من الصوف .

****

♣ ١٠٢- سورة التكاثر♣

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (١ــ ٥) ﴾ .

قال زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني شبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخلق ، ولذة النوم . يقول تعالى ذكره : ألهاك أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وعما ينجيك من سخطه عليكم .

عن أبي بن كعب ، قال : كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن : ((لو أن لابن آدم واديين ما مال ، لتمنى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ثم يتوب الله على ما من تاب)) حتى نزلت هذه السورة : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها . وقوله : بعقب قراءته : (ألهاكم) : ليس لك من مالك إلا كذا وكذا ينبئ أن معنى ذلك عنده : ألهاكم التكاثر : المال .

****

♣ ١٠٣ـ سورة العصر ♣

قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ *إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (١ ـ٣) ﴾ **اختلف أهل التأويل** قول الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ **فقال بعضهم** : هو قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر ، **فقال : العصر** : هو الدهر . **وعن ابن عباس ، في قوله** : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ **قال** : **العصر** : ساعة من ساعات النهار . **والصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن ربنا أقسم بالعصر** : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ اسم للدهر ، وهو العشي والليل والنهار ، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكل ما لزمه هذا الاسم ، فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه . **عن عبيد الله بن حصن ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله** ﷺ : إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر .

****

♣ ١٠٤ـ سورة الهمزة ♣

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (١ ـ ٩) ﴾ . **يعني** تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم: ﴿ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ : **يقول** : لكل مغتاب للناس ، يغتابهم ويغضهم . واختلف في المعنى بقوله : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ **فقال بعضهم** : عني بذلك رجل من أهل الشرك بعينه ، **فقال بعض من قال هذا القول** : هو جميل بن عامر الجمحي . **وقال آخرون منهم** : هو الأخنس بن شريق . **عن ابن عباس** : أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد في أعناقهم السلاسل ، فسدت بها الأبواب .

وقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ **يقول تعالى ذكره** : ما ذلك كما ظن ليس ماله مخلده . ثم أخبر جل ثناؤه أنه هالك ومعذب على أفعاله ومعاصيه التي كان يأتيها في الدنيا ، **فقال جل ثناؤه** : ﴿ **لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ** ﴾ **يقول** : ليقذفن يوم القيامة في الحطمة ، **والحطمة** : اسم من أسماء النار ، **كما قيل لها** : جهنم وسقر ولظى ، وأحسبها سميت بذلك لحطمها كل ما ألقى فيها ، **كما يقال للرجل الأكول** : الحطمة .

****

١٠٥ ـ سورة الفيل

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (١ ـ ٥)** ﴾ **وقوله** : ﴿ **تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾ **يقول تعالى ذكر ه**: ترمي هذه الطير الأبابيل التي أرسلها الله على أصحاب الفيل ، أصحاب الفيل ، بحجارة من سجيل . **وقال آخرون : معنى ذلك** : ترميهم بحجارة من سماء الدنيا.

قال ابن إسحاق : إن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء ، وكان نصرانياً فسماها القليس ، لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة ، لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، وليست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي ، غضب رجل من النساة أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، فخرج حتى أتى القليس ، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، **فقال: من صنع هذا ؟ فقيل** : صنعه رجل منم أهل هذا البيت ، الذي تحج العرب إليه بمكة ، **لما سمع من قولك** : اصرف إليه بأهل ، فغضب عند حاج العرب ، فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أي أنها ليست لذلك ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب قد قدموا عليه

يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خزاعي بن حزابة الذكواني ، ثم السلمي ، في نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي ، فبينما هم عنده ، غشيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغذائه ، وكان يأكل الخصى ، **فلما أتى القوم بغذائه ، قالوا** : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبنا به العرب ما بقينا ، فقال محمد بن خزاعي ، **فجاء أبرهة فقال** : أيها الملك ، إن هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجنوب والأيدي . **فقال له أبرهة** : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتم بغذائي ، لمنزلتكم عندي .

ثم إن أبرهة توج محمد بن الخزاعي ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، يدعوهم إلى حج القليس ، كنيسته التي بناها ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا إليه رجلاً من هذيل يقال له عروة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله، وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي ، فهرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً ، وحلف ليغزون بني كنانة ، وليهدمن البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت ، أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت ، وخرج معه بالفيل . وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفظعوا به ، ورأوا جهادة حقاً عليهم ، حيهن سمعوا أنه يريد هدمم الكعبة ، بيت الله الحرام ، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمين وملوكهم ، يقال له ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجبه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وأنه يريد من هدمه وخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعرض له ، وقاتله ، فهزم وتفرق أصحابه، وأخذ له ذو نفر أسيراً ، فلما أراد قتله ، **قال ذو نفر** : أيها الملك لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حلمياً .

****

١٠٦ـ سورة قريش

قال تعالى : ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (١ ـ ٤) ﴾ **معنى الكلام** : فعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل ، نعمة منا على أهل هذا البيت وإحساناً منا إليهم ، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف ، فتكون اللام في قوله : ﴿لإِيلافِ ﴾ بمعنى إلى ، **كأنه قيل** : نعمة لنعمة وإلى نعمة ؛ لأن إلى موضع اللام ، واللام موضع إلى . **وكان بعض نحويي الكوفة يقول : قد قيل هذا القول، ويقال** : إنه تبارك وتعالى عجب نبيه ﷺ **فقال** : أجبت يا محمد لنعم الله على قريش ، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . **ثم قال** : فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك ، ويستدل بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ وكان بعض أهل التأويل يوجه تأويل قوله : ﴿ لإِيلافِ قُرَي﴾. وقوله : ﴿ إِيلافِهِمْ ﴾ مخفوضة على الإبدال ، **كأنه قال** : لإيلاف قريش لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف . وأما الرحلة فنصبت بقوله : ﴿ إِيلافِهِمْ ﴾ ووقوعه عليهم . **عن أسامة بن زيد ، قال** : سمعت رسول الله ﷺ ، **يقول** : لإيلاف قريش إيلافهم **رحلة الشتاء والصيف** : ويحكم يا معشر قريش ، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف .

****

١٠٧ ـ سورة الماعون

قال تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (١ ـ ٧) ﴾ **يعني تعالى ذكره** : أرأيت يا محمد الذي كذب بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه في أمره ونهيه . **حدثني أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي ، قال** : قال رسول الله ﷺ : ((**لما**

نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : الله أكبر هـذا خير لكم من لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا ، هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه . **حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص ، قال** : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون ، **قال** : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت وتأخير الصلاة على وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا، أو تأخيرها عن أول الوقت سهوا حتى ضاع الوقت . **حدثني زيد بن محمد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض عن عبد الله ، قال** : كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو، والفأس والقدر لا يستغنى عنهن .

****

١٠٨ـ سورة الكوثر

قال تعالى : **﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**

حدثنا ابن أبي سريج حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر ، **فقال** : هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر . **قال أبو بكر** : يا رسول الله إنها لناعمة ؟ **قال** : آكلها أنعم منها .

حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة ، قالت : نهر الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف ، **وقال إسرائيل** : نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء .

وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر **قالت :** نهر في بطنان الجنة ، **قلت :** وما بطنان الجنة ؟ **قالت :** وسكها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت .

وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في اليسرى .

حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل .

حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه ، قال : الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل .

حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب ، قال : قال لي محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير في الكوثر ؟ **قلت :** حدثنا عن ابن عباس أنه ، **قال :** هو الخير الكثير . **فقال :** صدق والله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر ، **قال :** لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر ، **قال رسول الله ﷺ :** الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت .

****

١٠٩ـ سورة الكافرون

قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (١ ــ ٦) ﴾، وقوله : ﴿ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ فيما تستقبلون أبدا : ﴿ مَا

أَعْبُدُ ﴾ أنا الآن ، وفيما أستقبل . وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين ، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً ، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه ، وحدثوا به أنفسهم ، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات ، وآيس نبي ﷺ من الطمع في إيمانهم ، ومن أن يفلحوا أبداً ، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا ، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف ، وهلك بعض قبل ذلك كافراً .

****

♣ ١١٠- سورة النصر ♣

قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (٣) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (١ ـ ٣) ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : **إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش ، والفتح** : فتح مكة : ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ ﴾ من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم ، وقبائل نزار : ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ **يقول** : في دين الله ابتعثك به ، وطاعتك التي دعاهم إليه : ﴿ أَفْوَاجاً ﴾ **يعني** : زمراً ، فوجاً فوجاً .

حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس ، قال : بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ **قال** : الله اكبر الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن . **قيل** : يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ **قال** : قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية . **حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن أم سلمة ، قالت : كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يباع ولا يذهب ولا يجيء إلا ، قال** : سبحان الله وبحمده . **فقلت** : يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده **لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت :**

سبحان الله وبحمده ، **قال** : إني أمرت بها . **فقال** : إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة .

****

١١١ـ سورة المسد

قال تعالى : **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (١ ــ ٥) ﴾ يقول تعالى ذكره** : خسرت يدا أبي لهب ، وخسر هو . وإنما عني قوله : **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** تب عمله . **وكان بعض أهل العربية يقول** : **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** : دعاء عليه من الله .

وأما قوله : **﴿ وَتَبَّ ﴾** فإنه خبر . **وقيل** : إن هذه السورة نزلت في أبي لهب ؛ لأن النبي ﷺ لما خص بالدعوة عشيرته ، إذا نزل عليه : **﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾** (الشعراء:٢١٤) . وجمعهم للدعاء ، **قال له أبو لهب** : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا دعوتنا ؟.

****

١١٢ـ سورة الإخلاص

قال تعالى : **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) للَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (١ ــ ٤) ﴾** ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب رب العزة فأنزل الله هذه السورة جواباً لهم . **وقال بعضهم** : بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه ، **فقالوا له** : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فأنزلت جواباً لهم .

وقال آخرون : **﴿ أحد ﴾ بمعنى** : واحد ، وأنكر أن يكون العماد مستأنفاً به ، حتى يكون قبله حرف من حروف الشك ، كظن وأخوتها ، وكان وذواتها ، أو إن وما أشبهها . وهذا القول الثاني هو أشبه بمذاب العربية .. **عن أبي بن كعب :**

أن المشركين : قالوا للنبي ﷺ يا محمد انسب لنا ربك ؟ **فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (١ ـ ٤) ﴾** .

****

١١٣ـ سورة الفلق

قال تعالى : **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : قل يا محمد أستجير برب الفلق من شرها ما خلق من الخلق . واختلف أهل التأويل في معنى الفلق ، **فقال بعضهم** : هو سجن في جهنم يسمى هذا الاسم . حدثنا ابن بشار ، **قال** : ثنا أبو أحد الزبيري ، **قال** : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله : **﴿الْفَلَقِ ﴾** : سجن في جهنم .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ، قال : ثنا يحيى بن أبي أسيد ، عن ابن عجلان ، عن أبي عبيد ، عن كعب ، أنه دخل كنيسة فأعجبه حسنها ، فقال : أحسن عمل وأضل قوم ، رضيت لكم الفلق ، قيل : وما الفلق ؟ **قال** : بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره . **وقال آخرون** : هو اسم من أسماء جهنم .

قال تعالى : **﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) ﴾** لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شر كل شيء ، إذا كان كل ما سواه فهو ما خلق .

قال تعالى : **﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) ﴾** ومن شر مظلم إذا دخل وهجم علينا بظلامه . ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عني في هذه الآية ، وأمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة منه ، **فقال بعضهم** : هو الليل إذا أظلم . قال ابن زيد في قوله : **﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال** : كانت العرب تقول : **الغاسق** :

سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر حسده به ، **فقال بعضهم** : ذلك كل حاسد أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر عينه ونفسه .

****

♣١١٤- سورة الناس♣

قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)** ﴾ **يقول تعالى ذكره لنبيه محمد** ﷺ : قل يا محمد استجير : ﴿ **بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ** ﴾ **وهو ملك جميع الخلق** : إنسهم وجنهم ، وغير ذلك ، إعلاماً منه بذلك من كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم أنه ملك من يعظمه ، وأن ذلك في ملكه وسلطانه ، تجري عليه قدرته ، وأنه أولى بالتعظيم ، وأحق بالتعبد له ممن يعظمه ، ويتعبد له ، من غير من الناس . قال تعالى : ﴿ **مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٢ ـ ٣)** ﴾ **يقول** : معبود الناس ، الذي له العابدة دون كل شيء سواه .

قال تعالى : ﴿ **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)** ﴾ **يعني** : من شر الشيطان الخناس ، الذي يخنس مرة ، ويوسوس أخرى ، وإنما يخنس فيما ذكر عند ذكر العبد ربه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، **قال** : ما من مولود إلا على قلبه الوسواس فإذا عقل فذكر الله خنس ، وإذا قال وسوس ، **قال** : فذلك قوله ﴿ **الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)** ﴾ **يعني بذلك** : الشيطان الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس : **جنهم وإنسهم** . **فإن قال قائل** :

فالجن ناس ، فيقال : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس . **قيل** : قد سماهم الله في هذا الموضع ناساً ، كنا سماهم في موضع آخر رجلاً ، **فقال** : **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾** (**الجن**:٦)، فجعل الجن رجالاً ، وكذلك جعل منهم ناساً .

وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث ، إذا جاء قوم من الجن فوقفوا ، **فقيل** : من أنتم ؟ **فقالوا** : ناس من **الجن** : فجعل منهم ناساً ، فكذلك ما في التنزيل من ذلك .

تمَّ بحول الله تعالى (التفسير الميسر للقرآن الكريم) علي يدي الفقير إلى عفو ربه كامل بن محمد بن محمد بن عويضه المصري الشافعي، وهو مختصر اختصرته من كتابي (مختر التفسير القرآني الكريم)، من (كتاب التفسير للإمام الطبري) عليه رحمة الله تعالى، الذي نشرته وكلة الإهرام بالقاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية.

وقد اقتصرت في هذا التفسير على آيات بيِّنات من الذكر الحكيم، أسأل الله تعالى أن ينفع به من قرأه، أو كان سببًا في نشره، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

****

فهرس الكتاب